جامعة النجاح الوطنية
كلّية الدراسات العليا

الجامع الأموي في دمشق في العصر المملوكيّ الأوّل (648-784هـ/1250-1382م) دراسة تاريخية حضارية

إعداد
باسمة يوسف أحمد أبو لحية

إشراف
د. محمد عثمان الخطيب

قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ بكليّة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2019م

الجامع الأموي في دمشق في العصر المملوكيّ الأوّل (648-784هـ/1250-1382م) دراسة تاريخية حضارية

إعداد

باسمة يوسف أحمد أبو لحية

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2019/01/22م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. د. محمّد الخطيب / مشرفاً ورئيساً	.....
2. د. شوكت حجة / ممتحناً خارجياً	.....
3. د. عامر القبج / ممتحناً داخلياً	.....

الإهداء

إلى والدتي الحنون، رحمها الله وغفر لها، التي طالما تمنّت أن تراني في قمم النجاح العلمي والمعرفي.

إلى والدي الحبيب، حفظه الله، الذي قاسى الحياة ومشاقها ليوصلني إلى برّ الأمان.

إلى من تهون الصعاب بوجوده، إلى مهجة القلب، وشقيق الروح، ورفيق الدّرب زوجي الحبيب د. رائد عبد الرحيم.

إلى فلذات الكبد، وعطر الوجود أبنائي الأحباء: علاء وبيسان ومحمد.

الشكر والتّقدير

أزجي آيات الشكر والعرفان إلى الدكتور الفاضل محمد عثمان الخطيب على رعايته هذا العمل منذ بدايته، فأشرف عليه، وتابعه، وقدّم النصح والإرشاد، فكان نعم المرشد والناصح الأمين.

والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقراءة هذه الدراسة، وقدّموا لي من علمهم وتوجيههم ما كان له الأثر الكبير في استوائها على سوقها، وهم...

وعظيم الشكر والوفاء لأساتذتي في قسم التاريخ- جامعة النجاح الوطنية على ما قدموه لي من علمهم ونصحهم وتوجيهم طيلة فترة دراستي في مرحلة الماجستير.

ولا يفوتني أن أتقدم بآيات الشكر والاحترام لموظفي مكتبة جامعة النجاح الوطنية على عونهم لي طيلة فترة إعداد هذه الدراسة وبخاصة الأستاذ فايز سلّوم.

الإقرار

أقرّ أنا الموقّعة أدناه مقدّمة الرسالة التي تحمل عنوان:

الجامع الأموي في دمشق في العصر المملوكيّ الأوّل (648-784هـ/1250-1382م) دراسة تاريخية حضارية

أقر بان ما اشتملت عليه نتائج هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تم الإشارة إليه حيث ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: **اسم الطالبة:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

فهرست المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشّكر والتقدير	د
الإقرار	هـ
فهرست المحتويات	و
الملخّص	ي
المقدّمة	1
دراسة في أهم مصادر البحث	6
مدخل جغرافي	16
الفصل الأول: الجامع الأموي قبل العصر المملوكي الأوّل	**20**
1- بداية الجامع الأموي وعمارته	21
أ- أصله	21
ب- بناؤه	26
2- وصف الجامع الأموي المعماري وهندسته	32
أ- مساحته	32
ب- أبوابه	33
ت- أروقته	37
ث- صحنه	41
ج- قبابه	42
ح- الفوّارة أو النافورة	47
خ- شمسياته	49
د- محرابه	50
ذ- مقصوراته	51
ر- مآذنه	53
ز- مشاهده	56
س- مرافق معمارية أخرى	59
• الكوارث وأثرها في عمارة الجامع الأموي	61

الموضوع	الصفحة
• دور الجامع الأموي في جوانب الحياة المختلفة	62
أوّلا: دوره السياسي	63
ثانياً: دوره الاجتماعي والديني	72
ثالثاً: دوره الاقتصادي والإداري	80
رابعاً: دوره العلمي	84
الفصل الثاني: الجانب المعماري والجانب الإداري للجامع الأموي في العصر المملوكي الأول	**95**
• الجانب المعماري	96
أ- الكوارث التي نزلتْ بالجامع	96
ب- التجديدات على الجامع	98
• الجانب الإداري	105
أ- أوقاف الجامع ونفقاته	105
ب- النظّار	108
ت- المؤذنون	117
ث- الشهود	128
ج- القيّمون عليه	137
أ. البوّابون	138
ب. المؤقتون	138
ت. الخُزّان	139
ث. المشرفون	140
ج. الكتّاب	142
ح. المكبّرون	143
الفصل الثالث: دور الجامع الأموي في جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية	**144**
• دوره في المجتمع	145
1- الجامع الأموي محفل الناس في العبادة والخوف والشكر والتضرّع والدّعاء	145
2- الجامع الأموي محفل الناس في سرورهم واحتفالاتهم الدينية	151

الموضوع	الصفحة
• أثره في الحياة الدينية	154
• الوظائف الدينية	155
أ- الخطابة	155
ب- الإمامة	171
ت- القضاء	180
ث- الوعظ	182
• التصوّف والجامع الأموي	185
• الجامع الأموي ودوره في الحياة السياسية	190
الفصل الرابع: دور الجامع الأموي في الحياة العلمية في العصر المملوكي الأول	**196**
أولاً: أماكن العلم في الجامع الأموي	197
ثانياً: الوظائف التعليمية في الجامع ومدارسه	206
أ- المدرّسون	207
ب- المتصدّرون	217
ت- مقرئو القرآن	222
ث- المحدّثون	226
ج- المعيدون	227
ح- المفيدون	230
ثالثاً: الأجور	231
رابعاً: ملابس الموظفين وأماكن إقامتهم	233
خامساً: طلاب الجامع	234
سادساً: النّظام التعليمي في الجامع الأموي ومرافقه العلمية	235
أ- المواد العلمية والتعليمية	235
ب- أوقات الدراسة	235
ت- طرق التعليم	236
1- طريقة التلقين	237
2- طريقة القراءة	238
ث- الإجازات العلمية	239

الموضوع	الصفحة
ج- مظاهر علمية وأدبية أخرى في الجامع الأموي	240
الخاتمة	**242**
قائمة المصادر والمراجع	**246**
Abstract	**b**

الجامع الأموي في دمشق في العصر المملوكيّ الأوّل
(648-784هـ/1250-1382م) دراسة تاريخية حضارية

إعداد
باسمة يوسف أحمد أبو لحية
إشراف
د. محمد عثمان الخطيب

الملخّص

تسلّط الدراسة الضوء على الجامع الأموي في دمشق في العصر المملوكي الأول (648-784هـ/1250-1382م)، واتبعت المنهج التاريخي، فجمعت مادتها من المصادر المختلفة وصنّفتها لتنسجم ومحتوى الدراسة. وقد تناولت بدايات تأسيس الجامع الأموي، وأصله، ووصفه المعماري، وهندسته من حيث مساحته وأبوابه وأروقته وقبابه ومآذنه ومرافقه الأخرى المتعددة. وتطرّقت إلى الكوارث الطبيعية التي حلّت به، وما ترتّب عليها من آثار مختلفة. أمّا رسالة الجامع التي شكّلت صلب الدراسة، فركزت على دوره السياسي إذ كان قبلة رجال الحكم والسياسة، وكانت على منبره تُقرأ فرمانات التعيين والعزل، وتبثّ سياسة الدولة العامة. وتحدّثت الدراسة عن الجانب الدينيّ وعن دوره في أداء العبادات، كالجمع، والأعياد، وصلاة الجنائز والغائب والاستسقاء وطلب الحاجة والكسوف والخسوف، وإقامة الاحتفالات كالمولد النبويّ، وذكرى الإسراء والمعراج ، وليلة النّصف من شعبان، وغير ذلك. وأظهرت الدراسة دور الجامع العلميّ، فبيّنت أن ساحاته غدت مركزاً لحلقات العلم، نهل منها الطلبة علوماً مختلفة: دينية ولغوية وعلمية وغيرها، وأضحى الجامع محط أنظار الطلبة من بلاد المشرق والمغرب، وحصلوا فيه على إجازات علمية مختلفة تؤهلهم لأن يتولوا التدريس والعمل. ووقفت الدراسة على الجانب الإدراي للجامع، وهو الذي أشرف عليه، وعلى موظفيه، وعلى تعيينهم ورواتبهم وتنظيم أعمالهم. وخلصت الدراسة إلى خاتمة أوضحت فيها أهم نتائجها.

المقدّمة

كثر الحديث في مصادر العصر المملوكي الأول (648-784هـ/1250-1382م) عن الجامع الأمويّ، فمن يقلّب صفحاتها، يجدها تناولته من جوانب وزوايا مختلفة، تعكس أثره العظيم في تاريخ تلك الحقبة الإسلامية، والباحث فيها يمكنه لملمة معلومات كثيرة عن اهتمامات سلاطين المماليك وأمرائهم ونوابهم بالجانب الحضاري والمعماري لهذا الجامع، إذ أجرى عليه غير واحد منهم تحديثات وتوسيعات، فأضاف إليه مرافق جديدة أعطته سعة في حجمه، وجمالاً في معماره. وكان هذا الجامع مهماً لأرباب الدولة أولئك، فقد كانت منابره مركزاً لدعايتهم السياسية، والترويج للذات، وكانوا من خلالها ينصّبون موظفي الدولة، ويعزلونهم، ويعلنون على الملأ فرماناتهم المختلفة، وفي صحن الجامع كانوا يشاركون الناس أفراحهم وأتراحهم وصلواتهم وأدعيتهم، وبخاصة حين تنزل فيهم المصائب والمحن المختلفة كالغزوات، والأمراض، والكوارث الطبيعية.

وشهد هذا الجامع حركة علمية نشطة، فألحقت به مدارس ودور حديث، تدرّس علوم الدين واللغة وغيرها، وتصدّر للتدريس فيها أكابر علماء ذلك العصر، وتخرّج على أيديهم علماء عظام.

ووقفت الأوقاف على هذا الجامع للنفقة عليه وعلى نشاطه العلمي والإداري والتنظيمي، وألحقت فيه أسواق، أسهمت في نهضة الحياة الاقتصادية في محيطه.

وكانت لهذا الجامع تنظيمات إدارية ودينية وموظفون كثر يتبعون له، كالناظر، والمؤذن، والخطيب، والمتصدّر، والعالم، والشاهد، والقيّم، وغيرهم.

وعلى الرغم من ذلك كلّه فإن المكتبة العربية تخلو من دراسة تاريخية متخصصة علمية شاملة تناولته من جوانبه المختلفة في العصر المملوكي الأول(648-784هـ/1250-1382م)، إلا بعض الدراسات التي أعطت معلومات قليلة عن الجامع في هذا العصر. ومن هنا جاءت هذه

الدراسة لتعطي صورة علميّة شاملة عن الجامع الأمويّ في العصر المملوكيّ الأول، ولتجيب عن الأسئلة الآتية:

1- ما دوره في جوانب الحياة الاجتماعية والدينية؟

2- ما الدور الذي أدّاه في الحياة الاقتصادية في ذلك العصر؟

3- كيف أثّر الجامع في الحياة العلمية والثقافية يومذاك؟

4- ما تنظيمات الجامع الإدارية؟

قامت الدراسة على المنهج التاريخي، إذ استقرأت المادة التاريخية من مظانّها المختلفة، وصنّفتها، وحلّلها لتنتظم وفصول الدراسة.

هناك بعض الدراسات السابقة، التي تناولت الجامع الأموي، يمكن الإفادة منها، ويمكن إجمالها في الآتي:

- دراسة عنوانها **(دمشق في عصر المماليك)**، للدكتور نقولا زيادة، نشرت بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، سنة 1966م، تحدّثت عن دمشق في عصر المماليك، وتطرّقت، دون تفصيل، إلى جوانب خاصة بالجامع الأموي، من خلال نصوص ابن جبير، وابن بطوطة، وابن فضل الله العمري.

- دراسة عنوانها **(الجامع الأموي في دمشق)**، لعلي الطنطاوي، صدرت طبعتها الأولى عن دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، سنة 1410هـ-1990م. تحدّثت عن بداية عمارة المسجد الأموي، وعن هندسته منذ أيام عبد الملك بن مروان حتى سنة 1959م، وأشارت إلى جوانب من هذه العمارة في العصر المملوكيّ الأول.

- دراسة عنوانها **(مدينة دمشق: تاريخها وتراثها وتطوّرها العمراني والمعماري)**، للدكتور عبد القادر الريحاوي، صدرت طبعتها الثانية عن دار البشائر، دمشق، سوريا، سنة

1416هـ-1996م. تناولت الدراسة جوانب من تاريخ مدينة دمشق وتراثها، وركّزت على الجانب العمراني والمعماري فيها، ومنها الجامع الأموي، وبعض عمارته في العصر المملوكيّ الأول.

- دراسة عنوانها **(نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز الحسامي الناصريّ(712-740هـ/1312م-1340م)**، وهي رسالة ماجستير غير منشورة أعدها الطالب: عبد الجبار أحمد حمد العملة، وأشرف عليها د. محمود علي عطا الله، سنة 1421هـ-2000م. تحدّثت عن دمشق أيام نيابة الأمير تنكز، وتناولت جوانب من اهتمامه بالجامع الأموي، وبعض الإضافات التي أضافها إليه.

- كتاب عنوانه **(دمشق في عصر سلاطين المماليك مشاهد وأحداث من نصوص أدب الرحلات العربية)**، لأحمد أيبش، صدرت طبعته الأولى عن دار شرف، دمشق، سوريا، سنة 2005م، تحدّثت فيه عن الجامع الأموي من خلال نصوص أدب الرحلات، مثل رحلة ابن بطوطة، واستعرضت ما قدّمته عنه من معلومات تتعلق بدوره الاجتماعي والسياسي والعلمي والديني يومذاك.

- بحث عنوانه **(خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أميّة في دمشق من القرن(6هـ-10هـ / 12م-16م)**، للدكتور سمير الدروبي، ضمن كتاب(المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام: الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلاميّ إلى نهاية القرن العشرين، عقد بتاريخ 17-21 شعبان، (1427هـ /10-14، أيلول، 2006م)، المجلد الثاني، تحدث فيه عن خزائن الكتب الموقوفة على الجامع الأموي في تلك في القرون المذكورة أعلاه، ومن بينها العصر المملوكي الأول والثاني، وعدّد أسماء هذه الخزائن.

أمّا محتوى الدراسة، فقد انتظم عقده في مقدمة ومدخل جغرافي، وأربعة فصول، وخاتمة.

وشملت المقدمة الحديث عن مشكلة الدراسة وأهدافها ومنهجها، وعرضت الدراسات السابقة التي يمكن الإفادة منها فيها، ثم محتوى الدراسة.

احتوى المدخل الجغرافي على: التسمية، والموقع، والمناخ، والسور والأبواب.

تناول الفصل الأول الجامع الأموي قبل العصر المملوكي الأول(648-784هـ/1250-1382م)، فبحث في عمارة الجامع من حيث أصله وبناؤه، ونفقاته، وهندسته المعمارية، وأثره في جوانب الحياة المختلفة.

وعرض الفصل الثاني للجانب المعماري والإداري للجامع الأموي في العصر المملوكي الأول (648-784هـ/1250-1382م)، فقدّم صورة عمّا نزل به من كوارث، وما أحدث عليه من تجديدات، وتحدّث عن أوقافه، وعن الموظفين والإداريين فيه، كالنظّار، والمؤذنين، والشهود، والقيّمين، والبوابين، والمؤقتين، والخزّان، وغيرهم.

أمّا الفصل الثالث، فخصص للحديث عن أثر الجامع في الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية، فبيّن ما كان يجري فيه من طقوس وشعائر، وما كان يعقد فيه من اجتماعات للدعاء أو الاحتفال أو المناقشة في الأمور الاجتماعية الطارئة كالغزو والكوارث الطبيعية، وتحدّث عمّا كان يعقد فيه من صلوات مختلفة: الفرائض، والأعياد، والاستسقاء، والجنائز، وصلاة الغائب، والكسوف والخسوف. ووقف على أثره في الحياة السياسية، ودوره في سياسات السلطة المملوكية، والدعاية الإعلامية لها، إذ كشف أنّه كان وسيلتهم في التقرّب إلى الناس، وفي نشر سياساتهم المختلفة، وفي الإعلان عن موظفيهم الجدد ونوابهم أو في الإعلان عزلهم، وبيّن مشاركتهم الناس في بعض شعائرهم واحتفالاتهم المختلفة، وغير ذلك.

ووقف الفصل الرابع على دور الجامع الأموي في الحياة العلمية في العصر المملوكي الأول(648-784هـ/1250-1382م)، ففصل في الحديث عن أماكن العلم فيه من حلقات وزوايا ومدارس، ثم الوظائف التعليمية المختلفة، مثل وظيفة المدرس، والمتصدّر، والمعيد، والمفيد، وغيرها، وما يتعلق بها من أجور ونفقات وملابس وأماكن إقامة، وتحدّث عن طلاب العلوم، وعن النظام التعليمي من حيث المواد العلمية والتعليمية، وأوقات الدراسة، وطرق التعليم، والإجازات العلمية.

ولخّصت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وفي الختام أسأل الله العظيم أن يكون في هذه الدراسة ما هو جديد، يُضاف إلى الدراسات التي تناولت هذا الصرح العلمي والديني العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

دِراسَة في أَهم مصادر البحث

لقد أحاطت هذه الدراسة بمصادر كثيرة، تناولت العصر المملوكي الأول(648-784هـ/1250-1382م)، وتحدثت في ثناياها عن الجامع الأموي، وكانت هناك مصادر مهمة أكثر من غيرها استقت منها الدراسة معلوماتها، وفي الصفحات القادمة عرض لبعضها، وهي:

- رحلة ابن جبير إلى الشام والحجاز والعراق، والمسماة تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، وكاتبها هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير البلنسي الشاطبي، ولد في بلنسية سنة (540هـ/1146م)[1]، وقيل سنة (539هـ/1145م)، ونشأ في شاطبة في بلاد الأندلس[2]، وتوفي سنة (614هـ/1217م)[3].

تحدّثت المصادر عن علمه وثقافته، فوسم بالإمام الرئيس، وتميّز بعلوم العربية والفقه والحديث، وكان أديباً، له شعر ونثر، تلمذ على يد أبيه، وعلى علماء الأندلس وبغداد ومكة، وأخذ عنه الكثيرون. وعرف بزهده وتقواه، وبأخلاقه الرفيعة[4]. ارتحل إلى المشرق ثلاث مرات، ابتداء من سنة (578هـ/1182م)، إلى سنة (571هـ/1185م)[5]. وكان نتيجة هذا الترحال أن دوّن رحلته، وما شاهده فيها، فجاءت مليئة بالمشاهدات والتجارب المختلفة، والمعلومات المفيدة عن جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية والعلمية والسياسية والحضارية في البلدان التي زارها في مصر والشام والحجاز والعراق، وتميّزت بأن مصدرها كان ما رآه، وما سمعه، وما روي له من أخبار وحكايات في فترة محددة من التاريخ الأيوبي[6]. وكانت وفاته في رحلته الثالثة إلى مصر في مدينة الإسكندرية[7].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص5 من المقدمة، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص163، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص60، الزّركلي، الأعلام، ج5، ص319.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص5 من المقدمة، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص11.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص5 من المقدمة، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص163، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص60، الزّركلي، الأعلام، ج5، ص319.

[4] الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص163، 163، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص61.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص5 من المقدمة، الزّركلي، الأعلام، ج5، ص320، عوض، إبراهيم، رحلة ابن جبير الأندلسي دراسة في الأسلوب، ص12.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص5 من المقدمة، الزّركلي، الأعلام، ج5، ص320.

[7] الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص163، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص61.

ويتميّز أسلوب ابن جبير في رحلته بالواقعية التي تمثلت بذكره مصادر رحلته، وبعرضه خط سيره وتسلسله، حتى إنّه قدّم لنا مناطق هامشية حفاظاً على تماسكها النصيّ، وتتابع المشاهد فيه، وحدّد التواريخ بدقة، وكان له اهتمام بالزمن، وبخاصة في عرض وقت دخول المناطق والخروج منها، ثم وقت مغادرتها، وكانت لغة رحلته أدبية، وامتازت بسهولتها[1]، وبوصفها الدقيق للأماكن التي شاهدها، وبكثرة الألفاظ الدينية فيها، وتحدث فيها عن رفقة السفر، ولعلّ أهم ما يميزها ذلك الوصف الدقيق لمظاهر الحياة المختلفة، وما فيها من جوانب إيجابية، وأخرى سلبية، هذه الأساليب جمعاء جعلت الرحلة مهمة ومفيدة للدراسات الأدبية، ولفروع العلوم الإنسانية المختلفة من تاريخ واجتماع وسياسة واقتصاد وجغرافيا وغيرها.

اعتنى ابن جبير في رحلته بوصف مدينة دمشق في العصر الأيوبي، ووقف في صفحات عديدة على الجامع الأموي، وكانت مشاهداته فيه، وزيارته المتكررة له عاملاً مهما في ذلك الوصف الدقيق للجامع في تلك الحقبة من الزمن، بعد أن ابتدأ بالحديث عن تاريخ بنائه، وقد فصّل فيها بالحديث عن عمارة الجامع وهندسته من حيث مساحته، وأبوابه، وشمسياته، ومقصوراته، وصحنه، وقبابه، وبخاصة قبة النسر، ومآذنه، ودهاليزه المختلفة، ومشاهده، وهو في كل ذلك يعرض لجوانب من الحياة الاجتماعية والعلمية فيه، وبخاصة حلقاته وزواياه.

- كتاب الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ومؤلفه عز الدين أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن علي بن شدّاد الأنصاري الحلبي[2]، وذكرت بعض المصادر أنه محمد بن علي بن إبراهيم بن شدّاد، وأكملت بقية النسب[3]. ولد في حلب سنة (613هـ/1216م)[4]، (613هـ/1216م)[4]، وقيل سنة (623هـ/1226م)[1]. وتوفي سنة (684هـ/1287م)[2].

---

[1] كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص301، عوض، إبراهيم، رحلة ابن جبير الأندلسي، ص12.

[2] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج4، ص270، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص194، العبر في خبر من غبر، ج3، ص356، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص25، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، 388.

[3] النويري، نهاية الأرب، ج31، ص128، الكتبي، عيون التواريخ، ج21، ص357، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص189، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص305، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص33، المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص494.

[4] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج4، ص270، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص194، العبر في خبر من غبر، ج3، ص356، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص190،، الكتبي، عيون التواريخ، ج21، ص357، ابن كثير، البداية والنهاية،

(684هـ/1287م)[2]. عرف ابن شداد بدينه وتقواه ومروءته، وكان يعمل على قضاء حوائج الناس، واشتهر في مدينة حلب، فكان من أكابرها، وصدراً كبيراً فيها، قرّبه أرباب الدولة وكرّموه، عاش في مصر بعد سقوط حلب بيد المغول سنة (658هـ/1260م). درس ابن شداد علم الحديث، فسمع وروى وحدّث، وكتب في التاريخ الأعلاق الخطيرة، وسيرة الملك الظاهر بيبرس(ت676هـ/1278م)، وكان أديباً بليغا[3].

يعدّ كتابه الأعلاق الخطيرة من الكتب المهمة التي أرّخت للشام حتى عصره، وشمل الحديث عن حلب ودمشق والجزيرة الفراتية، وفي القسم الخاص بمدينة دمشق، وقف ابن شداد على الجامع الأموي منذ بنائه حتى الحقبة الزمنية التي عاش فيها، وهي المملوكية الأولى، التي امتدت لأربع وعشرين سنة، فحوى كتابه معلومات مهمة عن الجامع الأموي في أوائل ذلك العصر، وشمل الحديث عنه بصورة عامة عن تاريخ بناء الجامع، ونفقاته، وهندسته المعمارية، والتجديدات التي طرأت عليه عبر العصور، ووقف على جوانب من الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية، وبخاصة حديثه عن أئمته ومشاهده، وعن الحلقات والمدارس، وأرباب العلوم فيها.

- كتب الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني[4]، الفارقي الدمشقي

ج13، ص305، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص33، المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص494. ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص388.

[1] المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص494.

[2] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج4، ص270، النويري، نهاية الأرب، ج31، 128، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص194، العبر في خبر من غبر، ج3، ص356، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص25،، الكتبي، عيون التواريخ، ج21، ص357، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص189، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص305، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص33، المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص494. ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، 388.

[3] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج4، ص270–271، النويري، نهاية الأرب، ج31، 128، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص194–195، العبر في خبر من غبر، ج3، ص356، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص25،، الكتبي، عيون التواريخ، ج21، ص357، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص190، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص305، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص33–34، المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص494. ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، 388.

[4] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص415، الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص315، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص216، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص230، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص226، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص182، الظاهري، نيل الأمل، ج1، ص159، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص153.

الشافعي، المعروف بشمس الدين الذهبي[1]. ولد سنة (673هـ/1275م)[2]. عمل في بداية حياته مع والده في الذهب[3]، ثم انشغل في طلب العلم، فرحل في طلبه إلى بلدان كثيرة، وهي القاهرة، والإسكندرية، والحجاز، وبعلبك، وطرابلس، وحمص، وحماة، وحلب، والرملة، والقدس[4]. درس علم الحديث على الكثير من شيوخه في البلدان التي زارها، وجمعهم في معجمه المسمى "معجم شيوخ الذهبي"، وقد أضحى شيخاً علماً في هذا الميدان، فروى الحديث، وأتقن علمي الجرح والتعديل، وعارفاً برجال الحديث وأحوالهم[5]، وخصّ هذا العلم بعض مصنفاته، ومنها "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"[6]، و" تذكرة الحفاظ"، ولهذا أطلق عليه الحافظ وشيخ المحدثين[7]، ويعدّ الذهبي من أشهر مؤرخي الإسلام، فقد ترك مصنفات كثيرة ومهمة فيه، لا غنى عنها للمختصين والباحثين في هذا المجال، ومنها كتابه الكبير "تاريخ الإسلام"، و"العبر في خبر من غبر"، و"دول الإسلام"، و"سير أعلام النبلاء"، فضلاً عن معجم شيوخه آنف الذكر، وهذا ما دعا ابن كثير إلى تلقيبه بمؤرخ الإسلام[8]. وله الكثير من الكتب الأخرى في الحديث والتاريخ[9].

---

[1] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص426، المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص3، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص182، السخاوي، وجيز الكلام، ج1، ص31، الظاهري، نيل الأمل، ج1، ص160.

[2] الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص317، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص216، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص426، المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص3، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص182، الظاهري، نيل الأمل، ج1، ص160، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص154.

[3] شميساني، حسن، الحافظ شمس الدين الذهبي، ص47.

[4] المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص3، 6، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص182، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص154-155.

[5] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص415-416، الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص315، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص216-217،ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص426-427، المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص4-6، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص182، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص145-155.

[6] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص416.

[7] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص335.

[8] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص335.

[9] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص417.

وعرف الذهبي بذكائه، وحبّه للعلم، وتعصّبه لمذهبه الشافعي، وكان يميل لـــبعض آراء الحنابلة، ولهذا عبّر عن إعجابه بآراء ابن تيمية(728هـــ/1328م)[1]. عمل الذهبي فـــي غيـــر وظيفة ومكان، فقد تصدّر للتدريس في الجامع الأموي وحلقاته وزواياه المختلفة، وتولّى المشيخة في غير دار حديث في دمشق، وشغل منصب الخطابة في دمشق، ودرّس فـــي عـــدة مـــدارس فيها[2]. واستمر في عمله وعلمه وتأليفه، وتأتيه الوفود وطلاب العلوم لينهلوا العلم على يديه إلى إلى أن أضرّ في أخريات حياته[3]، وظلّ على هذه الحال حتى وفاته سنة (748هـــ/1347م)[4].

(748هـــ/1347م)[4].

لقد كانت كتب الذهبي في التاريخ من مصادر الدراسة المهمّة، ففيها معلومات قيّمة عن الجامع الأموي، وبخاصة في العصر المملوكي الأول، فهو ابن العصر، وعاش في دمشق، وتلمذ على شيوخها وشيوخ الجامع تحديداً، فذكرهم في كتبه المختلفة، وبخاصة تاريخ الإسلام، ومعجم شيوخ الذهبي، والعبر في خبر من غبر، وكان على اطلاع كبير على الجامع ودوره الاجتماعي والديني والعلمي والسياسي، فهو أحد شيوخه، وكان يرتاده في أوقات كثيرة، ومن هنـــا كانـــت المادة العلمية الخاصة به كثيرة في مؤلفاته، وموزعة فيها، استقرأتها الدراسة، وأفادت منها في معظم فصولها، وغطّت مساحة زمنية للعصر المملوكي الأول تزيد على التسعين سنة.

- كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ويعدّ من الموسوعات المهمة في تراثنـــا، ألّفـــه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلّي بن دعجان بن خلف ابن أبي

---

[1] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص415، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص217، ابن حجر، الدرر الكامنـــة، ج1، ص315،

[2] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص417، شميساني، حسن، الحافظ شمس الدين الذهبي، ص67.

[3] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص416، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص217، ابن حجر، الدرر الكامنـــة، ج3، ص427.

[4] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج4، ص270–271، النويري، نهاية الأرب، ج31، 128، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص194–195، العبر في خبر من غبر، ج3، ص356، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص25،، الكتبي، عيـــون التـــواريخ، ج21، ص357، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص190، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص305، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص33–34، المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص494. ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، 388.

الفضل القرشي العدوي العمري[1]. ولد سنة (697هـ/1298م)، وتوفي سنة (749هـ/1349م)[2]، وقيل ولد سنة (700هـ/1301م) في مدينة دمشق[3]. تلقى العمري ثقافة واسعة، وتبحر في علوم مختلفة، أخذها عن كبار علماء عصره في مصر التي شبّ فيها وعن شيوخ الشام والحجاز ومنها الفقه، والأصول، وعلوم العربية، والإنشاء، وكان مفتياً على المذهب الشافعي[4]، وله معرفة واسعة في التاريخ والجغرافيا والأنساب والفلك[5]، وكان أديباً له نظم ونثر، ولشهرته فيه وفي الكتابة لقّب بحجّة الكتّاب، وبإمام أهل الأدب[6]، ووصف بالفصاحة والبلاغة والذكاء والفطنة وحسن الذوق[7]. أهّلته مكانته في الكتابة أن يتولّى كتابة السرّ[8] في الدولة المملوكية، وكان يقرأ البريد السلطاني، وأنشأ بخطّه الكثير من التقاليد والمناشير والتوقيعات ومكاتبات الملوك والسلاطين والحكّام[9]. صنّف ابن فضل الله العمري مصنفات كثيرة في الأدب والتاريخ والإنشاء، ومنها كتاب

---

[1] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص250، الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص158، المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص25، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص352، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص334، المنهل الصافي، ج2، ص261-262، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص160، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص410.

[2] المقريزي، المقفى الكبير، ج1، ص26، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص262.

[3] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص254، الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص159، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص352، السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص465، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص234، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص161.

[4] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص254-255، الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص159-160، المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص26-27، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص234-235، المنهل الصافي، ج2، ص262-264، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص410.

[5] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص255، الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص259، المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص27.

[6] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص250، الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص158، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص262.

[7] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص253-254، الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص158-159، المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص26-27، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص234-235، السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص465.

[8] من الوظائف المستحدثة في العصر المملوكي الأول، وكانت صلته بالسلطان مباشرة، فكان يعبّر عنه بـ"صاحب ديوان الإنشاء بالشام المحروس"، وكان يوقع بدار العدل، ويجتمع بنائب السلطان في أوقات مخصوصة، تتعلق بالأمور السلطانية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص195.

[9] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص255، الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص160، المقريزي، المقفى الكبير، ج2، ص27، ابن حجر، الدرر الكامنة،ج2، ص335.

"فواضل السّمر في فضائل آل عمر"، في أربع مجلّدات، وكتاب "الدعوة المستجابة"، وديوان "صبابة المشتاق"، وهو شعر في المديح النبوي، وكتاب "سفرة السفرة، و "دمعة الباكي، و"ويقظة الساهر"، و" التعريف بالمصطلح الشريف"، وموسوعة "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، وهذا الكتاب له أهمية كبيرة في علوم مختلفة: الأدب، والتاريخ، والتراجم، والجغرافيا، والأنساب، وهو في سبعة وعشرين مجلّداً، وحظي الجامع الأموي بصفحات كثيرة في الجزء الأول منه، تناولت تاريخ بنائه، والحكايات المروية عن هذا البناء، وعن نفقاته، وهندسته المعمارية، ومرافقه المختلفة، وما طرأ عليها من تجديدات عقب ما نزل بها من كوارث طبيعية. وتحدّث عن دوره في الحياة الدينية والاجتماعية والعلمية عبر العصور، ومنها العصر المملوكي الأول، فأضاف معلومات جديدة، ولكنّها لم تكن كثيرة، وتوزّعت على فصول الدراسة.

- كتب صلاح الدين الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله، وهو من أصول تركية، ولد سنة (696هـ/1297م)، في صفد[1]، وتوفي سنة (764هـ/1363م)[2]. تلقى العلوم المتنوعة التي كانت شائعة في عصره، فمهر بها، واشتغل وصنّف، وأخذها عن كبار علماء العصر المملوكي الأول، وبخاصة علوم الحديث، والفقه، وعلوم العربية من نحو وبديع، وتميّز في علم التاريخ، وكان أديباً، له نظم ونثر كثير[3]، وهو أحد فحول أدباء عصره ونقّادهم. شغل الصفدي كتابة الإنشاء في مصر[4]، ثم كتابة السر في حلب وصفد[5]، وتولى وكالة بيت المال بدمشق، وأفاد بالجامع الأموي[6]. صنّف الصفدي مؤلفات كثيرة في مجالات علمه المختلفة، ومنها كتاب "ألحان السواجع بين البادي والمراجع، و "التذكرة الصفدية"، و"لوعة

---

[1] الظاهري، نيل الأمل، ج1، ص353، ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص200.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص303، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص176، السخاوي، وجيز الكلام، ج1، ص135، الظاهري، نيل الأمل، ج1، ص353، ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص200.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص303، الظاهري، نيل الأمل، ج1، ص354، ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص200، العملة، عبد الجبار، دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص26.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص303، ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص201.

[5] الظاهري، نيل الأمل، ج1، ص354، ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص201.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص303، ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص201.

الشاكي ودمعة الباكي"، و" الشعور بالعور"، وكتاب" جنان الجناس، و"فض الختام عن التورية والاستخدام"، و "والتذكرة والتنبيه"، و "صرف العين"، و" تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنوّاب"، و "الوافي بالوفيات"، و"أعيان العصر وأعوان النّصر". وقد كان لهذه المصادر الثلاث الأخيرة أهمية كبيرة في الدراسة عن الجامع الأموي، ولا شك أن المعلومات التي قدّمها فيها كثيرة، وموضوعاتها متنوعة، شملت فصول الدراسة، وزادت على سابقاتها من المصادر ما يقرب من خمس عشرة سنة، فكتاب تحفة ذوي الألباب، وهو مجلدان، تحدث عن رجال السياسة الذين حكموا دمشق عبر التاريخ حتى وقته، فقدّم فيه معلومات عن الجامع الأموي في عهودهم، وما كان له من دور في سياستهم في جوانب الحياة المختلفة. أمّا كتابه الوافي بالوفيات، وأجزاؤه اثنان وثلاثون، فهو مصدر تراجم مهم في التاريخ، توزعت على كل العصور من الجاهلية حتى عصر الكاتب، فشمل رجال الأدب والسياسة، وعلوم العربية والتاريخ والطب والفلسفة والجغرافيا والحديث والفقه والأصول والتفسير وغيرها، وكان فيه معلومات سياسية واجتماعية ودينية واقتصادية وحضارية، أفادت منها الدراسة في فصولها المختلفة. ثم ألّف كتابه أعيان العصر وأعوان النصر في ستة مجلدات، فاختار رجالات عصره المملوكي الأول، فجاءت المعلومات فيه تتضمّن ما جاء في الوافي بالوفيات، وأضاف إليه معلومات أخرى مهمة عن العصر محلّ الدراسة.

- كتاب البداية والنهاية، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ابن ضوء بن ذرع بن شهاب الدين أبي حفص القرشي البصروي الشافعي[1]. ولد في بصرى الشام من أعمال مدينة دمشق، سنة (701هـ/1301م)[2]، وقيل سنة (700هـ/1300م)[3]، وتوفي وعمره 74 عاماً، سنة(774هـ/1372م).[1] توفي والده

[1] ابن العراقي، الذيل على العبر، ج3، ص358، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص158، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص218، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص415.

[2] ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص158، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص415.

[3] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص218.

وعمره أربع سنوات، فربّاه أخوه[2]، ولمّا كبر جدّ واجتهد في طلب العلم، والاشتغال فيه، حتى أضحى من كبار مؤرخي عصره وحفّاظه ومحدثيه وفقهائه ومفسريه، وتميّز بعلوم العربية[3]، وقد أخذها عن كبار علماء عصره، وصنّف فيها العديد من المصنفات، وعمل ابن كثير في الإفتاء والتدريس، وأضرّ في آخر حياته[4]. ومن الكتب التي صنّفها " طبقات الشافعية"، و"تفسير ابن كثير، و"قصص الأنبياء"، وخرّج مختصر أحاديث ابن الحاجب، وكتب الإحكام على أبواب التنبيه"، واختصر "تهذيب الكمال"، وكتاب "البداية والنهاية"، طبع في خمس عشر مجلداً، وهو من المصادر المهمة في التاريخ عبر عصوره المختلفة حتى أواخر العصر المملوكي الأول، فأضاف فيه معلومات مهمة عن الجامع الأموي من لحظة بنائه حتى سنة (767هـ/1365م)، وكانت موزعة على أجزائه التي تناولت التاريخ من العصر الأموي، وجاءت في سياق عرضها، والحديث عن الشخصيات التي تناولها، وتكمن أهميتها أن المؤرخ ابن كثير عاش في دمشق، وعمل في الجامع الأموي، ودرس فيه، وكان على اطلاع عن قرب على دوره في جوانب الحياة المختلفة: السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والعلمية والحضارية، وكان لما قدّمه في كتابه من معلومات واقعية عنه في العصر المملوكي الأول أهمية في فصول الدراسة.

- رحلة "تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، لابن بطوطة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي[5]. ولد سنة(703هـ/1304م)، وتوفي

---

[1] ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص85-86، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص218، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص416.

[2] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص218، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص415.

[3] ابن العراقي، الذيل على العبر، ج3، ص358، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص158، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص414.

[4] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص218.

[5] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص100، الزبيدي، تاج العروس، ج5، ص109،حاجي خليفة، كشف الظنون، ج6، ص169 ، الزركلي، الأعلام، ج6، ص235، العدوي، إبراهيم، ابن بطوطة في العالم الإسلامي، ص6، كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج10، ص235، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص421، دائرة المعارف الإسلامية، م1، ص99، البستاني، بطرس، كتاب دائرة المعارف، م1، ص399، الصياد، محمد، رحلة ابن بطوطة، م3، ص103.

سنة (779هـ/1377م)[1]، في مدينة طنجة على مضيق جبل طارق شمال المغرب[2]، ويعود أصله لقبيلة لواتة البربرية[3]. نشأ ابن بطوطة في أحضان والديه، في أسرة علم، وامتهن القضاء، وتعلّم القراءة والكتابة فيها[4]، وأتقن الفارسية[5]، وتفقه على المذهب المالكي، وتبحر في الجغرافيا والتاريخ، فضلاً عن معرفته الأدب شعره ونثره. شغل منصب القضاء غير مرة في بلاد المغرب وفي دلهي في الهند[6]. لم يترك ابن بطوطة مؤلفات سوى رحلته التي ابتدأها في (رجب 725هـ/أغسطس 1325م)، وكان عمره إحدى وعشرين سنة، وهدف منها ابتداء الحج، وتلقي العلم على علماء المشرق، ترك المغرب وتوجه إلى مصر، وزار مناطق كثيرة في العالم المعروف يومذاك، واستمرت رحلته 27 عاماً[7]، ومن البلاد التي زارها الحجاز والشام والعراق واليمن والبحرين وبلاد فارس والسند والهند وباكستان وأفغانستان والروم والصين وغيرها الكثير، وقدّم عنها في رحلته معلومات مهمة مما رأى أو سمع وروي له، تناولت جوانب الحياة المختلفة الاجتماعية، والدينية، والسياسية، والاقتصادية، والحضارية، والعلمية، والجغرافية، والحضارية، وتكمن أهميتها في ما عرضه عن البلدان غير العربية، فقد تفرّد بمعلومات لا توجد في كتاب عربي قبله. وما يهم في رحلته ما قدمه عن دمشق في العصر المملوكي الأول التي زارها سنة(726هـ/1326م)، ووصف جامعها الأموي، واتبع في منهجه طريقين:

---

[1] ابن بطوطة، الرحلة، ص15 من المقدمة، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج6، ص169، العدوي، إبراهيم، ابن بطوطة في العالم الإسلامي، ص6، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص422، كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج10، ص235، الصياد، محمد، رحلة ابن بطوطة، م3، ص103، بروكلمان، ابن بطوطة، م1، ص99،

[2] ابن بطوطة، الرحلة، ص15 من المقدمة،الزركلي، الإعلام، ج6، ص235، العدوي، إبراهيم، ابن بطوطة في العالم الإسلامي، ص6، كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج10، ص236، بروكلمان، ابن بطوطة، م1، ص99.

[3] ابن بطوطة، الرحلة، ص15 من المقدمة، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص422، الصياد، محمد، رحلة ابن بطوطة، م3، ص103.

[4] ابن بطوطة، الرحلة، ص15 من المقدمة، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص422.

[5] الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص825.

[6] ابن بطوطة، الرحلة، ص15 من المقدمة، ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص565، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص103.

[7] الزركلي، الأعلام، ج6، ص236.

1- النقل عمّن سبقوه من رحالة، وبخاصة ابن جبير، فتقاطع معه في معلومات كثيرة، وبخاصة تلك التي تتعلق بهندسة الجامع وبنائه، ومرافقه المعمارية.

2- تفرد بمعلومات اجتماعية ودينية وعلمية واقتصادية اطلع عليها فيه إبّان زيارته له.

مدخل جغرافي

تعدّدت الأسماء التي نطق به اسم مدينة دمشق، والتفسيرات التي أعادت أصل اشتقاقها، وكان وراء ذلك الأمم التي سكنتها ولغاتها التي تكلّمت بها، فقيل: سمّيت دِمِشْق أو دِمَشْق نسبة إلى بانيها دمشق ابن قاني بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح[1]. ونسبها بعضهم إلى غلام إبراهيم الخليل، ويُدعى دِمَشْق أو دماشق بن نمرود بن كنعان[2]. وذكروا أنها مشتقة من لفظة دَمْشَقوها أي أسرعوا في بنائها[3]. وورد اسم دمشق في رسائل تل العمارنة بلفظ تمشقو ودمشقا، ودمشقا، وفي النصوص الآشورية دمشقي أو تمشكي، وورد اسمها في التوراة متّصلاً بقصة نبي الله إبراهيم، عليه السلام. وسمّاها الآراميّون دارمشق بمعنى الأرض أو الدار المسقيّة. وأطلق عليها اليونان والرومان داماسكس[4] أو دودمسكس وتعني المسك المضاعف لطيبها[5].

وسمّاها الأعاجم جِلّق، وذكروا أن ملكهم دمشوش بناها، وحفر نهرها[6]، ومن أسمائها جيرون نسبة إلى جيرون بن سعد بن عاد بن عوص، وسمّي أحد أبوابها بهذا الاسم[7]، وسمّيت بالفيحاء لاتساعها[8]. وأطلق عليها اسم الشام، لأنها قاعدة بلاد الشام، وأجمل مدنها وأكبرها، وهذه التسمية نسبة إلى سام بن نوح الذي يطبق عليه شام بالسريانية، وقيل: لأنّ قوماً من كنعان تشاءموا إليها أي تياسروا إلى أرضها، وعلّل سبانو هذه التسمية أنّ أرضها شامات حمر وبيض وسمر[9].

---

(1) الهمذاني، كتاب البلدان، ص155، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص140، الحميري، الروض المعطار، ص237.

(2) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، م2، ص528، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص92،الحميري، الروض المعطار، ص237، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص240.

(3) الهمذاني، كتاب البلدان، ص155، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص140، البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص534.

(4) طلاس، المعجم الجغرافي، م3، ص351، الريحاوي، عبد القادر، مدينة دمشق تاريخها وتراثها، ص19، علبي، عاطف، موسوعة عواصم الإسلام، ص272.

(5) طلاس، المعجم الجغرافي، م3، ص351.

(6) الحميري، الروض المعطار، ص237، إيبش، أحمد ، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص240.

(7) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص92، سبانو، أحمد، دمشق، في دوائر المعارف، ص49.

(8) طلاس، العماد، المعجم الجغرافي، م3، ص351، سبانو، أحمد، دمشق، في دوائر المعارف، ص49.

(9) سبانو، أحمد، دمشق، في دوائر المعارف، ص49.

أمّا **موقع** دمشق فلكيّاً، فهو على خط الطول 18,36 شرق غرينتش، وخط العرض 21,33 شمالاً، وترتفع 2130 قدما أي ما يعادل 680 أو 700 متر عن مستوى سطح البحر[1]. وموقعها في العالم العربي، فعلى حافة الصحراء العربية الشامية من جهة الشرق، خلف الجبل المزدوج لجبال لبنان الشرقية والغربية، وتبعد عن البحر الأبيض المتوسط حوالي 45 ميلاً[2]، وعن بيروت 112 كيلومتراً، وعن القدس 126 ميلاً، وتوجد في سهل خصب جميل، وتمتاز بكثرة بساتينها[3]، ويشرف عليها من جهة الشرق جبل قاسيون[4]، ومن جهة الغرب جبل[5] الشيخ[6].

واشتهرت دمشق **بسورها** الضخم، الذي بني في عهد الرومان، ويحيط بها من جوانبها جميعها[7]، وهو محصّن مبنيّ من الحجارة، ومستقيم من جوانبه الشرقية والغربية والجنوبية حاشا جانبه الشمالي فإنه متعرج فيه بسبب مجاراته نهر بَرَدى[8].

وتقسم مدينة دمشق إلى قسمين: قسم قديم جدّاً، وهو داخل السور، ويقع الجامع الأموي في قلب هذا القسم في الجهة الشمالية منه، أما القسم الآخر، فهو خارج السور[9].

---

[1] طلاس، المعجم الجغرافي، م3، ص350، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص32.

[2] العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص32-33.

[3] سبانو، أحمد، دمشق، في دوائر المعارف، ص49.

[4] من أحسن جبال الشام ،وقد سطّرت حول الجبل أساطير وقصص، إذ عدّ مكاناً مقدساً، فيه آثار الأنبياء والأولياء والصحابة، وبه كهف ومغارة الدم، وعرف بجمال منظره، وطبيعته الخلاّبة، البدري، نزهة الأنام في محاسن الشام، ص39-41، ابن الوردي، خريدة العجائب، ص187.

[5] أعلى قمة في بلاد الشام، إذ بلغ ارتفاعه 2814. انظر العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص32.

[6] العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص33.

[7] القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص92، طلاس، العماد، المعجم الجغرافي، م3، ص357.

[8] من أهم أنهار دمشق، ينبعث من جبالها ،ويشقها ويشق غوطتها، ثم يصبّ بالبحر، وسمّي ببردى لبرودة مائه. الحموي، معجم البلدان، م1، ص450، الحميري، الروض المعطار، ص89، سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف، ص50، علبي، عاطف، موسوعة عواصم الإسلام، ص275.

[9] زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص79. علبي، عاطف، موسوعة عواصم الإسلام، ص275، بهنسي، عفيف، دمشق العمارة والفن الموسوعة العربية، م9، ص351.

وتوجد في دمشق **قلعة** في الجانب الشمالي الغربي من السور، وتمثّل قصر الحكم، وفيها جميع الدوائر. ويوجد داخل السور خانات كثيرة وواسعة، وحمّامات عامّة جميلة، وأسواق متعددة، وأضرحة للصحابة والحكّام والأمراء[1].

وهناك عدة **أبواب** لمدينة دمشق، ذكر ابن عساكر أنّها سبعة، بُنيت على الكواكب السبعة، وهي باب كيسان، ويمثّل كوكب زحل، وباب شرقي يمثّل الشمس، وباب توما ويمثّل الزهرة، والباب الصغير يمثّل المشتري، وباب الجابية، ويمثّل المرّيخ، وباب الفراديس، ويمثّل عطارد، والباب المسدود، ويمثّل القمر[2]. وبنى المسلمون بابي الفرج والنصر[3]. وذكر ابن جبير ثمانية أبواب لدمشق، وهي باب شرقي، وباب توما، وباب السلامة، وباب الفراديس، وباب الفرج، وباب النّصر، وباب الجابية، والباب الصّغير[4]. وذكر الحميري أنها أربعة أبواب، وهي الجابية وتوما وكيسان والباب الشرقي[5].

أمّا **طبيعة دمشق**، فتميّزت المدينة بكثرة أنهارها وعيونها، ووفرة مياها، يقول شيخ الربوة في وصفها: "حتى لو حفر الإنسان أينما حفر من أرضها وجد مجاري الماء تحته مشتبكة طبقات يمنة ويسرة شيئاً فوق شيء"[6]، وذكر البدري أن عيون الماء فيها وفي غوطتها بلغت 360 عيناً[7]. إن هذا الجمال الطبيعي الذي تميّزت به دمشق دفع الواصفين إلى جعلها جنة الله في الأرض[8].

---

[1] طلاس، العماد، المعجم الجغرافي، م3، ص357-359.

[2] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص185، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص92، طلاس، العماد، المعجم الجغرافي، م3، ص358، علبي، عاطف، موسوعة عواصم الإسلام، ص274.

[3] علبي، عاطف، موسوعة عواصم الإسلام، ص274.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص260.

[5] الحميري، الروض المعطار، ص237-238.

[6] شيخ الربوة، نخبة الدهر، ج5، ص193.

[7] البدري، نزهة الأنام، ص92.

[8] البغدادي، مراصد الإطلاع، ج2، ص534.

امّا **مناخ دمشق**، فهو معتدل وشبه جافّ بشكل عام، وسبب ذلك انفتاح المدينة ومناطقها على الصحراء من جهة الشرق، ووجود سلسلة جبال لبنان الغربية والشرقية التي تمنع وتحبس المؤثرات البحرية عنها. وتشتمل عناصر المناخ على الحرارة والرياح والرطوبة والأمطار، إن تتفاوت درجات الحرارة فيها تفاوتاً كبيراً بسبب انحباس الرطوبة البحرية وموقعها على حافة الصحراء الشامية. ويبلغ متوسط الحرارة في شهر تموز 28 درجة مئوية، في حين تكون في شهر كانون الثاني 6 درجات مئوية، وفي فصل الشتاء تنخفض إلى 16 درجة مئوية تحت الصفر[1]. ويبلغ متوسطها في فصل الصيف 35 درجة مئوية، وفي الشتاء 7 درجات مئوية[2]. ويبلغ متوسط الحرارة الشتوية 17،5 درجة مئوية[3].

وتقع دمشق بين منطقة الرياح التجارية الجافة التي تهب على الجزء الجنوبي من بلاد الشام، ومنطقة الرياح الغربية المحمّلة بالأمطار والرطوبة التي تهبّ من الجزء الشمالي من بلاد الشام، وتتسبب بسقوط الأمطار الكثيرة[4].

وتبدأ الأمطار في مدينة دمشق بين شهر كانون الأول وشباط، وتتناقص مع نهاية آذار وبداية نيسان، فهي غير منتظمة التساقط فيها، وتقلّ كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق، وذلك لبعدها عن البحر المتوسط، ووقوف جبال لبنان حائلاً دون تأثيرات البحر، ما يسهم في انخفاض الأمطار عليها. ويتراوح معدل الأمطار فيها فيها من 220–250 ملم سنويّاً[5].

---

[1] العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص34.

[2] بهنسي، عفيف، دمشق الشام، ص10.

[3] خير، صفوح، مدينة دمشق، ص50.

[4] ابن قتيبة، الأنواء، ص158، 162.

[5] كرد علي، محمد، خطط دمشق، ج4، ص162–169، العملة، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص36–37.

الفصل الأوّل

الجامع الأمويّ قبل العصر المملوكيّ الأوّل

الفصل الأوّل

الجامع الأمويّ قبل العصر المملوكيّ الأوّل

الجامع الأموي هو أحد الصروح الدينية المهمة في تاريخ الإسلام، وقد أسبغ عليه المؤرخون والجغرافيون وغيرهم أوصافاً تنبئ عن جماله، وروعة هندسته وزخرفته، وتحدّثوا عن أدواره في جوانب الحياة المختلفة منذ بنائه. يتناول هذا الفصل أصل الجامع الأموي وعمارته: نفقاته ومساحته وأبوابه وقبابه وأعمدته وصحنه وأروقته وملحقاته، وغير ذلك، ويتتبعها عبر العصور، فيقدم نماذج من الاهتمام بها، وما طرأ عليها من تطوّر وتغيّر، ويتناول خلالها ما طرأ عليه في هذا الجانب في العصر المملوكيّ الأوّل، لأنها كانت قليلة، ولا تستحقّ أن تفرد لها الباحثة عنواناً خاصّة بها، ولتتساوق أمور التطور والإضافات حتى اللحظة التاريخية للدراسة. ويتحدّث هذا الفصل أيضاً عن دور الجامع الديني والاجتماعي والحضاري عبر العصور حتى العصر المملوكيّ الأوّل، ويتوزع الفصل الأول على العناوين الآتية:

أوّلاً: بداية الجامع الأمويّ وعمارته

إن الحديث عن عمارة الجامع الأمويّ يقتضي تقسيم هذه العمارة إلى عناوين فرعية، تشمل جوانبها المختلفة، وهي على النحو الآتي:

أ- أصله

لا بد قبل الشروع بالحديث عن عمارة الجامع الأموي والمراحل التي مرّ بها من التطرّق إلى أصل المكان الذي أقيم فيه، إذ اختلفت الروايات في ذلك وتعددت، وتنوّعت آراء المصادر العربية وغير العربية. تشير بعض المصادر العربية إلى أن المسلمين حين دخلوا دمشق زمن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه،(13-23هـ/634-644م) في (14هـ/635م) افتتح خالد بن الوليد، رضي الله عنه،(ت21هـ/642م) الجانب الشرقي منها عنوة، وصالح أهالي الشام أبا عبيدة، رضي الله عنه،(ت18هـ/639م) على الجانب الغربي، فأمنهم، وكان ذلك

في يوم الأحد منتصف رجب من السنة المذكورة آنفاً، وبعثوا رسالة إلى الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يبشرونه بما فتح الله على أيديهم، فأقرّهم على ما فعلوا[1].

وحسب الروايات التاريخية أنّ كنيسة مَرْيُحنا أو يوحنا المعمدان كان جزء منها في الجانب الشرقي وآخر في الغربي، فاتخذ المسلمون من الجهة الشرقية التي دخلوها عنوة مسجداً، وأبقوا على الجهة الغربية كنيسة[2]، ولعل هذا الأمر جعلهم يطلقون عليها لاحقاً اسم كنيسة الداخلة[3]، وهذا ما ذكرته المصادر حين أراد الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م) أن يوسع المسجد لما كثر عدد المصلين من المسلمين، وتأذوا من قرع النواقيس الملاصقة المسجد[4]، فرفض النصارى أن يعطوه الداخلة لتوسعته، فخيّرهم حينئذ بين أن يهدم كنيسة توما في دمشق التي أخذها المسلمون عنوة، فيقيم عليها مسجداً، وبين أن يتنازلوا له عن كنيسة الداخلة، التي "كان بابها قبلة المسجد"[5]، الذي جُعل بعد ذلك محراباً[6]، ويؤكد الأمر رواية أخرى تحدثت أن المسلمين دخلوا على الوليد وقد نوى توسعة المسجد، فوجدوه مهموماً بأمره، وبرفض النصارى إعطاءه مكاناً يوسعه فيه، فطلب إليه المغيرة بن شعبة(ت50هـ/670م) ألا يغتم، وبيّن له أن خالد بن الوليد قد دخل من الباب الشرقي بالسيف، وأن أبا عبيدة دخل من باب الجابية[7] في الجهة الغربية صلحاً، واقترح عليه أن يعيدوا مسح المكان الذي دخل منه خالد ليتبيّنوا حدود المنطقة التي دخلوها بالسيف على وجه الدقة، ففعلوا: فبلغت المسحة إلى سوق الريحان حتى حاذى من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسر بالذراع القاسمي[8]، فإذا باقي الكنيسة

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3، ص441، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص203-209، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 529.

(2) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص240.

(3) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج1،ص260-261.

(4) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص240.

(5) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج1،ص260-261، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص241.

(6) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج1، ص261، مجهول، تاريخ الجامع الأموي، ورقة 4.

(7) ينسب إلى قرية الجابية من ناحية الجولان، وله ثلاثة أبواب بقي منها القبلي الذي حمل اسم باب الجابية. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج1، ص223، العلاف، أحمد، دمشق في مطلع القرن العشرين، ص390.

(8) هو ذراع المساحة، وقياسه 66,5 سنتمترا مكعب. هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص89.

الكنيسة قد دخل في المسجد"[1]. ولا شكّ أن هذه الرواية تدل على أن أصل المسجد كان كنيسة مَريُحنا، التي جعل المسلمون عند فتحهم دمشق نصفها مسجداً، وأبقوا على الآخر الذي دخلوه صلحاً كنيسة، وهذا ما يتسق مع طبيعة الفتوحات الإسلامية، وصيغة الأمان التي تمنح عادة لأصحابها، ولهذا أضحى المكانان متلاصقين بل متداخلين، ولعل ابن فضل الله العمري كان أحد من يؤيدون هذا الرأي إذ جعل أصل الجامع كنيسة كان يتعبد فيها النصارى زمن الدولة الرومانية[2]، وأورد قصة تدلّ على هذا الأمر[3]. وأكد ذلك الشعر الذي قيل بين يدي الوليد بن عبد الملك حين اجتمع عنده الشعراء، يمدحونه ويهنئونه على ما أنجزه من بناء الجامع الأموي، وضم الكنيسة إليه، فهذا الشاعر النابغة الشيباني[4](ت18هـ/604م)، يذكر أن الكنيسة كانت داخل الجامع، بل في جوفه على حدّ تعبيره، فقال مشيدا بالوليد[5]:

(البحر البسيط)

قَلعتَ بَيْعَتَهم عن جَوْفِ مَسْجِدنا فَصَخْرُها عن جديدِ الأرضِ منسوفُ

كانت إذا قامَ أهل الدِّينِ فابتهلوا باتتْ تُجاوِبُنا فيها الأساقيفُ

ويتجلّى المعنى ذاته في قول الفرزدق(ت114هـ/732م)[6] في هدم الوليد بيعة دمشق مشيداً به، وعادّاً ما فعله إلهاماً من الله[7]:

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج1، ص 261-262، ج2، ص 255، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص240-241، النعيمي، الدارس، ج2، ص 289-290.

[2] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص239.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص240.

[4] عبد الله بن المخارق بن سُليم بن خَصَيرة بن قيس بن سنان بن حمّاد بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان، شاعر بدوي من شعراء دولة بني أمية، وأحد شعراء دولتهم. كان يفد إلى قصورهم في دمشق، فيمدحهم وبخاصة عبد الملك بن مروان(70-86ه/658م-705م) ويجزلون له العطاء، ويبدو أنه كان أحد الشعراء النصرانيين في وقته، لأنه أكثر من القسم بالإنجيل والرهبان في شعره. توفي سنة (125هـ/743م). النابغة الشيباني، الديوان، ص و- ل.

[5] نابغة بني شيبان، الديوان، ص52.

[6] أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال التميمي، أحد شعراء العصر الأموي، واشتهر بشعر النقائض، وكان أحد فحول شعراء زمانه، كانت سيرته ماجنة في حياته، ولكنه تاب في أخرياتها، فحفظ القرآن الكريم وتزهد. توفي سنة (114هـ/732م). ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص310-318.

[7] الفرزدق، الديوان، ص 538، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص 259.

(البحر البسيط)

وكيـــف يجتمـــع النـــاقوسُ يضـــربُهُ أهلُ الصّـــليبِ لـــه القـــرّاءُ لـــم تـــنمِ

فَهَمَّـــكَ اللهُ تَحـــويلاً لبيعـــتِهمْ عن مســـجدٍ فيـــهِ يُتلـــى طيِّـــبُ الكَلِـــمِ

ولا يخفى أنّ قوله: "تحويلاً لبيعتهم عن مسجدٍ" إشارة واضحة الدلالة على هذا الاتصال بين المكانين.

ورأى بعض المستشرقين هذا الرأي، إذ قالوا: إن المسلمين قاسموا المسـيحيين كنيسـة يوحنا المعمدان، التي جعلها الوليد كلّها مسجداً فيما بعد، باستثناء قبته[1].

وعارض هذا الرأي عدد من المؤرخين والرحالة والباحثين المحدثين عرباً ومستشرقين، وقد جمع هذه الآراء عبد القادر الريحاوي في بحثه عـن الجـامع الأمـوي، الـذي أورد آراء البلاذري (ت279هـ/892م) والمهلبي العزيزي (ت380هـ/990م) صاحب المسالك والممالك، والمستشرق كريزول، الذين أجمعوا على أن المسلمين أقاموا مسجدهم لما دخلوا دمشـق قـرب كنيسة يوحنا المعمدان، ولم يحولوا جزءاً منها إلى مسجد[2]، وأضاف غيره من البـاحثين رأي المستشرق أركلف الذي أيّد هذه الفكرة، ورأى أن المسجد كان منفصلاً تماماً عـن الكنيسـة[3]. وخلص الريحاوي من مناقشته مجموع الروايات إلى أن الكنيسة لم تكن هـي موضـع النـزاع والاقتسام بين المسلمين والنصارى في دمشق، بل أرض المعبد الروماني القديم التي أقام عليهـا الوليد لاحقاً الجامع الأموي، وهدم ما كان عليها من منشآت، ومنها كنيسـة يوحنـا المعمـدان ومسجد للفاتحين الأول، الذي عرف باسم مسجد الصحابة يومئذ، ويؤكّد رأيه بأن "آثار محرابـه باقية في الجانب الشرقي من جدار القبلة في المسجد الأموي اليوم، وأطلق عليه في كل العهـود محراب الصحابة"[4].

---

[1] الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة العربية، مادة الجامع الأموي، م3، ص652.

[2] المصدر نفسه، م3، ص652.

[3] سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية، ص 96-97، عمران، محمود، كتابات الرحالـة، م3، ص 324.

[4] الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة العربية، مادة الجامع الأموي، م3، ص652.

وما يقوله الريحاوي له ما يؤيده في المصادر العربية القديمة إذ أورد بعضها أن أرض الجامع كانت معبداً للصابئة عبدة الكواكب السبعة[1]، ويذكر آخر أن موضع الجامع أصله أرض لليونان الكلدانيين جعلوها، لما دخلوا دمشق وعمروها، معبدا لعبادة الكواكب السبعة[2]، وجاء بعدهم الرومان. ويذكر آخرون أن موقع المسجد كان مكانا للعبادة منذ أقدم العصور، بنى فيه الآراميون معبداً للإله حدد[3] في مطلع القرن الأول قبل الميلاد، ثم حوّله الرومان إلى معبد لإلههم[4] جوبيتير[5]، الذي كان يتوسطه هيكل الإله سيلا[6]. "وفي القرن الرابع الميلادي حين غدت المسيحية ديانة رسمية للدولة أقيم في جزء من المعبد كنيسة سمّيت باسم كنيسة القديس يوحنا المعمدان"[7]، بناها ثيودوريس الروماني(379– 395م)[8]، وانتقل بعدها إلى اليهود، الذين الذين جعلوه مكانا للعبادة أيضاً[9]، وتتضح أهمية هذا المكان الدينية في الروايات التي تحدثت عن عثور المسلمين على كنيسة صغيرة داخل أرض المعبد في أثناء الحفر، وفيها صندوق

---

[1] العيني، السيف المهند، ص 132، الحميري، الروض المعطار، ص 238، بدران، منادمة الأطلال، ص 36، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3،ص 1026.

[2] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص239، مجهول، تاريخ الجامع الأموي، ورقة 8.

[3] إله الطقس في البابلية، ومشتق من الإله أدد الأكادي وهدد، وهو يكسب الخصب ويمنح الحقول الندية، ويلقّب بمفتش مياه السماء والأرض. إمام، عبد الفتاح، معجم ديانات وأساطير العالم، م2، ص260. السواح، فراس، موسوعة تاريخ الأديان، م2، ص132.

[4] بدران، منادمة الأطلال، ص 36، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص 285، الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة العربية، مادة الجامع الأموي، م3، ص 652، مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، ص178.

[5] وهو زيوس عند اليونان، وهو كبير آلهتهم، وحاكم الكون، ويعرف أيضاً بجوف، أي إله السماء، وقيل: إنه أبو الآلهة والناس وملكهم. إمام، عبد الفتاح، معجم ديانات وأساطير العالم، م2، ص250، الموسوعة العربية العالمية، م8، ص578، الزين، محمد، الموسوعة العربية، م7، ص774–775.

[6] حورية جميلة في الأساطير اليونانية، أحبها إله البحر، ولكنه لم تبادله ذلك الحب، فطلب إلى الساحرة أن يوقعها في حبّه، فرفضت، وطلبت إليه أن يحبها بدلاً عن سيلا، ولكنه رفض، فحوّلت هذه الساحرة سيلا إلى وحش بحري نصفه سمكة، ونصفه امرأة. الموسوعة العربية العالمية، م13، ص413.

[7] الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة العربية، مادة الجامع الأموي، م3، ص 652، مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، ص178.

[8] كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص 276، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص 285.

[9] بدران، منادمة الأطلال، ص 36.

صغير قيل فيه رأس نبي الله يحيى عليه السلام، فأمر الوليد بإرجاعه إلى مكانه، وأقام عليه عموداً مغايراً في شكله أعمدة الجامع الأخرى[1].

ونفى حسين مؤنس أن يكون المسلمون قد اقتسموا كنيسة القديس يوحنا في العبادة بينهم وبين النصارى، وبيّن أن المسيحيين اعتادوا على استخدام أجزاء من المعابد الرومانية كنائس ومصليات، ومثل ذلك في معبد جوبتير إذ بنوا عليه كنيسة نسبوها للقديس يوحنا، ولمّا فتح المسلمون دمشق رأوا مكان هذا المعبد الفسيح، الذي كان مهجوراً في معظم أجزائه، فاستفادوا مما فيه من أحجار ورخام وأرض مبلّطة، "ورأى رجال عبد الملك بن مروان أنهم يستطيعون تحويل المبنى كلّه إلى مسجد، وتراضوا مع النصارى على تعويضهم عن المصلى الصغير الذي كان لهم، وتمّ الاتفاق على ذلك، وأخذ النصارى تعويضاً كبيراً عن مصلاهم، وأنشأوا لهم بالفعل مصلى جديداً في موضع آخر"[2]. ولكن السؤال الذي يطرح هنا: لو كان المصلى هامشيّاً أو صغيراً مثلما وصفه حسين مؤنس، هل كان الوليد سيبذل فيه ما بذل من أموال كثيرة ذكرها المؤرخون أو يعوضهم عنه أربع كنائس؟ وهل كان سيرسل إلى ملك القسطنطينية من يتحايل عليه ليوافق على إعطائهم الكنيسة ليضمها إلى الجامع؟[3]

ب- بناؤه

تثبت الروايات التاريخية أن المكان الذي أقيم فيه المسجد بعد فتح دمشق كان مكاناً مقدّساً عند ديانات مختلفة: وثنية وسماوية[4]، وقد دارت حوله أساطير، منها أن الوليد حين أراد الجامع حذّره النصارى من هدم الكنيسة التي كانت فيه، وأنه سينزل به الكثير من الشرور، ومنها الجنون، لكنه لم يستمع إليهم، فكان معوله أول معول شرع في هدمها[5]، ولهذا لم يكن اختيار مكان الجامع عشوائيّاً. وتذكر الروايات أنّ أول من اختطه بعد الفتح الإسلامي دمشق هو

---

[1] الهمذاني، كتاب البلدان، ص158، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص241، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص247، النعيمي، الدارس، ج2، ص287.

[2] مؤنس، حسين، المساجد، ص 159.

[3] انظر حيلته التي اصطنعها مع ملك القسطنطينية في العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص240.

[4] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص239.

[5] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج1، ص260، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص242.

أبو عبيدة عامر بن الجراح أحد قادة الجيش الإسلامي يومذاك[1]، وأن معاوية بن أبـــي ســـفيان (41-60هـــ/661-680م) أول من حاول ضمّ كنيسة يوحنا المعمدان أو نصفها الذي بقي عقب الفتح، إلا أنه لم يتحقق له ما أراد[2]، وشايعه في ذلـــك الخليفـــة عبـــد الملـــك بـــن مـــروان (65-86هـــ/658-705م) الذي عرض على النصارى المال ليتنازلوا عنها، ولكنهم أَبَوا عليـــه ذلك[3]، إلى أن جاء الوليد بن عبد الملك، فأقام هذا الصرح الديني الشامخ وضم إليـــه الكنيســـة وبقاياها بعد أن أخذها منهم بالحيلة، لما رآهم يرفضون الأموال الكثيرة التي عرضها عليهم[4]، وأرضاهم بأربع كنائس[5]، وبعضهم قال إنه تصالح عليها مع ملك القسطنطينية، فعوضهم عنها كنيسة مريم التي كانت شطرين[6]. وتتحدث روايات تاريخية عن أن بدايات الجامع تعود إلى أيام أيام نبي الله هود، عليه السلام[7]، ذلك أنه عثر في المسجد على حجر نُقش عليه بالعبرانية، قرأه قرأه وهب بن منبه[8]، فوجد عليه مكتوباً أن جدار المسجد يعود إلى أيام هود، عليـــه الســـلام، وأضافت روايات أخرى أن الجدران الأربعة كانت من الفسيفساء زمن هود، عليه الســـلام، وأن الوليد زاد في سمكها، وجعلها جزءاً من الجامع الذي بناه[9]. وهكذا يتبيّن أنّ الجامع الأمويّ مرّ

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص246، ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج 1، ص 258.

[2] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص 250، ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج 1، ص 260، النعيمي، الـــدارس، ج2، ص 288، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 5، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأمـــوي، ص 99.

[3] النعيمي، الدارس، ج2، ص 288، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص 99.

[4] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص 255، الحميري، الروض المعطار، ص338، النعيمي، الـــدارس، ج2، ص255، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص 286.

[5] العمري، مسالك الأبصار، ج1، 241.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص239.

[7] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص239، 260، ابن جبير، الرحلة، ص212، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص533، ابن بطوطة، الرحلة، ص84، الحميري، الروض المعطار، ص238، العيني، السيف المهند، ص132، النعيمي، الدارس، ج2، 287، الحصني، منتخبات التواريخ، ج1، ص385، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص14، 48، 96، سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية، ص25.

[8] أبو عبد الله، وهب بن منبه اليماني، صاحب القصص والأخبار، وكانت له معرفة كبيرة بأخبار الأوائل. اختلـــف فـــي وفاته، فقيل سنة(10هـــ/631م أو 14هـــ/535، أو 16هـــ/637م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص35-36.

[9] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، 239، 240، 260، ابن منظور، مختصر، ج1، ص256، العمري، مسالك الأبصـــار، ج1،ص239، النعيمي، الدارس، ج2، ص187، الحصني، منتخبات التواريخ، ج1، ص385، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص 47.

بمراحل متعددة عبر تاريخه، كان أهمّها وأكثرها اكتمالاً ونضجاً في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان.

اختلفت المصادر في السنة التي بدأ فيها الوليد بناء الجامع الأموي، فقيل سنة (86هـ/ 705م)[1]، وسنة(87هـ/706م)[2]، وسنة (88هـ/707م)[3]، واعتنى الوليد منذ اللحظة الأولى الأولى ببنائه، فحرص على أن يكون مميّزا في عمارته وهندسته، ولذا أحضر الصنّاع والعمّال من أماكن مختلفة من بلاد المسلمين والروم[4] وفارس والهند[5]، ولعل هذا الأمر جعله تحفة معمارية فريدة في زمانه، صمّمتها أياد تحمل بصمات حضارات مختلفة. واختلف في المدة الزمنية التي استغرقها بناء الجامع بين سبع سنين إلى عشرة[6]. ويذكر حسين مؤنس أن فترة بناء الجامع وانتهائه كانت بين (87هـ/706م) و (97هـ/715م)[7]، ومعنى هذا أن بناءه حسب حسب رأيه استغرق عشر سنوات، وانتهى في عهد سليمان بن عبد الملك(96هـ/714م- 99هـ/717م)[8]، الذي وضعه أخوه الوليد مشرفاً أميناً على الصناع القائمين على الجامع منذ

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2،ص270، الحميري، الروض المعطار، ص328، النعيمي، الدارس، ج2، ص288، العاصمي، سمط النجوم، ج3، ص290، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 5، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص287.

[2] المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص365، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص 251، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص530، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج1، ص199، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص206، النعيمي، الدارس، ج2، ص296، بدران، منادمة الأطلال، ص358، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص287.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص9، العيني، السيف المهند، ص131، الحميري، الروض المعطار، ص238، أيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص184، سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف، ص24.

[4] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص258، ابن جبير، الرحلة، ص211، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج1، ص199، ابن بطوطة، الرحلة، ص81، العاصمي، سمط النجوم، ج3، ص291، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 7.

[5] كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص266، محاسنة، محمد، تاريخ دمشق، ص71.

[6] الهمذاني، كتاب البلدان، ص157، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص267، ابن جبير الرحلة، ص221، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص531، ابن بطوطة، الرحلة، ص81، العيني، السيف المهند، ص131، ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج1، ص8، النعيمي، الدارس، ج2، ص 286، 288، 293، العاصمي، سمط النجوم، ج3، ص290، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص401، الريحاوي، عبد القادر، مدينة دمشق، ص179، سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف، ص24، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص13، 56.

[7] مؤنس، حسين، المساجد، ص159.

[8] الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1024.

اللحظة الأولى من بنائه[1]، وأوصل بعض الباحثين المدة التي بني فيها الجامع إلى سبع عشرة سنة[2].

ويتجلّى حجم الاهتمام الذي أولاه الوليد بالجامع الأموي وعمارته، في المبالغ الباهظة التي أنفقها عليه[3]، وراح المؤرخون يفصلون فيها، ويتحدثون عنها، فذكروا أنها بلغت أربعمائة صندوق، في كل صندوق من الذهب ألفان وثمانية وعشرون ألف دينار[4]، أو أربعة عشر ألف دينار[5]، وأضاف بعضهم أن ما فيها كان من الذهب الأحمر[6]، وذكرت روايات أخرى أن عدد عدد الصناديق مئة صندوق، في كل صندوق منها ثمانية وعشرون ديناراً ومائتا ألف دينار، فكان مجموعها أحد عشر ألف ألف دينار[7]. وقيل كان فيها: أحد عشر ألف ألف دينار ونيّفاً[8]. ونيّفاً[8]. هذا فضلا عن ثمن ما أكله الصناع في أثناء إنجازهم البناء، فتراوح بين ستة ألاف دينار[9] إلى ستين ألفاً[10]. وتشير روايات أخرى إلى أن الوليد اضطر إلى إنفاق خراج الشام مدة مدة سنتين على بناء الجامع، وكان خراجها ألف دينار ومائتي ألف دينار، وقيل: إنه أخذ ربع أعطيات الشام مدة تسع سنين، وكان مقدارها خمسة وأربعين ألف دينار[11]، وذكرت مصادر أخرى أن عمارة الجامع بلغت خراج الدولة مدة سبع سنين، وقد حُمِلت الدساتير والحسابات

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص264، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص144، النعيمي، الدارس، ج2، ص293.

[2] هيئة تحرير مجلة الوعي الإسلامي، الجامع الأموي درة دمشق، ص4.

[3] المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص365.

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص32، الحميري، الروض المعطار، ص238، العاصمي، سمط النجوم، ج3، ص290، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص267.

[5] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص247، العيني، السيف المهند، ص132، ابن الوردي، خريدة العجائب، ص52، ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج1، ص8، النعيمي، الدارس، ج2، ص294.

[6] العاصمي، سمط النجوم، ج3، 290.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص211، الحميري، الروض المعطار، ص238، العيني، السيف المهند، ص132، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 12، سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف، ص25.

[8] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج6، ص32.

[9] الهمذاني، كتاب البلدان، ص158، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص531، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 10.

[10] القزويني، آثار البلاد، ص190.

[11] كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص267.

للوليد بما أنفق على ثمانية عشر بعيراً، فأحرقها ولم ينظر إليها، وقال: "إنه أخرج هذا لله تعالى"[1]. ومن مجموع هذه الروايات قدّر بعض الباحثين المحدثين مجموع ما أنفق على المسجد المسجد فأوصله إلى ستة ملايين دينار[2]، ومن الجدير ذكره أن ما سبق كان تكلفة الجامع الأموي وحده، وأضاف إليه بعض المؤرخين الدار الخضراء[3]، ودار الخيل، فقدروا نفقة ذلك كله بخراج ثماني عشرة سنة[4].

وعلى ما يبدو أن هذه المبالغ الطائلة التي أنفقها الوليد دفعت الناس إلى انتقاده والاحتجاج عليه، ذلك أنه أنفق مال بيت مال المسلمين في أمر لا فائدة فيه[5]، وفي نقش الخشب الخشب وتزيين الحيطان على حد تعبيرهم[6]. وهذا الأمر حدا بالوليد إلى جمع الناس والخطبة فيهم، ليطمئنهم أن في بيت مال المسلمين من الأموال ما يكفي الدولة ثماني عشرة سنة[7]، وذُكر وذُكر أنه أحصى ما في بيت المال فكان فيه عطاء ست عشرة سنة[8]، وقال لهم الوليد: "يا أهل دمشق إني رأيتكم تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم، فأحببت أن يكون مسجدكم الخامس"[9].

---

[1] الهمذاني، كتاب البلدان، ص157-158، الحموي، معجم البلدان، ج2، 530، القزويني، آثار البلاد، ص190.

[2] العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص287.

[3] هي دار معاوية بن أبي سفيان، بناها زمن عثمان بن عفّان(23-35هـ/643-655م) عندما ولي دمشق، وكان ينزلها، ويسكن فيها. الهمذاني، كتاب البلدلن، ص159، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1094.

[4] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2،ص257.

[5] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص530.

[6] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص267، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص245، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص56.

[7] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص531.

[8] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص245، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص56.

[9] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص247.

وقد انعكست هذه الأموال في عمارة الجامع، الذي اهتم الوليد بتزيينه، فاشترى عموداً من المرمر المائل إلى الحمرة بألف وخمسمائة دينار[1]، واشترى العمودين الأخضرين، تحت قبة النسر، بألف وخمسمائة دينار، وأنفق على الكرمة التي في قبلة الجامع سبعين ألف دينار[2].

دينار[2].

إن هذه العناية الفائقة بعمارة الجامع وتزيينه وهندسته جعلت منه تحفة معمارية، أشاد بها الكثيرون قدماء ومحدثين، فقد عدّه الإمام الشافعي (ت204هـ/820م) وغيره رابع عجائب الدنيا على اختلاف العجائب يومذاك، وصنف الشافعي ما في الجامع من رخام وفسيفساء، فجعله خامس هذه العجائب لعدم معرفة مكانه وأصله[3]. وقد أدت المخيلة الشعبية دورها في التعبير عن جمال هذا الجامع وحسن إتقانه ثم قداسته، فجعلوا من عجائبه أن العنكبوت لا تدخله، ولا تنسج فيه بيتها[4]، ولا يجتمع فيه طائر الخطّاف، وذكروا أن الإنسان لو عاش مئة سنة، يتأمل في كل يوم منها حسنه لرأى فيه كل يوم شيئا جديداً لم يره قبلُ[5]. وقد أشاد المؤرخون والرحالة[6] والأدباء بحسن الجامع الأموي وزخرفته،، فهذا نابغة بني شيبان يشيد بهذا الصرح المعماري في قصيدته التي مدح بها الوليد عقب ضم كنيسة النصارى إليه، فيصف بهاءه وفسيفساءه، وما فيه من ذهب وزبرجد وياقوت وفضّة وألوان تبهر الناظرين، ويتحدث عن علو قبّته، وإنارتها التي كانت تُضاء منها مناطق في لبنان وغيرها، وهو شعر يشير إلى حجم الإنفاق على هذا الجامع، وعلى المواد غالية الثمن المستخدمة في عمارته، منها قوله[7]:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص247، العاصمي، سمط النجوم، ج3، ص290، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1021.

[2] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص270، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص245، العيني، السيف المهند، ص132.

[3] الهمذاني، كتاب البلدان، ص156، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص248، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص530، العمري، مسالك الأبصار، ج1،ص247، القزويني، آثار البلاد، ص190، النعيمي، الدارس، ج2، ص294.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص211، 239، الحميري، الروض المعطار، ص 38، سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف، ص24.

[5] ابن الوردي، خريدة العجائب، ص53.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص211، ابن بطوطة، الرحلة، ص82، القزويني، آثار البلاد، ص190.

[7] النابغة الشيباني، الديوان، 53.

(البحر البسيط)

فيــه الزَّبرجــدُ[1] واليــاقوتُ مـــؤتلقٌ والكِلْــسُ والــذهبُ العُقيــانُ مرصــوفُ
ترى تهاويلـــه[2] مــن نحـــو قبلّتِنــا يلوحُ فيهِ مــن الألـــوانِ تفـــويفُ[3]
يكادُ يُعشي[4] بصــيرَ القــومِ زِبْرِجُــهُ[5] حتّـــى كـــأنَ ســوادَ العــينِ مطــروفُ
وفضّـــةٌ تُعجـــبُ الـــرائينَ بهجَتُهـــا كريمُهـــا فــوقَ أعلاهُـــنّ معطــوفُ
وقبّـــةٌ[6] لا تكـــادُ الطَّـــيْرُ تَبْلُغُهـــا أعلى محاريبِهـــا بالســـاجِ[7] مسقـــوفُ
لها مصابيحُ فيهـــا الزّيْـــتُ مــن ذهــبٍ يضـــيءُ من نورهـــا لبنـــانُ والسِّيـــفُ
فكـــــلُّ إقبـــــالِهِ، واللهِ زيّنتـــــهُ مُبَطَّـــنٌ بِرُخـــامِ الشّـــامِ محفـــوفُ

وتكمن أهمية هذا الجامع المعمارية في أنّه أضحى أساساً لمعمار المساجد الإسلامية التي بنيت فيما بعد في الأمصار الإسلامية[8].

2- وصف الجامع الأموي المعماريّ وهندسته

تحدّثت المصادر التاريخية عن مساحة الجامع الأموي وهندسته وأقسامه الداخلية والخارجيــة، ووصفوا ذلك وصفاً دقيقاً، ويمكن حصر ذلك كله في العناوين الآتية:

أ- مساحته

تحدث المؤرخون والباحثون عن مساحة الجامع الأموي، واختلفوا في كيفية قياسه، فقــد اعتمد بعض الرحالة، ومنهم ابن جبير وابن بطوطة على مقياس الذراع[1] في تحديد مســاحته،

---

[1] حجر كريم يشبه الزمرد، له ألوان مختلفة أشهرها الأخضر والأصفر. ابن منطور، لسان العرب، مادة "زبرجد".
[2] الصور والرسوم. ابن منظور، اللسان، مادة " هول".
[3] بمعنى التوشية والزخرفة، ابن منظور، اللسان، مادة، "فوف".
[4] بمعنى يضعف بصر ناظريه. ابن منظور، اللسان، مادة " عشي".
[5] الزينة من وشي وتصاوير وجواهر. ابن منظور، اللسان، مادة " زبرج".
[6] يقصد بها قبّة النسر، سيأتي الحديث عنها لاحقاً.
[7] نوع من الشجر، خشبه أسود اللون، ويبدو أنه من الأنواع الغالية الثمن. ابن منظور، اللسان، مادة "ساج".
[8] مؤنس، حسين، المساجد، ص160.

فذكروا أن ذُرُع الجامع من جهة الغرب إلى الشرق مئتا خطوة، أي ثلاثمائة ذراع، وبلغ عرضه من جهة القبلة إلى الشمال مئة وخمساً وثلاثين خطوة، أي مئتي ذراع، وبهذا يكون تكسيره أربعة وعشرين مرجعاً من المراجع الغربية، وهو تكسير مسجد الرسول، صلى الله عليه وسلّم[2]. ويبدو أن الباحث محمد محاسنة اعتمد على ما رواه هؤلاء الرحالة فذكر، أن الجامع بني على شكل مستطيل، فكان طوله 300 ذراع، وعرضه 200 ذراع، وعلى حساب المتر يكون 156× 97 متراً[3]، وعلى هذا تقدر مساحته بـ15.132 متراً مربعاً. ويبدو أن الباحث لم يعتمد مقياساً محدداً للذراع حين حوّله إلى أمتار، فجعله في مقياس الطول أقل من 50 سنتيمتراً، في حين زاد على هذا الرقم في حسابه عرض الجامع، ومن هنا يكون حسابه غير دقيق، ويحتاج إلى معاودة نظر، ولعلّه اعتمد على مراجع أخرى حديثة دون تدقيق بين ما ورد فيها وبين ما ذكرته المصادر القديمة[4]، ولم يتنبه لمقاييس الذراع بدقة. ويذكر عبد القادر الريحاوي أن طول حرم الجامع 136 متراً، وعرضه 37 متراً[5]، أمّا عبد العزيز الحسيني، فله رأي يغاير بعض ما أتى به الباحثان السابقان، إذ بيّن أن طول المسجد بعامة 157 متراً، وعرضه 100 متر، وأن ما ذكره الريحاوي من قياس إنما هو لإيوان القبلة الذي " يشغل القسم الأعظم من الجهة الجنوبية"[6].

ب- أبوابه

---

[1] الذراع مقياس من المقاييس التي اعتمد عليها في التاريخ القديم وفي العصور الوسطى وفي الحديثة المتأخرة، وبلغت قرابة ثلاثين نوعاً، وكان سبب كثرتها اتساع رقعة العالم الإسلامي، والاستقلال الإداري لكثير من بلدانه، هذا الأمر أدى إلى عدم وجود تحديد دقيق بالسنتميتر للذراع، واعتمد بعض الباحثين على روايات تاريخية استخلصوا منها نتائج أن الذراع الشرعية لها احتمالات عديدة، وهي: 46،2 سم، و 48،86 سم، و 48،5 سم، 49،4 سم، 49،5 سم، و 49،55 سم. فاخوري، محمود، و خوام، صلاح الدين، موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية، ص 10-14، حلاق، محمد صبحي، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، ص 50-56.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص 212، ابن بطوطة، الرحلة، ص82، الحميري، الروض، ص238، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص429، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص276.

[3] محاسنة، محمد حسين، تاريخ دمشق، ص71.

[4] انظر ويكيبيديا، مادة "الجامع الأموي".

[5] الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة الميسرة، الجامع الأموي، ص654.

[6] عبد العزيز، محمد، الجامع الأموي الكبير، ص66.

أجمع المؤرخون على أن الأبواب الرئيسة للجامع الأموي أربعة،[1] وذكر ابن فضل الله العمري اثنين مستحدثين آخرين[2]، وبعد أن ذكر ابن كنان أن للجامع أربعة أبواب رئيسة عاد ليقول في موضع آخر" وله تسعة أبواب كبار، وبابان صغيران"، ولكنه لم يذكر منها هذا العدد بل ذكر أسماء خمسة منها فقط[3]، ولعل سبب ذلك أن ابن كنان كان في ذهنه وهو يكتب الأبوابَ الفرعية لباب جيرون[4] آتي الذكر، ولذا قال وهو يعددها: "وأبواب جيرون"[5]، التي ذكر بعض بعض المؤرخين أنها أبواب ثلاثة[6] أو خمسة أبواب[7].

أما الأبواب الأربعة الرئيسية، فهي:

الباب الأول: ويعرف بباب الزيادة والزيارة، أو الباب القبلي أو باب الساعات[8]، اشتهر هذا الباب بدهليزه الواسع، وأعمدته الكبيرة، وحوى حوانيت للخَرَزيّين[9] والسقّاطين أو الصفّارين أي صانعي الآنية الصّفر النّحاسية وغيرهم[10]، وكان هذا الباب يؤدي إلى دار الخيل، التي اشتهر وجودها منذ عهد الوليد بن عبد الملك، وعلى يسار الخارج منه كانت الخضراء أو

---

(1) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص251، ابن بطوطة، ص85، النعيمي، الدارس، ج2، ص297، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 13، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق3، ص430.

(2) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص251.

(3) ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص405.

(4) باب من أبواب الجامع، كان واسعاً ومرتفعاً، وهو من أحسن أبواب دمشق، ينسب إلى ملك يُدعى جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن آدم بن سام ابن نوح، وقيل هو الذي بناه. وقيل نسب لمارد لسليمان بناه اسمه جيرون. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص260، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص253.

(5) ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص404.

(6) الحصني، منتخبات التواريخ، ج1، ص1019.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص218، ابن بطوطة، الرحلة، ص85-86.

(8) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص280، ابن جبير، الرحلة، ص 217، ابن بطوطة، الرحلة، ص85، النعيمي، الدارس، ج2، ص217، 132، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 13، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص405.

(9) ابن جبير، ص217، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص56.

(10) ابن بطوطة، الرحلة، ص85.

دار معاوية بن أبي سفيان التي أضحت في عصور لاحقة سماطا للصفارين[1]، ووجد في أعلى الباب قطعة من الرمح، الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد، رضي الله عنه[2].

وتحدث المؤرخون عن سبب تسميته بباب الساعات، وذلك مرده الساعات التي أضيفت إليه، ليعرف بها كل ساعة تمضي في النهار، وألحق بها صورة عصافير وحية وغراب، فإذا أكملت الساعة دورتها، خرجت الحية، وصاحت العصافير والغراب، وسقطت الحصاة في الطست[3]، وكان صمّمها الفلكي المهندس أبو الفضل[4] الحارثي الدمشقي المتوفى سنة (599هـ/1164م)[5]، ووضعها على الباب رضوان الخراساني المتوفى سنة (620هـ/ 1223م)[6]، الذي أدارها، وجدّد ما فسد منها[7]. وقد نقلت الساعات لاحقاً إلى باب جيرون[8].

أما **الباب الثاني**، فهو باب جيرون[9]، الذي نقلت إليه الساعات، ووضعت في غرفة أمامه[10]، ويعرف بالباب الشرقي وباب اللبادين، وذكره ابن فضل الله العمري باسم باب الساعات[11]،في حين جعل ابن كنان، هذه الساعات في باب قبلي باب جيرون اسمه باب

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص217، ابن بطوطة، الرحلة، ص85، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص56.

[2] ابن بطوطة، الرحلة، ص85، سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف، ص44.

[3] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص280، العمري، مسالك، ج1، ص، النعيمي، الدارس، ج2،ص297، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص406، بدران، منادمة الأطلال، ص86، 361، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1019، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص70–71، 115.

[4] اشتهر بالحساب وعلوم الفلك والميقات والهندسة وعلم الهيئة، واشتغل بالطب ونقش الرخام. النعيمي، الدارس، ج2، ص297، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1،ص406.

[5] النعيمي، الدارس، ج2، ص297، ابن كنان المواكب الإسلامية، ق1، ص406.

[6] فخر الدين رضوان بن محمد بن علي بن رستم الخراساني المعروف بابن الساعاتي. عمل الساعات أيام العادل نور الدين زنكي، وكان طبيباً فاضلا ذكياً، عارفاً بالكتابة. توفي سنة (620هـ/1223م). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص68–69.

[7] النعيمي، الدارس، ج2، ص298،

[8] انظر وصفها في ابن جبير، الرحلة، ص218، ابن بطوطة، الرحلة، 86، الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص49.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص218، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص530، ابن بطوطة، الرحلة، ص85، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 13، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص430. الحصني، منتخبات التواريخ،ج3، ص1019.

[10] لقد فصّل ابن جبير في وصف هذه الغرفة، وعمل الساعات فيها. انظر رحلته، ص218.

[11] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص251.

الميقات[1]، والداخل إلى الجامع من هذا الباب أي جيرون يصعد ثلاثين درجة من الرخام[2]، وتحدث الرحالة، وفي مقدمتهم ابن جبير، عن هذا الباب، فذكر أن الدخول إليه يكون من دهليز كبير متسع،" يخرج من هذا الباب إلى بلاط طويل وعريض قد قامت أمامه خمسة أبواب مقوسة، لها ستة أعمدة طوال"، وأمام دهليزه درج منحدر، يشبه الخندق العظيم، ويتصل بباب مرتفع، تحته أعمدة طويلة، وبجانبه أخرى، أقيمت عليها "شوارع مستديرة فيها الحوانيت المنتظمة للعطارين وسواهم، وعليها شوارع أخر مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكبراء، مشرفة على الدهليز، وفوقها سطح، يبيت فيه سكان الحجر والبيوت"[3]، وقد أخذ ابن بطوطة الوصف ذاته للباب، وأضاف إليه أوصافاً أخرى تخص عصره المملوكي، سيأتي ذكرها لاحقا[4].

والباب الثالث هو باب البريد، ويقع في الجهة الغربية من الجامع[5]، وعرف بباب البرد[6]، ولهذا الباب دهليز متسع، تنتشر فيه حوانيت الشماعين والعطارين، وبائعي الفاكهة والعقاقير[7]. وفي أعلى هذا الدهليز" باب عظيم يُصعد إليه على أدراج وله أعمدة سامية في الهواء، وتحت الأدراج سقاية يميناً وسقاية يساراً، لكل سقاية خمسة أنابيب، ترمي الماء في حوض رخام مستطيل"[8]، ومعنى هذا أن الدخول إلى الجامع يكون نزولاً عبر هذا الباب[9]. وقد

---

(1) ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص405.

(2) الحميري، الروض المعطار، ص238، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص433.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص217.

(4) ابن بطوطة، الرحلة، ص85-86، وانظر ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص430-432.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص219، العمري، مسالك الأبصار، ح1، ص252، ابن بطوطة، الرحلة، ص86، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 13، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1019، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص430.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص530.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص219، ابن بطوطة، الرحلة، ص86، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص252، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص58.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص219.

(9) ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص433.

وقد جدد أروقة هذا الدهليز ومعالمه الوزير جمال الدين بن يغمور[1] سنة(647هـ/1249م)[2].

سنة(647هـ/1249م)[2].

وتعدّدت المسميات التي أطلقت على **الباب الرابع** الواقع في الجهة الشمالية للجامع، وهو باب الناطفيين[3] أو النّطافين[4]، وقيل: باب الفراديس[5]، وباب العمارة[6]، وباب الكلاّسة[7]، والباب الجوفي[8]. والداخل إلى المسجد عبر هذا الباب يدخل باستواء[9]، ويوجد له دهليز متسع كغيره من الأبواب، فيه زوايا لتعليم الصبيان[10].

ومن الجدير ذكره هنا أن دهاليز الأبواب الأربعة جميعها كانت موجود في الكنيسة التي حوّلت إلى الجامع، فظلت كما هي بعد بنائه[11]. ويذكر ابن جبير في رحلته أن هناك أربعة سقايات تحيط بالجامع، في كل جانب منه سقاية، وبعضها كبير الحجم، يجري بواسطتها الماء إلى البيوت التابعة لها، وأكبرها يقع في دهليز باب جيرون، وتسقي ما ينيف على الثلاثين بيتاً، وسقاية كبيرة أخرى تقع في دهليز باب النطافين[12].

---

[1] جمال الدين بن يغمور الياروقي، ولد بالصعيد سنة (569هـ/ 1174م)، وكان له مكانة كبيرة في عهد الظاهر بيبرس، ولي نيابة مصر، ثم نيابة دمشق. توفي سنة (663هـ/1265م). الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص308.

[2] النعيمي، الدارس، ج1، ص341، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص146.

[3] الناطف والنطف" ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق". أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مادة " نطف".

[4] ابن جبير، الرحلة، ص219، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص252، ابن بطوطة، الرحلة، ص86، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 13، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص430، الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص468.

[5] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص530.

[6] الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1019.

[7] الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة الميسرة، مادة" الجامع الأموي"، م3، ص653.

[8] ابن بطوطة، الرحلة، ص86.

[9] ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص430.

[10] ابن جبير، الرحلة، ص219، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص23، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص56.

[11] ابن بطوطة، الرحلة، ص86، ابن كنان،المواكب الإسلامية، ق1، ص430، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص277.

[12] ابن جبير، الرحلة، ص220، الحميري، الروض المعطار، ص239.

ت- أروقته

بنيت المساجد الإسلامية الأولى على طراز معماري خاص، وقف عليها حسين مـــؤنس في كتابه "المساجد"، فذكر منها السقيفة أو الظلّة التي عند جدار القبلة[1]، وعرّف الظلات أنّهـــا "المساحات المسقوفة التي تتكوّن كل منها من مجموعة من الأروقة، أي المسافات المتوازية التي تنقسم إليها الظلات، وتمتد بطول الواحدة منها، ويفصل كل رواق عن الآخر صفّ من الأعمدة المستديرة، أي الأساطين..أو من البدنات، وهي الأكتاف المتعامدة الأضلاع المشـــيدة بالبنـــاء، وكانت هذه الأساطين والبدنات تحمل دائماً إلا في أحوال نادرة عقوداً أو قناطر متتالية، يتكـــون منها بائكات يوضع فوقها السقف"[2]. ويستدل من الكلام الآنف، ومن المعاجم العربية أن الأروقة الأروقة تعني سقيفة في الجامع مقامة على صفين من الأعمدة أو على عمود واحـــد طويـــل[3]، ويضيف علي الطنطاوي أن بين هذه الأعمدة تكون بلاطة الجامع أو بلاطاته[4]، وقـــد "جـــرت العادة أن تسمّى المسافة المحصورة بين أربعة أعمدة بلاطة"[5]، وهذه الأروقة تكون مجازاً يمرّ منه الناس[6]، أو يصلّون فيه، وعلى هذا يكون الرواق مكوّناً من سقيفة وبلاطات وأعمدة.

بني الجامع الأموي على هذا الطراز المعماريّ[7]، وقد تحدثت المصادر التاريخية عـــن بعض هذه الأقسام المعمارية، ومنها الأروقة وأجزائها السابقة وبخاصة البلاطـــات والأعمـــدة، وذكر ابن جبير أن هناك ثلاث بلاطات متصلة بالقبلة، "مستطيلة من الشرق إلى الغرب، ســـعة كل بلاطة ثماني عشرة خطوة، والخطوة ذراع ونصف"[8]، وأضاف أن صحن الجامع يحيط به

---

[1] صدر المسجد، وجداره المتجه نحو مكة، " فإذا صلى الناس كانت وجوههم ناظرة إلى بيت الله في ذلك البلد الحـــرام". مؤنس، حسين، المساجد، ص62.

[2] مؤنس، حسين، المساجد، ص 95.

[3] مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مادة "روق"

[4] الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص59.

[5] مؤنس، حسين، المساجد، ص77.

[6] ويكيبيديا، مادة" رواق".

[7] مؤنس، حسين، المساجد، ص95.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص212.

بلاط من جهاته الثلاث: "الشرقية والغربية والشمالية، سعته عشر خطا"[1]. و كانت هذه البلاطات جميعها من المرمر[2]، وواضح أن ابن جبير يصف بصورة أو بأخرى أروقة المسجد، المسجد، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن فضل الله العمري حين وصف الجامع الأموي، وذكر أروقته، فقال: "وفي قِبْلِهِ ثلاثة أروقة"[3]. ولا يختلف هذا كثيراً عمّا ذكره بعض الباحثين المحدثين الذي ذكر أن أروقة ظلّة القبلة في الجامع الأموي حين بناه الوليد بن عبد الملك كان عددها ثلاثة، تتجه بائكاتها موازية جدار القبلة"، ولكن يقطعها رواق عريض يتعامد اتجاهه عليها في وسط الظلّة، أي يقع على المحور الرئيسي الذي يمرّ بالمحراب الأوسط، وبتعبير آخر "يصل بين الباب الرئيسي بالحائط الشمالي إلى المحراب"[4]، ويُطلق على ذلك الرواق العمودي اسم المجاز أو المجاز القاطع أو المجاز الأعظم[5]. وعادة ما يكون هذا الرواق الأوسط في النمط المعماري الإسلامي للمساجد هو أوسع الأروقة[6]، وهو كذلك في الجامع الأموي فهو" أوسع وأعلى من الأروقة الجانبية التي توازيه، إذ يصل ارتفاعه نحو ثلاث وعشرين متراً، وقد غطّي بسقف على هيئة سنام الجمل، كما فتحت في كل عقد من عقود[7] المجاز نافذتان لتُدخل الضوء لرواق القبلة"[8]. أمّا ظلات الصحن الأخرى في الجوانب الثلاث الباقية من الصحن، فكانت تتكوّن كل منها من رواق واحد"[9]. ويفصّل مؤنس عدد البلاطات حين ذكر أن جدار القبلة البالغ طوله حوالي 190متراً، عدد بلاطاته أي أروقته اثنتان وعشرون بلاطة، "مقسمة على قسمين، كل قسم

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص212، الحميري، الروض المعطار، ص239، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص276، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص77، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص15، أيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص291، الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة الميسرة، الجامع الأموي، م3، ص654.

[2] الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص36. والمرمر وهو الرخام. مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مادة "مرمر".

[3] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص252.

[4] عبد العزيز، محمد، الجامع الأموي الكبير، ص4.

[5] مؤنس، حسين، المساجد، ص160.

[6] المرجع نفسه، ص77.

[7] العقود أو الأقواس، وهي التي تكون على رؤوس الأعمدة، وتعد نقطة البداية لبناء القباب، ولها أشكال متعددة:المنفرج، وحذوة الحصان، ونصف البيضة، والنصف الدائري، وهو الأكثر انتشاراً في العمارة الإسلامية. مؤنس، حسين، المساجد، ص121-122.

[8] عبد العزيز، محمد، الجامع الأموي الكبير، ص4.

[9] المرجع نفسه، ص95-96.

منهما إحدى عشرة بلاطة، على يمين الرّواق الأوسط وشماله"، ويضيف ابن فضل الله العمري وصفاً لهذه الأروقة، فقال: " وكل أروقته بالعمد والعضائد، عليها طاقات القناطر المعقودة بعضها على بعض وقد أزّرت جدر هذه الأروقة بالرخام الأبيض والمجزّع، والأحمر المنقّط، والأخضر المرشوش، والأسود الغرابي والأبقع، والمعجون الأزرق"[1].

أمّا الأعمدة، فهي جانب مهم من فنون عمارة المساجد في تاريخ الإسلام، وقد تفنّن في صناعتها وتنسيقها المعماريون، فعملوا منها الأعمدة القصيرة، أو الدقيقة" التي تستعمل أزواجاً، وفي هذه الحالة يكون لكل زوج منها تاج واحد"[2]، وجرت العادة أن تُشترى الأعمدة الرخامية جاهزة[3]، وهو ما فعله الوليد بن عبد الملك حين اشترى العمودين الأخضرين تحت قبة النسر[4]. وقد زادت هذه الأعمدة المساجد بهاء كونها أقيمت "في فراغ بيت الصلاة الفسيح، فتتجلى متراصة صفوفاً، تحمل العقود دون أن يشاركها عنصر جمالي آخر"[5].

أشارت المصادر التاريخية وكتب الرحالة إلى أعمدة الجامع الأموي، وهي معلومات تقدّم صورة عامة عنها، فقد اكتفى القزويني بالقول إن الجامع بني على أعمدة من رخام، وهي طبقتان: طبقة سفلى أعمدتها كبار، وطبقة عليا صغيرة الأعمدة[6]، ويضيف أن هناك عمودين حجريين على باب الجامع[7]، وعموديين في الجانب الغربي من الجامع على الطبقة العليا من الأعمدة الصغار من الحجر[8] الدّهَنّج[9].

---

[1] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص252

[2] مؤنس، حسين، المساجد، ص126.

[3] المرجع نفسه، ص126.

[4] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص270، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص245، العيني، السيف المهند، ص132.

[5] مؤنس، حسين، المساجد، ص126.

[6] القزويني، آثار البلاد، ص190.

[7] المصدر نفسه، ص190.

[8] المصدر نفسه، ص190-192.

[9] الدّهَنّج بفتح الدال، هو حجر أخضر في لون الزبرجد يوجد في معدن النحاس، وهي كلمة في الأصل فارسية بمعنى جوهر الزمرد. الجواليقي، أبو منصور، المعرب في الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ص318-319، الرازي، معجم مختار الصحاح، مادة، "دهنج"، التونجي، محمد، المعجم الذهبي، ص261.

كان ابن جبير دقيقاً في وصف أعمدة الجامع الأموي وسواريه الداخلية، إذ تحدث عن عددها، والمادة المصنوعة منها، وزخارفها، ومقاساتها المختلفة، فذكر أن بلاطات الجامع الثلاث أي أروقته قامت على ثمانية وستين عموداً، "منها أربع وخمسون سارية، وثماني أرجل جصيّة تتخللهما، واثنتان مرخمة ملصقة معها في الجدار الذي يلي صحن الجامع، وأربع أرجل مرخمة أبدع ترخيم، مرصعة بفصوص من الرخام، ملوّنة نظمت خواتيم، وصوّرت محاريب، وأشكالاً غريبة قائمة في البلاط الأوسط، تُقلُّ قبّة الرصاص مع القبّة التي تلي المحراب، سعة كل رجل منها ستة عشر شبراً، وطولها عشرون شبراً"[1]، ويشير ابن جبير إلى أن المسافة بين كل رجل ورجل "في الطول سبع عشرة خطوة، وفي العرض ثلاث عشرة خطوة، فيكون كل دور رجل منها اثنين وسبعين شبراً"، ويضيف أن عدد الأعمدة المحيطة بصحن المسجد سبع وأربعون، أربع عشرة منها من الجصّ، وباقيها سوار[2].

ث- صحنه

الصحن هو الفناء الواقع بين جدران الجامع لا سقف عليه[3]، واشتهر الجامع الأموي بصحنه، الذي ضرب المثل بحسنه وجماله، إذ كان مكان تجمّع الناس عبر العصور، ومتنزهاً لهم، يؤمّه الناس كل عشية، ويسيرون فيه ذهاباً وإياباً، من الشرق إلى الغرب، ومنهم من كان يتحدّث، ومنهم من يقرأ، ومنهم من يفعل هذا في وقت الغداء[4]. وقد قدّمت المصادر التاريخية بعض الوصف لهذا الصحن، فذكروا أن سعته عشر خطوات، وقيل: مائة ذراع، عدا الجزء المسقوف منه من الجهة القبلية والشمالية[5]، ويوجد في الجدار المتصل بالصحن، المحيط بالبلاطات القبلية" الأروقة" عشرون باباً، طولها طول الجدار، يعلوها قسيّ جصيّة مخرّمة على

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص212-213.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص213.

[3] مؤنس، حسين، المساجد، ص61.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص213-214، ابن بطوطة، الرحلة، ص82، الحميري، الروض المعطار، ص239، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص21، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص16، 19.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص213، ابن بطوطة، الرحلة، ص82، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 13، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5،ص276، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص78، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص52.

شكل[1] شمسيات[2]، والبلاط المتّصل بالصحن، المحيط بالبلاطات الثلاث، على أعمدة، عليها أبواب مقوّسة، تحملها اعمدة صغار، وهي تلف الصحن كلّه[3]، وذكر آنفاً أن ابن جبير عدّ الأعمدة المحيطة بصحن الجامع فكانت سبعاً وأربعين عموداً، أربعة عشر منها من الجص، والباقي سَوارٍ[4]. ويذكر حسين مؤنس أن بيت الصلاة في الجامع الأموي يفتح "على الصحن بسلسلة من العقود، عددها عدد البلاطات" 22 بلاطة"، وهي عقود مستديرة، وتزيّن الجدار، أعلى العقود، سلسلة من نوافذ ذات عقود مستديرة، وتقوم كل هذه النوافذ أزواجاً: كل اثنتين منها فرق من العقود، ويحيط بالصحن، من شرق وغرب، مجنبتان، لهما نفس هيئة أروقة بيت الصلاة[5]"[6].

ج- قبابه

القبة من أهم عناصر العمارة الإسلامية في المساجد، فاجتماعها والمأذنة أضفى رونقاً بهيجاً على الطراز المعماري للمساجد الإسلامية[7]، وكانت قباب الجامع الأموي من العناصر الهندسية التي تميّز بها، على الرغم من اختلافها في درجة حسنها وزخرفتها وبنائها، وقد ذكر المؤرخون ثلاث قباب في صحن الجامع الأموي، هي:

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص214، الحميري، الروض المعطار، ص239، نقولا، زيادة، دمشق في عصر المماليك، ص81، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص18-19، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص186.

[2] الشمسيات "شباك أو فتحة في جدار المسجد، تقفل بلوح من الرخام أو الخشب المخرّم"، وهي جزء من عمارة المساجد الإسلامية، لها فوائد عديدة، منها العنصر الجمالي، ودخول الشمس والهواء إلى المسجد. مؤنس، حسين، المساجد، ص130.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص214، الحميري، الروض المعطار، ص238.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص213.

[5] المقصود أروقة الجامع السابق ذكرها.

[6] مؤنس، حسين، المساجد، ص160.

[7] المرجع نفسه، ص120.

1- القبة الغربية، الواقعة في الجانب الغربي من الصحن، وتعد أكبر هذه القباب[1]، وأطلق عليها مسميات أخرى، فقالوا: قبة عائشة[2]، وقبة المال[3]، وقبّة الخزنة[4]، وسبب هذه التسمية أن مال الجامع كان يُخَزّن بها[5]، وأكد ذلك ابن جبير أن مخزونها حين زارها سنة (580هـ/1184م)، في عهد صلاح الدين الأيوبي كان يزيد على الثمانية آلاف دينار في السنة أي ما يعادل خمسة عشر ألف درهم. بنيت هذه القبة في عهد المهدي سنة (171هـ/787م)، بناها الفضل بن صالح بن علي(172هـ/789م)[6] والي دمشق يومذاك[7]. وكان سقف هذه القبة من الرصاص، مستطيلة الشكل، قائمة على أعمدة ثمانية، مزخرفة بالفسيفساء أو الفصوص والأصبغة الملوّنة على حدّ تعبير الرحالة الذين

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص215، ابن بطوطة، الرحلة، ص 83، الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص449، ج3، ص1018، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص19-20، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص54، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص292.

[2] ابن بطوطة، الرحلة، ص83، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، 276، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص292.

[3] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص534، النعيمي، الدارس، ج2، ص296، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص276، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة10، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص291.

[4] الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة العربية، الجامع الأموي، م3، ص654.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص215، الحميري، الروض المعطار، ص 239، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص20، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص55، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص292.

[6] من ولاة الدولة العباسية. ولد سنة (122هـ/740م)، ولاّه الخليفة المهدي مصر سنة (168هـ/785م)، ثم تولى إمارة دمشق مدة، وخلال فترة حكمه عمر في أبواب الجامع وقبته. توفي سنة (172هـ/789م). الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1، ص202.

[7] الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1، ص202، النعيمي، الدارس، ج2، ص296، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص291.

زاروها[1]، زادها جمالاً ما عليها من تيجان[2] كورنيثية[3]. "ويبلغ ارتفاع القبة عن أرض الصحن عشرين متراً، وقطرها نحو ستة أمتار"[4].

2- القبّة الشرقية، وتقع في الجانب الشرقي للجامع[5]، سميت بغير اسم، فقيل: قبة زين العابدين[6]، أو الساعات، لوجود الساعات فيها[7]، أو قبة يزيد[8]، واختلف فيمن بناها، فبعضهم ذكر أنها بنيت زمن الخليفة العباسي المهدي سنة(160هـ/777م)[9]، وآخرون أرجعوها إلى زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة(400هـ/1009م)[10]، أو الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (427-487هـ/1036م- 1094م)[11]، الذ ي كتب عليها اسمه واسم الأئمة الاثني عشر. وبنيت هذه القبة على نمط سابقتها الغربية، على ثمانية من الأعمدة، ولكنها أصغر حجماً منها[12].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص215، ابن بطوطة، الرحلة، ص 83، الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص449، ج3، ص1018، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص19-20، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص54، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص292.

[2] الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة العربية، مادة" الجامع الأموي"، م3، ص654.

[3] نسبة إلى مدينة كورنثا في اليونان، ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، وهو ذو زخارف منحوتة نحتاً بارزاً، ظهر في معبد أبولو، ويشبه الجرس المقلوب. زكي، شيرين، أنماط الأعمدة عبر العصور المختلفة، ص12.

[4] هيئة تحرير مجلة الوعي الإسلامي، الجامع الأموي درة دمشق، ص4.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص215، ابن بطوطة، الرحلة، ص83، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص20، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص292.

[6] ابن بطوطة، الرحلة، ص 83، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1018، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص292.

[7] محاسنة، محمد، تاريخ دمشق، ص 25، هيئة تحرير مجلة الوعي الإسلامي، الجامع الأموي درة دمشق، ص4.

[8] هيئة تحرير مجلة الوعي الإسلامي، الجامع الأموي درة دمشق، ص4.

[9] الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1081، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص291، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص25.

[10] محاسنة، محمد، تاريخ دمشق، ص 25.

[11] كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص276.

[12] ابن جبير، الرحلة، ص215، ابن بطوطة، الرحلة، ص83، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص20، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص292.

3- تقع القبة الثالثة في وسط الصحن، ويطلق عليها اسم قبة الرخام، لأنها مصنوعة منه بشكل متقن، ووصفت بانها صغيرة، مثمنة الشكل، ملصقة بإحكام، وقائمة على أربعة أعمدة من الرخام. ويوجد تحتها شباك من الحديد مستدير، وسطه قفص أو الفوارة[1]، ولذا أطلق عليها اسم قبة النوفرة[2]. اختلف في سنة بنائها، فذكرت أكثر المصادر والمراجع سنة (369هـ/979م)[3]، وتفرد عبد القادر بن بدران أنها بنيت في سنة(396هـ/ 1006م)[4]، 1006م)[4]، وقد يكون ذلك قلباً للأرقام وقع فيه المؤرخ.

ومن أهم القباب في الجامع الأموي وأشهرها **قبة النسر أو قبة الرصاص**[5]، التي تقع فوق مركز بيت الصلاة فيه، وسط أروقة الجامع الثلاث، "عقدت على المحراب الكبير الذي يصلّي به خطيب الجامع وعامة الناس، ومقصورة الخطابة وبها المنبر، وأمامه سدّة الأذان"[6]، وقد بناها الوليد بن عبد الملك(ت96هـ/715م) بعد اكتمال بناء كل ما كان داخل حيطان الجامع[7]، وكان الوليد نوى بناءها من الذهب الخالص، فنهاه أحد البنائين عن ذلك، فزجره الوليد، ولكنه أيقن لاحقاً صعوبة ذلك، فعدل عن الأمر، فسقف الجامع كلّه بما فيه القبة بالرصاص[8]. ولعل أدق من فسّر تسميتها بقبة النسر كان ابن جبير حين زار الجامع الأموي

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص215، ابن بطوطة، الرحلة، ص83، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص20، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص55.

(2) محاسنة، محمد، تاريخ دمشق، ص72.

(3) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص264، النعيمي، الدارس، ج2، ص296، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1018، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص291، محاسنة، محمد، تاريخ دمشق، ص71.

(4) بدران، عبد القادر، منادمة الأطلال، ص361.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص213، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 12، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص276، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص78، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص16، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص52.

(6) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص252.

(7) انظر قصة بنائها في ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص261، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص، النعيمي، الدارس، ج2، ص291-292.

(8) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص262-263، ابن جبير، الرحلة، ص213، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص531، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص244، الحميري، الروض المعطار، ص239، النعيمي، الدارس، ج2، ص292-293، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص 54، 105-106، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص78.

سنة(580هـ/ 1184م)، فقد وصفها سامقة في الهواء، مرتفعة البناء، "قد أغصت الهواء وسطه، فإذا استقبلتَها أبصرتَ منظراً رائعاً، ومرأى هائلاً يشبّهه الناس بنسر طائر كأنّ القبّة رأسه، والغارب[1] جؤجؤه[2]، ونصف جدار البلاط عن يمين، ونصف الثاني عن شمال جناحاه"، ويضيف أن أهل دمشق كانوا يطلقون هذا الاسم على القبة في الجامع حين زارها" لهذا التشبيه الواقع عليه، ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة على كل علوّ، كأنها معلقة من الجو"[3]، هذا الوصف يبيّن أن سبب تسميتها يعود إلى أمرين:

1- أن هندستها كانت على شكل نسر طائر، له رأس، وصدر، وجناحان مفرودان.

2- أنّها كانت من أعلى المباني في دمشق، يستطيع الناظر رؤيتها من أماكن متعددة فيها لعلوّها.

وهذه القبة مستديرة الشكل، ويتصل هيكلها أو غاربها بمحراب الجامع الأموي إلى الصحن، وسعته من جهة الصحن ثلاثون خطوة[4]، وقد أحكم بناء هذه القبة إذ شُدّت بأضلاع كبيرة من الخشب، منعطفة على القبة كالدائرة، عددها أربعون، وثّقت بأوتاد من الحديد، بين كل ضلع وضلع منها أربعة أشبار، وكل هذه الأطراف تجتمع في أعلى القبة، في مركز دائرة من الخشب[5]. وأقيمت القبة على قاعدة مستديرة من الحجارة الكبيرة، فوقها أرجل قصار ضخمة تحمل القبة، فتح بين كل رجل وأخرى شمسية، استدارت هذه الشمسيات باستدارة القبة[6]، وذكر

---

[1] الغارب في الجمل " أعلى مقدّم السنام"، " وغارب كل شيء أعلاه". ابن منظور، لسان العرب، مادة "غرب".

[2] جؤجؤ " عظام صدر الطائر"، أو صدره، وجمعها جآجئ. ابن منظور، لسان العرب، مادة "جأجأ".

[3] ابن جبير، الرحلة، ص 213، العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص254، وانظر ابن بطوطة، الرحلة، ص83، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص276.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص213.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص238-239، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص277، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص62، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص31.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص238-239، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص254، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، 277، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص32، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص61-62.

ابن جبير أنّ للقبة طيقاناً، شاهدوا من خلالها الرجال في الجامع كأنهم صبيان لعلوّها ورفعتها[1].

ولشدة استدارة هذه الأضلاع من الداخل، راح ابن جبير يتخيلها قبة داخل قبة، ولكنهما تبدوان في عين الناظر واحدة[2].

وأركان القبة الأربعة، وجناحا النسر القبلي والشمالي مصنوعة من الرخام إلى أعلى الجدر، وتتزين هذه الأركان بالفسيفساء، وقد سقفت "بالبطائن[3] المعمولة بالذهب واللازورد[4] والزنجفر[5] والإسفيداج[6]، والأصباغ الخالصة من لون والمركبة من لونين"[7]، وهو ما عناه ابن ابن جبير حين قال واصفاً القبة من الداخل: "وهي كلها مذهبة بأبدع صنعة من التذهيب، مزخرفة التلوين، بديعة القرنصة، يرتمي الأبصار شعاع ذهبها، وتتحير الألباب في كيفية عقدها"[8]. وقدّر ابن جبير حجم القبة حال استدارتها بثمانين خطوة[9]، وفي أعلى القبة أنبوبة وضع عليها الهلال[10]، ويوجد تحتها عمودان مجزّعان، صنعا وحدهما في الجامع من الرخام، والباقي من المرمر، حيكت حولهما الأساطير لجمالهما، فقيل: إنهما من عرش بلقيس[11].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص237.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص238–239، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص277، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص32، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص61–62.

[3] ما يُبطّن به الثوب أو غيره من الداخل، والمقصود هنا ما بطّنت به القبة من داخلها. ابن منظور، لسان العرب، مادة "بطن".

[4] كلمة فارسية الأصل، وهو حجر ثمين لونه أزرق، وقد يميل إلى الحُمرة. التونجي، محمد، المعجم الذهبي، ص525

[5] عرفه الجواليقي بأنه الصبغ الأحمر، الجواليقي، المعرب، ص43.

[6] أو الإسبيذاج كربونات الرصاص الأبيض أو بياضه، وهي كلمة فارسية الأصل. التونجي، محمد، المعجم الذهبي، ص32.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص238، العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص253، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص86.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص 239، انظر العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص254.

[9] ابن جبير، الرحلة، ص239.

[10] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص254، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص70.

[11] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص266–267، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص534، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص244، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص253.

ولعل هندسة هذه القبة وحسن تصميمها، وما فيها من فسيفساء وأحجار غالية الثمن، جعلتها تحفة معمارية، فكانت من أعظم آثار هذا الجامع، وجعلت ابن جبير حين زارها يقول: "والحال فيها أعظم من أن يبلغ وصفها"[1].

وقد نزل بهذه القبة عبر التاريخ نكبات متعددة، وكانت من ضمن ما احترق في الجامع الأموي سنة (461هـ/1069م)[2]. وجدّدت هذه القبة أو بعض معالمها غير مرّة، أحصاها علي الطنطاوي في كتابه عن الجامع الأموي، فذكر أنها جددت سنة (475هـ/1082م)، في عهد الوزير السلجوقي نظام الملك[3]، سقفت مقصورتها والطاقات والأركان الأربعة، وجدّد صلاح الدين الأيوبي سنة(575هـ/1179م) ركنين في القبة، وأصلحت عدة دعائم فيها سنة (602هـ/1205م)، وأسندت القبة سنة (611هـ/1214م) بأربعة أوتاد من الخشب، جلبت من غوطة دمشق، طول كل وتد 32 ذراعاً بذراع العمال[4].

ح- الفوارة أو النافورة

إن الحديث عن قباب الجامع يفضي إلى وصف جانب معماري آخر كان محل إعجاب المؤرخين والرحالة، وهو الفوارة التي كانت تقع وسط باب جيرون، تحت قبّة الرخام آنفة الذكر[5]، يذكر ابن كنان أنها بنيت سنة(396هـ/1006م)[6]، ولكن رأيه جاء مخالفاً جمهور

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص238.

[2] الأصفهاني، عماد الدين، تاريخ دولة آل سلجوق، ص204، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص383

[3] قوام الدين أبو علي الحسين بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي الملقب بنظام الملك، ولد في طوس من بلاد فارس، عمل عند طغربل بك السلجوقي، وصار وزيراً مشهوراً ومهيباً للسلطان السلجوقي ألب أرسلان ثم ابنه ملكشاه، نشأ يتيماً، وتعلم العربية، وسمع الحديث، ثم ترقى في سلك السياسة والحكم، فبلغ منزلة عظيمة. بنى المدارس وقرّب العلماء، وأسقط المكوس والضرائب وحفظ أركان الدولة، قتله الحشاشون سنة (485هـ./1092م). انظر نبذة من سيرته الذاتية وعن حياته: الأصفهاني، عماد الدين، تاريخ دولة آل سلجوق، ص218، أبا الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص17.

[4] النعيمي، الدارس، ج2، ص302، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص 46.

[5] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص264، ابن جبير، الرحلة، ص217، ابن بطوطة، الرحلة، ص86، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص256.

[6] ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص413.

المؤرخين الذين ذكر غير واحد منهم أنها أقيمت سنة (416هـ/1025م)[1]، وواضح أن ابن كنان خلط بين تاريخ بناء قبة الرخام وقبة الفوارة، فجعل تاريخ بناء القبة، وهو السنة التي ذكرها علامة على سنة بناء الفوارة.

أجرى إليها أبو يعلى فخر الدولة حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني الماء سنة (427هـ/1025م) من قصر الحجاج بن عبد الملك[2]، وأضاف إليها الشاذوران[3] سنة (514هـ/1120م) الذي ما لبث أن هدم لاحقاً[4]. وقد وقف بعض الرحالة على وصف الفوارة المعماري، فذكروا أنها حوض مستدير، عليها قبة من الرصاص مكشوفة واسعة[5]، وفي وسط الحوض أنبوب نحاسي يدفع الماء بقوة إلى أعلى، قد يفوق ارتفاعه قامة الإنسان[6]، و"حول هذا الأنبوب أنابيب صغيرة ترمي الماء إلى علو، فيخرج عنها كقضبان اللجين، فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية"[7].

وأصيبت الفوارة في الكوارث التي نزلت بالجامع الأموي عبر تاريخه، فقد سقط بناؤها سنة (457هـ/1065م)، فأعيد بناؤها مرة أخرى[8]، وفقدت الفوارة أعمدتها وبعض بنائها في حريق سوق اللبادين سنة (562هـ/1167م)، وظلّت خراباً إلى آخر عهد الملك العادل الأيوبي[9]، إذ أمر بتجديدها، وبنى لها شاذوران في أواسط سنة (610هـ/1213م)[10]. وقد أثار

---

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص264، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص256، النعيمي، الدارس، ج2، ص300.

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص264، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص256، النعيمي، الدارس، ج2، ص300.

(3) لفظة فارسية، وتعني لسان من البناء يتدفق منه الماء أو غيره. الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص18.

(4) بدران، منادمة الأطلال، ص361.

(5) ابن جبير، الرلة، ص218.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص218، ابن بطوطة، الرحلة، ص86.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص218.

(8) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص264، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص256، النعيمي، الدارس، ج2، ص300، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص72، محاسنة، محمد، تاريخ دمشق، ص73.

(9) أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي أخو صلاح الدين الأيوبي، ولد سنة (538هـ/1143)، ملك مصر والشام واليمن، وكان ينوب عن أخيه في مصر، وعرف بجرأته وحنكته وحسن سيرته. توفي سنة (615هـ/1218م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص74-78، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص121.

(10) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص264، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص256، النعيمي، الدارس، ج2، ص300، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص72.

أثار حسن صنعة هذه الفوارة قرائح بعض الشعراء، ومنهم الشاعر جعفر بن دوّاس الكتامي الملقّب بقمر الدولة[1]، الذي عبّر عن جمالها وعظمتها، وأثرها في عيون ناظريها، فقال[2]:

(البحر البسيط)

رأيتُ بالجامعِ المعمورِ معجزةً في جلِّقٍ كنتُ أحدى من بها سمعا
فوارةٌ كلّما فارتْ فرَتْ كَبِدي ومـاؤها فاضَ بالأنفاسِ فاندفعا
كأنها الكعبةُ العُظمى فكلُّ فتى من حيثُ قابلَ أبواباً لها ركعا

خ- شمسياته

تتميّز العمارة الإسلامية في المساجد بهذه الشمسيات، التي تضفي جمالاً على شكل المسجد وهندسته، فتظهره بصورة بديعة، وتساعد هذه الشمسيات على دخول الشمس والهواء إليه[3]، "وهي في الغالب توضع صفوفاً أو على مسافات متساوية في الجدار، حتى يكون لها أثرها الجمالي المطلوب"[4]. وقد اشتهر الجامع الأموي بهذه الشمسيات، التي بلغ عددها أربعاً وسبعين "شمسية زجاجية مذهبة ملوّنة"[5]، عشرة منها في القبة التي تحت قبة الرصاص، وأربع وأربع عشرة في القبة المتصلة بالمحراب، مع ما يليها من الجدار، وتوجد على طول جدار القبلة، يمين المحراب ويساره أربع وأربعون شمسية، وست أخرى في القبة المتصلة بجدار

---

(1) نشأ بطرابلس الشام، وقد أشاد المؤرخون بشاعريته، فوصفوا شعره رقيقاً وعذباً في ألفاظه، ولطيفاً في معانيه. توفي سنة (377هـ/987م). الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص200.

(2) النعيمي، الدارس، ج2، ص301، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص413، بدران، منادمة الأطلال، ص361.

(3) مؤنس، حسين، المساجد، ص130.

(4) المرجع نفسه، ص130.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص213. وانظر ابن بطوطة، الرحلة، ص83، الحميري، الروض المعطار، ص239، مجهول، رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي، ورقة 12، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص429، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص79، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص17، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص52، الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة الميسرة، مادة "الجامع الأموي"، م3، ص655، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص186، 291.

الصحن، وسبع وأربعون شمسية في ظهر الجدار إلى الصحن[1]، وقد زخرفت هذه الشمسيات بالأشكال النباتية والهندسية الفنية الأخرى الجميلة[2].

د- محرابه

تذكر المصادر التاريخية أن محراب الجامع الأموي هو في الأصل يقع في موضع المسجد الذي بناه الفاتحون الذين دخلوا دمشق، وأنشأوا مسجد الصحابة، وقد ضمّه الوليد بن عبد الملك إلى جامعه ووسعه، على ما مرّ آنفاً، ثم عرف هذا الموضع في العصور اللاحقة بمحراب الصحابة[3]، وعدّه بعض المؤرخين أول محراب وضع في الإسلام[4]، وقد أشاد المؤرخون والرحالة بحسن صناعة هذا المحراب وإتقانه، وجعله بعضهم من غرائب المحاريب التي رآها، ووصف ما عليه من زخارف وزينة، ولون يشع ذهباً[5]، ويمتلئ بالجواهر الثمينة والفضة[6]، وهو المكان الذي يصلّي فيه خطيب الجامع، وعامة الناس، ويحوي مقصورة الخطابة، وأمامه تقع سدّة الأذان[7]، وفي وسط هذا المحراب الكبير توجد عدة محاريب صغيرة، صغيرة، تتصل بجداره، وتلفها سويرات مفتولات فتل الإسورة، كأنها مخروطة، لون بعضها أحمر كأنه المرجان[8]. وعلى ما يبدو أن الجامع الأموي في وقت بنائه في عهد الوليد كانت مقصورة خطابته في محراب منفصل عن محراب الصحابة، تقع في المنطقة الغربية من الجامع،

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص213، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص79، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص17، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص52.

(2) الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة الميسرة، مادة "الجامع الأموي"، م3، ص655.

(3) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص251، الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة الميسرة، مادة "الجامع الأموي"، م3، ص 652.

(4) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص252، ابن بطوطة، الرحلة، ص83، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص67، عمران، محمود، كتابات الرحالة، م3، ص328.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص216، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص533، الحميري، الروض المعطار، ص239، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص277، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص82، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص22، إيبش، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص187، سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف، ص26.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص533،، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص257، 293.

(7) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص252، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص67.

(8) ابن جبير، الرحلة، ص216، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص43، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص22.

ويطلق عليها المقام الغربي، وهو الوحيد المبني من رخام، في حين كان محراب الصحابة في الجانب الشرقي من الجامع، ثم أضحى اسم الصحابة عاماً على المحراب كلّه[1]، وقد اشتهرت محاريب أخرى في العصر المملوكي، كان لها مكانتها في الجامع، وعرفت بأسماء خاصة بها[2].

ذ- مقصوراته

المقصورة في الأصل حجرة كانت "تبنى في صدر المسجد على يمين القبلة أو يسارها، لكي يصلّي فيها الحاكم، والقصد منها حمايته من الناس"[3]، وعلى ما يبدو أن هذا المعنى لها تطوّر فأضحت المقصورة تشمل الغاية السابقة، وبنيت أخرى مثلها، لها وظائف أخرى في المسجد، وقد كان في الجامع الأموي مقصورات ثلاث، لكل واحدة منها دور فيه، وهي:

أ- مقصورة الصحابة: وهي أول مقصورة في الإسلام، قيل بناها معاوية بن أبي سفيان [4]، أو أو سليمان بن عبد الملك بعد توليه الخلافة[5]، وتقع في الطرف الشرقي من الجامع، وكان محلّها الأصلي في القسم الأول من كنيسة يوحنا المعمدان الذي اتخذه المسلمون مسجدا بعد الفتح[6]، وكان معاوية يدخل إليها من باب حديد، بجانب محرابها الواقع يمين مستقبل

---

[1] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص244.

[2] سيأتي الحديث عنها في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

[3] مؤنس، حسين، المساجد، 80.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص213، الحميري، الروض المعطار، ص239، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص17، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص52-53.

[5] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص271، النعيمي، الدارس، ج2، ص296، الحافظ، محمد، الجامع، ص112.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص214، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص80، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص28، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص53.

القبلة[1]، إذ كانت داره المعروفة بالخضراء خلف هذه المقصورة. وطولها أربعة وأربعون شبراً، وعرضها نصف طولها إثنان وعشرون شبراً[2].

ب- المقصورة العظمى[3]، أو مقصورة الخطابة[4]، تقع وسط الجامع من جهة الغرب، بنيت عقب دمج القسم الثاني من كنيسة يوحنا المعمدان بالجامع، وهي أكبر من مقصورة الصحابة، وفيها منبر الخطابة ومحراب الصلاة[5]. ومن الجدير ذكره أنه في الركن الشرقي الشرقي لهذه المقصورة كانت خزانة فيها مصحف عثمان، رضي الله عنه، الذي أرسله إلى الشام[6]، وكتبه بخط يده[7]. كان هذا المصحف في أول أمره في الشام في طبريا، ثم نقله السلطان طُغتكين[8]أحد قادة السلاجقة (522هـ/1128م) إلى الجامع الأموي سنة (507هـ/ 1113م)[9]، ويذكر ابن جبير أن خزانة المصحف كانت تفتح كل يوم جمعة بعد الصلاة، فيتزاحم الناس عليه، تبركاً به، واستمرت هذه العادة في عصور لاحقة، ومنها المملوكي[10].

ت- هناك مقصورة أخرى في الجانب الغربي من جدار الجامع، كانت موضعاً للحنفية، يصلون فيها ويدرّسون[11].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص213، الحميري، الروض المعطار، ص239، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص17، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص52-53.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص214، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص80، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص18، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص53.

[3] ابن بطوطة، الرحلة، ص83، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص293.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص217، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص244،ابن بطوطة، الرحلة، ص83، الحميري، الروض المعطار، 239.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص214، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص244، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص80، الحافظ، محمد مطيع، ص18، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص53.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص217، ابن بطوطة، الرحلة، ص83، الحميري، الروض المعطار، 239.

[7] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص252، ابن المبرد، ثمار المقاصد، ص166.

[8] طغتكين بن أتابك أبو منصور ظهير الدين، أحد أمراء تتش السلجوقي، كان شهما كريما ذا حنكة، حكم دمشق، وجاهد الصليبيين في مواقع كثيرة. توفي سنة(522هـ/1128م). الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج2، ص416.

[9] النعيمي، الدارس، ج2، ص307، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص421.

[10] ابن جبير، الرحلة،ص217، ابن بطوطة، الرحلة، ص83، الحميري، الروض المعطار، ص 239.

[11] ابن جبير، الرحلة،ص214، ابن بطوطة، الرحلة، ص 83، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص430.

ر- مآذنه

يختلط الحديث في المصادر التاريخية عن المآذن والصوامع والمنائر، وهناك فرق بينها، ناقشه حسين مؤنس في كتابه" المساجد"، فاستخلص أن الصوامع، كانت " أقرب إلى الأبراج في ضخامة الهيئة. وأما المنارات، فكانت أقل حجما وربّما أقل ارتفاعاً، واستعمال لفظ المنارة.. يدل على أن المنارات كانت على هيئات معمارية مقتبسة من المنارات التي كانت تنشأ على السواحل أو على قنن الجبال في العصور القديمة"[1]. ويخلص الباحث بأن المآذن أضحت وليدة الامتزاج بين النمطين المعماريين معا أي الصوامع والمنائر، وقد دعم رأيه بأمثلة من المساجد الإسلامية، ومنها الجامع الأموي، ودلّل على رأيه بأنه عندما حوّل المسلمون الفاتحون جزءاً من المعبد إلى مسجد، "رفعوا فوق الأبراج التي كانت قائمة في أركان المعبد القديم ظلات خشبية تقوم على عمد خشبية أيضاً، يستظل بها المؤذنون عندما يرفعون الصلاة، فلمّا جدّد الوليد بن عبد الملك منار الجامع الأموي، وأعطاه صورته الحالية جدد أيضاً ظلات المآذن سنة(96هـ/715م)"[2].

ذكرت المصادر التاريخية أن للجامع الأموي ثلاث مآذن[3]، كانت تعدّ أول محاولة لإقامة وبناء المآذن في الإسلام[4]:

أ- تقع في الجانب الشرقي من الجامع[5]، يقال: إن الذي بناها الروم، اتخذوا منها مكاناً للمراقبة والحراسة[6]، كانت في الوقت ذاته مكانا لعبادتهم إذ وجدوا عليها كتابة يونانية تشير إلى ذلك[7]. وصفها ابن جبير حين زارها بأنها كانت مشيدة، ذات مساكن واسعة،

---

[1] مؤنس، حسين، المساجد، ص114.

[2] المرجع نفسه، ص114-115.

[3] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص251، الحميري، الروض المعطار، ص240،

[4] مؤنس، حسين، ص160.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص215، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص251، الحميري، الروض المعطار، ص239، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص81، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص19، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص84، إيبش، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص87.

[6] ابن بطوطة، الرحلة، ص84، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص534، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص293.

[7] النعيمي، الدارس، ج2، ص286.

وزوايا فسيحة وكبيرة، يسكنها أناس غرباء من أهل الخير[1]، ويضيف أن البيت الأعلى فيها كان معتكف، الإمام أبي حامد الغزالي(ت 505هـ/1111م)، وكان يسكنها الفقيه الزاهد أبو عبد الله بن سعيد من أهل قلعة يحصب أو بني سعيد[2]، وهذا يدلّل على أنها كانت مأوى لكبار من متصوفة العصر الأيوبي، ويخالف الحموي رأي ابن جبير، فيذكر أن الغزالي كان يتعبّد بالمنارة الغربية[3]، ولعل الغزالي وفق هذه المعلومات كان يسكن المنارة الشرقية، ويتعبد في الغربية.

ويضيف الحموي منارة شرقية أخرى، يقال لها المنارة البيضاء أو منارة عيسى، زعموا أن عيسى بن مريم، عليه السلام سينزل عليها، وأن فيها حجراً، هو قطعة من الحجر الذي ضربه موسى بن عمران، عليه السلام، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً[4]، ويبدو أن كلامه غير دقيق لأن منارة عيسى ليست في الجامع الأموي، بل قرب كنيسة مريم بدمشق[5].

ب- المنارة الغربية، الواقعة في الجانب الغربي من الجامع، وهي تشبه المنارة الأولى[6]، وقيل فيها أيضاً: إنها من بناء الروم[7]، تعبد فيها رجال كان لها عظيم الأثر في التصوّف وفي التاريخ الإسلامي، من أمثال أبي حامد الغزالي، وتعبد فيها حين زار دمشق المهدي بن

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص215، الحميري، الروض المعطار، ص239، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص81، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص19، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص84، إيبش، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص87.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص215. قلعة بني سعيد أو يحصب، من أعمال غرناطة في الأندلس. الحموي، معجم البلدان، ج4، ص444.

[3] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص533.

[4] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص233، ابن الوردي، خريدة العجائب، ص53، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1022، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص288، الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة الميسرة، مادة " الجامع الأموي، م3، ص666.

[5] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص533، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1022، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص288.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص215، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص82، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص19، إيبش، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص187.

[7] ابن بطوطة، الرحلة، ص84، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص187.

تومرت(524هـ/1130م)،[1] إمام الموحدين في الأندلس وأميرهم، ومؤسس دولتهم[2]، وقد أعاد تجديدها وبناءها السلطان المملوكي قايتباي سنة (872هـ-901هـ/1467م-1496م)[3]، فعرفت فيما بعد باسمه[4].

ت- المأذنة الشمالية، الواقعة في القسم الشمالي للجامع على باب الناطفيين[5]، وسميت بمأذنة العروس[6]، بناها المسلمون في عهد الوليد بن عبد الملك [7]، وهي مذهبة من أسفلها إلى أعلاها[8]، طرأ عليها تجديد سنة (555هـ/1160م)[9]، وجدّد قسمها الأوسط في العهد الأيوبي في عصر صلاح الدين، عقب حريق سنة(570هـ/1175م)، وجددها الملك الصالح نجم الدين أيوب عقب حريق سنة (646هـ/1248م)[10].

ويذكر حسين مؤنس أن البناء الحالي لمآذن الجامع الأموي الثلاث تعود إلى عصور الأيوبيين والمماليك والعثمانيين[11].

---

[1] أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي. من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب، من جبل السوس في أقسى المغرب، نشأ هناك ورحل إلى المشرق، وأخذ العلم عن شيوخه، وعرف بورعه وتقواه وشجاعته وفصاحته، وهو مؤسس دولة الموحدين في الأندلس. توفي (524هـ/1130م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص45-46، الزّركلي، الأعلام، م6، ص228-229.

[2] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص533.

[3] أبو النصر سيف الدين قايتباي محمودي الأشرفي الظاهري. تولّى أتابك العسكر، ثم سلطنة الدولة المملوكية الثانية سنة(872ه/1467م)، واستمر فيها حتى وفاته سنة(901ه/1496م). الزركلي، الأعلام، ج5، ص188.

[4] الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص47، مؤنس، حسين، المساجد، ص160.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص215، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص251، الحميري، الروض المعطار، ص240، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص82، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص19، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص46، 54، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص187.

[6] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص251، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص288، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص47، الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة العربية، مادة" الجامع الأموي"، م3، ص655.

[7] ابن بطوطة، الرحلة، ص84، إيبش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص293.

[8] الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص46.

[9] العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص288.

[10] النعيمي، الدارس، ج1، ص340.

[11] مؤنس، حسين، المساجد، ص160.

ز- مشاهده

المشهد في اللغة هو مكان تجمع الناس ومحضرهم[1]، وتطوّر معنى اللغة لتحمل دلالة الضريح[2]، ويبدو أن مشاهد المساجد جمعت المعنيين، ومنها الجامع الأموي، الذي وجدت فيه مشاهد حملت دلالة الضريح، وأخرى اجتماع الناس، وحملت دلالة المساجد الصغيرة أو المصلى داخل الجامع الكبير، وهو ما يتضح من وصف المؤرخين لها، وهي بذلك أيضا تشير إلى اجتماع الناس فيها، ويُذكر أنّها سمّيت بالمشاهد لأنها محل التعبد، وتشهد للإنسان بعد موته[3]، ويبدو من وصفها أنها كانت مستقلة لوجود أئمة يختصون بها[4].

تعدّدت مشاهد الجامع الأموي، وتنوعت أسماؤها، ومنها المشاهد التي حملت أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم. وحمل بعضها اسم الحسين، رضي الله عنه، واسم نبي الله يحيى، عليه السلام، وزيد عليها في عصور لاحقة، وتغيّرت أسماء هذا المشاهد عبر العصور، وكانت تستخدم لأغراض متعددة، منها الصلاة والتدريس والاجتماعات، وموضعاً لخزائن الكتب، وغير ذلك[5].

أما مشهد أبي بكر، رضي الله عنه، فيقع جنوب شرق الجامع الأموي، وسمّي بمشهد الجبرت[6]، الذي فتح في سنة (628هـ/1231م)[7]. ويقع مشهد عمر، رضي الله عنه، في القسم القسم الجنوبي الغربي من الجامع على طرف الحرم، وكان يطلق عليه اسم شيخ الإسلام ثم مشهد عروة[8]. نسبة إلى عروة شرف الدين محمد بن عروة الموصلي، المتوفي

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة " شهد".

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة " شهد"، مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مادة " شهد".

[3] ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص418، حاشية رقم 4.

[4] ابن المبرد، ثمار المقاصد، ص87، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص 418، 420..

[5] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص533، الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة العربية، مادة" الجامع الأموي"، م3، ص655.

[6] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص253، النعيمي، الدارس، ج2، ص399، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص420.

[7] النعميي، الدارس، ج2، ص399، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص420.

[8] الحموي، معجم البلدان، ج2، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص253، ص533، النعيمي، الدارس، ج2، ص399.

سنة(620هـ/1223م)[1]، وكان فقيهاً ومحدثاً زاهدا، سمع الحديث، وحفظ علومه، وقرأ الأصول والنحو. أقام في القدس ثم تحوّل إلى دمشق، وظل فيها حتى وفاته[2]. وقد نسب بعض المؤرخين المؤرخين مشهد عمر إلى عروة المذكور، وجعلوه مستقلاً عن مشهد علي[3]، وبعضهم أطلق هذه التسمية على مشهد علي، رضي الله عنه، فقيل: مشهد عروة أو ابن عروة[4]، الذي فتحه ونظّفه بعد أن كان مخزناً لأدوات الجامع وآلاته، وبنى فيه بركة ماء[5]، ومحراباً، وجعل له أوقافاً على دروس الحديث وعلومه، ونقل كتبه إليه ووقفها عليه[6]. ويقع هذا المشهد في القسم الشمالي الغربي للجامع[7]، وعدّه المؤرخون والرحالة من أجمل المساجد وأكثرها بهاء[8]، وعرف هذا المشهد لاحقاً باسم مشهد زين العابدين[9]، ولعل سبب هذه التسمية أن داخل مشهد علي، على ما ذكر العمري، "مشهد لطيف يعرف بالسجن، يقال: إنه سجن به زين العابدين حين أقدم على يزيد"[10]، فصار اسم زين العابدين علماً على مشهد السجن ومشهد علي، وعرف مشهد علي أيضا باسم مشهد النائب[11].

أما مشهد عثمان، رضي الله عنه، ويقع في القسم الشمالي الغربي من الجامع[12]، وأطلق عليه اسم مشهد المؤذنين[13].

---

[1] النعيمي، الدارس، ج1، ص62، بدران، منادمة الأطلال، ص47.

[2] النعميي، الدارس، ج1، ص62، بدران، منادمة الأطلال، ص47.

[3] ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص419.

[4] النعيمي، الدارس، ج1، ص62، بدران، منادمة الأطلال، ص47، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص47.

[5] النعيمي، الدارس، ج1، ص62، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص419.

[6] النعيمي، الدارس، ج1، ص62، بدران، منادمة الأطلال، ص47.

[7] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص533، العمري، مسالك الأبصار، 253، النعيمي، الدارس، ج2، ص399.

[8] ابن جبير، الرحلة، 216، ابن بطوطة، ص83، النعيمي، الدارس، ج1، ص61، بدران، منادمة الأطلال، ص47.

[9] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص533.الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة العربية، مادة" الجامع الأموي"، م3، ص655.

[10] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص253.

[11] ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص419.

[12] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص533.

[13] ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص419.

ويقع مشهد الحسين خلف مشهد علي، رضي الله عنهما[1]، وإلى يسار باب جيرون[2]، وهو من المشاهد الكبيرة في الجامع الأموي، كان فيه رأس الحسين بن علي(ت61ه/680م)، رضي الله عنه[3]، حين أتوا به إلى دمشق[4]، قبل نقله إلى القاهرة[5]، ولذا سمّي باسمه، وكان في هذا المشهد قناة ماء وإمام[6]، وبجانبه مسجد صغير، حمل اسم عمر بن عبد العزيز[7].

ووجد في الجامع الأموي مشهد عرف بمشهد الرأس، ويقصد به رأس نبي الله يحيى، عليه السلام، الموجود، على ما ذكره المؤرخون، في البلاط القبلي من الجامع، مقابل الركن الأيمن من المقصورة الصحابية، وقد وضع عليه تابوت خشبي بين اسطوانتين، وفوقه قنديل من البلّور المجوّف، يشبه القدح الكبير[8]، وكتب باللون الأبيض على الصندوق الأسود المكسو بثوب بثوب حرير أحمر هناك[9] الآية القرآنية" يا زكريا إنّا نبشرك بغلام اسمه يحيى"[10]. ويقال: إن إن يحيى، عليه السلام، قتل في المسجد الصغير، خلف باب جيرون[11]، وقد ذكر بعض المؤرخين أن رأس يحيى نقل من دمشق إلى بعلبك ثم إلى حمص ثم إلى حلب[12]. ويرجح العلبي أن قبر يحيى ليس في الجامع الأموي، وبني المشهد فيه تكريما ليحيى، عليه السلام[13].

---

[1] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص533.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص217، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص23، إيبش، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص295.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص217، ابن بطوطة، الرحلة، ص85، الحميري، الروض المعطار، ص239.

[4] ابن المبرد، ثمار المقاصد، ص87.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص217، الحميري، الروض المعطار، ص239.

[6] ابن المبرد، ثمار المقاصد، ص87.

[7] ابن جبير، الرحلة، ص217، ابن بطوطة، الرحلة، ص85، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1018.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص221، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص241، الحميري، الروض المعطار، ص239، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص28، الطنطاوي، الجامع الأموي، ص28.

[9] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص529.

[10] ابن بطوطة، الرحلة، ص84، والآية رقم 7 من سورة مريم.

[11] الحموي، معجم البلدان، ج2، ص529.

[12] النعيمي، الدارس، ج2، ص287.

[13] العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص286-287.

وأضاف ابن كنان المتوفى سنة(1153هـ/1740م) أسماء مشاهد أخرى أضيفت إلى الجامع الأموي، استحدثت في عصور لاحقة، وبخاصة في الأيوبي والمملوكي والعثماني، ومنها المشهد الكمالي، ونسب للقاضي كمال الدين الشَّهْرَزوري[1] المتوفى سنة (572هـ/1176م) في العصر الأيوبي، "وكان يجلس فيه الحكام بعد صلاة الجمعة"[2]، قد تفرد ابن كنان بهذه التسمية في حين ذكر مؤرخون آخرون أن هناك في الجامع ما عرف بالشبّاك الكمالي، نسبة إلى القاضي المذكور، ويقع في المشهد الغربي منه، وكان يجلس فيه الشهرزوري للحكم، بعد أن عينه نور الدين زنكي(541-569هـ/1146م-1174م) ناظراً للجامع سنة(555هـ/1160م)[3].

ومن المشاهد الأخرى التي ذكرها ابن كنان "مشهد الطَّواشية، خدّام الجامع"، ومشهد باب الزِّيادة أو مشهد المَحْيَا، الذي كان خراباً في الفترة التي عاشها ابن كنان[4].

س- مرافق معمارية أخرى

ذكر بعض المؤرخين والباحثين مرافق أخرى مهمة للجامع الأموي، ومنها **سوره**، الذي بني من الحجر المنحوت، وهو مرتفع، قيل أصله من سور المعبد الروماني الذي بني الجامع عليه، وله أبراج مربعة، يُصعد إليها عبر درج في داخلها، استخدمت في أول أمرها للأذان، وجدّدت غير مرة[5].

وهناك مرفق مهم في الجامع الأموي، وهو **الكلاسة**، لصيق الباب الشمالي للجامع، وهو بناء واسع كان يعمل فيه الكلس زمن الوليد بن عبد الملك الذي فتح باباً له على الجامع، وأضافه

---

[1] أبو الفضل، محمد بن عبد الله بن القاسم، كمال الدين الشهرزوري، ولد سنة(492هـ/1099م)، سمع الحديث والفقه ببغداد والموصل، ولي قضاء دمشق وحماة وحلب وحمص وجميع الشام أيام نور الدين زنكي، وأضاف إليه شؤون المساجد والمدارس والأوقاف والحسبة، وكان عنده بمنزلة الوزير والحاكم بدمشق، وصف بصفات تدل على صلاحه وعلمه وتقواه. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص245-247.

[2] ابن كنّان، المواكب الإسلامية، ق1، ص418-419.

[3] النعيمي، الدارس، ج2، ص306.

[4] ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق3، ص420.

[5] الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة العربية، مادة "الجامع الأموي"، م3، ص653.

إليه، فأضحى جزءاً مهما منه[1]، وصفه ابن جبير أنه مسجد كبير، في وسطه بركة ماء مثمنة، مصنوعة من رخام[2]، وذكر العمري أنه كان للكلاسة "إمامان ومؤذنان"[3].

وكانت في الجانب القبلي من الجامع الأموي **أربع صفائح من اللازورد**[4]، كتب عليها آيات قرآنية، وتاريخ بناء الجامع، وهدم الكنيسة وهو (86هـ/705م)[5]، وقد محيت الكتابة قبل عهد المأمون العباسي(198-218هـ/813م-833م)[6].

وذكر المؤرخون من مرافق الجامع الأخرى **مسجد عمر بن الخطاب**، الذي كان شرقي الجامع الأموي[7]، والبيمارستان العتيق والصغير[8]، الواقع تحت المأذنة الغربية، قبلي مطهرة الجامع، في المنطقة الجنوبية الغربية من الجدار الغربي للجامع.

وبني في الجامع ومحيطه عدد من الترب والخانقاوات والزوايا والمدارس، أضحت جزءاً من الجانب التنظيمي له، وتذكر في المصادر التاريخية تابعة له، وكانت إحدى ثمار دوره العلمي والاجتماعي والديني والسياسي عبر العصور، سيأتي الحديث عنها إبان الحديث عن أثر الجامع في جوانب الحياة المختلفة.

---

(1) النعيمي، الدارس، ج1، ص340-341، بدران، منادمة الأطلال، ص144، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص89، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص158.

(2) ابن جبير، الرحلة، ص216.

(3) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص253.

(4) تعريب لكلمة لاجورد، وهي كلمة فارسية الأصل، وهو من الأحجار الكريمة، لونه أزرق بلون السماء. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص843، التونجي، المعجم الذهبي في الدخيل على العربي، ص525.

(5) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص366، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص270، النعيمي، الدارس، ج2، ص295.

(6) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص270، النعيمي، الدارس، ج2، ص295.

(7) ابن المبرد، ثمار المقاصد، ص166، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1023، سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف، ص43.

(8) قيل إن أول من بناه معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، ونسبه بعضهم للوليد بن عبد الملك لاهتمامه بالمستشفيات وعنايته بها. وقد أطلق على هذا البيمارستان اسم الدقاقي، نسبة إلى شمس الملوك دقاق بن تتش، الذي حكم سنة(488هـ/1095م)، لأنه جدده ووسعه وأوقف له الأوقاف. وسمّي ببيمارستان نور الدين، لأنه جدده ونظّم أوقافه. بدران، منادمة الأطلال، ص259، عيسى بك، أحمد، تاريخ البيمارستانات، ص205-206، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص258، الريحاوي، عبد القادر، مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، ص65.

- **الكوارث وأثرها في عمارة الجامع**

تعرض الجامع الأموي عبر تاريخه إلى عدد من الكوارث، وفي مقدمتها الحرائق والزلازل، بعضها نتجتْ عن الطبيعة وعواملها المختلفة، وأخرى كانت مفتعلة، أثّرت جميعها في عمارة الجامع، وأنزلت بمعالمه الدمار والخراب، ويمكن إجمالها في الآتي:

أمّا الحرائق، فكان أوّلها حريق عظيم سنة (461هـ/1069م)[1]، عصر ليلة النصف من شعبان، سببه الخلاف الذي وقع بين المشارقة والمغاربة في مصر أي أتباع الدولة الفاطمية يومذاك، إذ أشعل المغاربة النار في دار قريبة من الجامع فوصلت إليه[2]، فاشتعل محرابه وقبة النسر[3]، وأتت النار على الجانب الغربي كله، فمحت آثار الوليد بن عبد الملك(ت96هـ/715م) الملك(ت96هـ/715م) التي كانت في الجامع[4]، وقد جدّد نظام الملك السلجوقي(485هـ/1092م) ما احترق من القبة والسقف[5]، وقيل: ظل الجامع خرباً، وأرضه تراباً وطيناً إلى عهد العادل الأيوبي (615هـ/1218)[6]، الذي عمّره وجدّده وبلّطه[7].

واحترق الجامع مرة أخرى سنة(562هـ/1167م)، وهو ما اشتهر بين المؤرخين بحريق حي اللبادين وباب الساعات، ووصلت النيران الجامع، فالتهمت جزءاً من ناحية باب جيرون، وأعمدة الفوارة وما عليها[8].

---

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص308، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص96، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج1، ص544، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص254، النعيمي، الدارس، ج2، ص299، بدران، منادمة الأطلال، ج1، ص36.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص96، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص254.

(3) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص255، النعيمي، الدارس، ج2، ص300، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص131.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص131.

(5) الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص44.

(6) سيف الدين أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شادي بن مروان، أخو صلاح الدين الأيوبي، ملك مصر والشام واليمن، وكان ينوب عن أخيه في مصر، وصف بحنكته وتجربته وحزمه وبحسن سيرته. توفي سنة(615هـ/1218). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص74078، المقريزي، السلوك، ج1، ص151.

(7) العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص288.

(8) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص265، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص134، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج39، ص8.

واحترق جزء من الجامع سنة(570هـ/1174م)، وشمل الحريق الكلاسة ومأذنة العروس[1]. واشتعلت النيران في الجامع سنة (647هـ/1249م)، فأكلت المأذنة الشرقية وسلالمها" وراح للفقراء والمشايخ فيها ودائع وصناديق واموال، وكتبوا إلى الصالح نجم الدين أيوب (647هـ/1249م) فأمر بعمارتها"[2]

أمّا الزلازل، فكان منها زلزال سنة(131هـ/748م)، الذي حدث في الشام، فتشققت منه سقوف الجامع الأموي على طوله[3]، وزلزال سنة (233هـ/847م)، الذي هدم كثيراً من بيوت دمشق، ومات فيه كثير من أناسها، وقد أصاب الضرر الجامع الأموي، فسقطت بعض شرفاته، وتصدّعت طاقات قبة النسر مما يلي قبة النسر، وهدمت ربع منارته[4].

وزلزلت الشام زلزالاً عظيماً سنة(552هـ/1157م)، أثر في الجامع الأموي، فأسقط الكثير من فسيفسائه وفصوصه المتبقية[5]. وهدمت منارة الجامع الشرقية وست عشرة من شرفاته، وتشققت قبة النسر في زلزال سنة (579هـ/1183م)[6]. وحدث زلزال مَهُول آخر في الشام سنة (598هـ/1202م)، هدم رؤوس مآذن جوامع دمشق ومنها الجامع الأموي، وقتل "مغربياً بالكلاسة ومملوكاً"[7].

- **دور الجامع الأموي في جوانب الحياة المختلفة**

كان للجامع الأموي دور كبير في جوانب الحياة المختلفة عبر العصور الإسلامية منذ عهد الوليد بن عبد الملك، فقد أدى دوراً في الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية

---

[1] النعيمي، الدارس، ج1، 340-341، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص44.

[2] سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان، ج22، ص407، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص44، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص146.

[3] الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص45.

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج11، ص189.

[5] أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، ص332.

[6] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج42، ص38، 42، عوض، محمد، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ص113-114.

[7] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج42، ص46.

والعلمية، وشغل الحديث عنه جزءاً لا بأس به من المصادر التاريخية، وفي الآتي استعراض لبعض هذا الدور قبل العصر المملوكي الأول:

أوّلا: دوره السياسي

كان للجامع الأموي دور مهم في الحياة السياسية على مرّ العصور الإسلامية التي تعاورت على دمشق، فكان يزيد ويقلّ هذا الدور حسب الدولة الحاكمة ومركز حكمها واهتمامها. ففي العهد الأموي ابتدأت أهميته منذ اللحظة الأولى من بنائه، إذ كان الشغل الشاغل للوليد بن عبد الملك بن مروان الذي أراد، كما مرّ آنفاً، أن يجعله تحفة معمارية، ومفخرة لأهل دمشق، وأنفق عليه من الأموال ما أنفق حتى يضحي على الهيئة التي بني عليها. أعجبت رجال الدول القاصين والدانين من رجال الحكم والسياسة على مرّ العصور، صحيح أن الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز(99-101هـ/717م-720م)، لم يرق له هذه الأموال والنفقات الباهظة التي صرفت على الجامع، وأراد أن يزيل جواهره وزخارفه، ليردها إلى بيت المال إلا أنه تراجع عن ذلك، وكان أحد أسباب تراجعه أن وفدا من الروم زار دمشق في عهده، فحين رأوه، نال إعجاب رئيس الوفد، حتى غشي عليه، فعبر بعد أن أفاق عن إعجابه قائلاً: "كم للإسلام؟ قالوا: مئة سنة؟ قال: كيف تصغرون أمرهم؟ ما بنى هذا البنيان إلا ملك عظيم"، فأخبروا عمر بذلك، فقال: أمّا إذا غايظ العدو فدعه[1].

وكان الجامع مصلى رجال الحكم والسياسة من الخلفاء وغيرهم في العصر الأموي، وعلى منبره يلقون خطبهم الدينية المختلفة في الجمع والأعياد، وغيرها من المناسبات الدينية، وعلى هذه المنابر تُلقى خطب البيعة والتأييد والولاء وتجديد العهود والمواثيق لهم.

وكان الجامع رمزاً مهماً للسيطرة السياسية في دمشق، وبخاصة في فترات الصراع على الحكم في الدولة الأموية، فعندما دخل أنصار يزيد بن الوليد بن عبد الملك(126هـ/744م) على

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص275-276، الحموي، معجم البلدان، ج2، ص532، العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص248-250،، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص277.

دمشق، كانت وجهتهم الرئيسة السيطرة على الجامع الأموي سنة (126هـ/744م)، ثم قصر الخضراء وأموال الدواوين[1].

وتراجع دور الجامع الأموي السياسي في العصر العباسي، ذلك أن مقر الخلافة العباسية كان بغداد، فكان لهذه المدينة الدور الرئيس في هذا العهد، ولا تعدم الباحثة بعض الإشارات التي تشي ببعض الاهتمام السياسي في الجامع الأموي، ومنها إعجاب الخليفة المأمون به وإطراؤه، وأنه لا مثيل له فيما تقدّم من عمارة[2]. واتخذه المأمون وسيلة لتشويه صورة أخيه الأمين(198-218هـ/813-833م)، الذي طلب إلى صاحب شرطته في دمشق أن يسرق القلّة أو البلورة غالية الثمن، الموجودة في الجامع، فسرقها، وأرسلها إليه، وحين تولّى المأمون الخلافة أعادها إلى الجامع، ليشنّع بها على أخيه[3]. وكانت بعض بيوت العزاء للخلفاء العباسيين تقام في الجامع الأموي، ومنها عزاء الخليفة العباسي المقتفي[4] المتوفى سنة (555هـ/1160م)، وقد حضره كبار رجال الدولة في دمشق زمن نور الدين زنكي، ورثي الخليفة ببعض الأشعار، ووقف الوعاظ يعظون في المسجد، حتى خرج الأمر على حدود العزاء، فخلع بعضهم ثيابه من شدة الحزن والوله[5].

وكان للجامع الأموي دور أكثر أهمية في العصر الفاطمي، إبان سيطرة الفاطميين على دمشق، فعقب دخولهم إليها سنة (360هـ/971م)، كان منبر الجامع مكان إعلان الولاء والدعاء للخليفة الفاطمي المعز لدين الله(341-365هـ/952م-975م) وإعلان ضم المدينة لحكمهم[6]. وفي عهدهم كان يجلس حاكم المدينة الجديد في المسجد ليستقبل المهنئين والموالين إياه، وهذا ما

---

[1] العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص302.

[2] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2،ص247، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص250، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج5، ص267.

[3] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص278-279، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص 250.

[4] أبو المظفر يوسف بن محمد أبو المستنجد، ولد سنة 518هـ/1124م، وظلّ في خلافته حتى وفاته. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص9-11.

[5] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص31.

[6] محاسنة، محمد، تاريخ مدينة دمشق، ص73.

فعله وحيد أبو غريب سنة (390هـ/1000م)، حين عيّن والياً على دمشق، فاستقبل فيه المهنئين من الشيوخ والأشراف[1].

وكان منبر الجامع الأموي مكاناً لقراءة الكتب الخاصة بتولي مناصب الدولة في دمشق، ومنها تعيين الخطباء القضاة وغيرهم، وهؤلاء، أي القضاة، كانت أروقة باب البريد في الجامع المقر الرئيس لجلوسهم مرتين أو أربع مرات في الأسبوع للبتّ في قضايا الناس، وسماع شكواهم، وكان لباسهم الزي الأبيض الخاص بهم، ويضعون الطيلسان[2] على منكبهم[3]. يروى أنه في سنة (396هـ/1006م)، يوم الجمعة فيها، قرئ على منبر الجامع الأموي كتاب تعيين القاضي الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الدبس، وفرش له يوم السبت للحكم بين الناس[4]. ويتضح من بعض المصادر التاريخية أن بعض الخلفاء الفاطميين كان يعترض على خطباء الجامع أو أئمته إذا ما مارس شعيرة دينية على المذهب السني، يذكر أن خطيب الجامع في أيامهم واسمه الشريف بن أبي الجن[5]، كان سنيّاً، صلّى في أحد الأيام " على جنازة، وكبّر أربعاً، فكتب صاحب مصر إلى أبيه يعاتبه، فقال له: لا تصل بعدها على جنازة"[6]، وسبب العتاب أنه خالف الإسماعيلية في صلاة الجنازة التي تقتضي وجود 4 تكبيرات تكبيرات فيها، ولا ركوع ولا سجود ولا تشهد ولا تسليم.

وحظي الجامع بمكانته السياسية إبان سيطرة السلاجقة على دمشق، يذكر أنّ القائد السلجوقي أتسز(ت471هـ/1078م)، لمّا استولى على المدينة سنة (468هـ/1075م)، خطب للخليفة العباسي وله على منبره[7]، ولمّا دخل الأتابك السلجوقي طُغتكين، ومعه القائد مودود التونتكين صاحب الموصل دمشق سنة (506هـ/ 1112م)، بعد انتصارهم على الصليبيين،"

---

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص422-423.

(2) هو نوع من الثياب، يوضع فوق الكتف أو الرأس. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص44.

(3) محاسنة، محمد، تاريخ مدينة دمشق، ص218.

(4) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج54، ص19.

(5) علي بن إبراهيم بن العباس، أبو القاسم العلوي الحسيني، كان خطيب الجامع الأموي إبان سيطرة الفاطميين على دمشق، توفي سنة (508هـ/1114م). سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص81.

(6) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص81.

(7) سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف، ص103.

واصلا الصلاة في جامع دمشق، والتبرك بالمصحف"[1] أي مصحف عثمان، رضي الله عنه. ويذكر أن القائد مودود قتل في الجامع سنة (507هـ/1113م)، حين وثب عليه أحد الحشاشين أو الباطنية فطعنه[2].

وكان يحدث في هذا العصر أي السلجوقي مغالاة في المذاهب، ما كان يتسبّب في ثورة العامة، وهو ما حدث حين نقل قاضي دمشق محمد بن موسى بن عبد الله اللامشي التركي[3]، محراب الشافعية في الجامع الأموي إلى الحنفية، ونجح في ذلك، ورتّب الإمامة مثنى مثنى، وظل الأمر على ذلك حتى أعاد الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي المحراب إلى الشافعية سنة (570هـ/1174م)[4]، وهذا يدلّ على أن سيادة الجامع كانت حسب الدولة الحاكمة، ومذهبها الديني.

وارتفعت مكانة الجامع الأموي في عهد نور الدين زنكي، الذي اهتم بشؤون المسلمين، وفي الجهاد ضد عدوّهم، وبالحركة العلمية في زمانه، فجعل من الجامع مكاناً مهماً لذلك كلّه[5]، فكان كما عبّر الوهراني عنه في رقعته عن مساجد دمشق أميرها "وعليه مدار أمورها"[6]، وقد كتب الوهراني هذه الرقعة حين أصاب مساجد دمشق بعض الإهمال، زمن قاضي القضاة أبي سعد بن عصرون، فجاءت هذه الرقعة لتصور هذه المساجد وقد رفعت شكواها إلى سيدها الجامع الأموي، تطريه، وتشكو له ما نزل فيها من إهمال، فأشار عليهم أن يكتبوا شكواهم إلى ابن أبي عصرون[7]، فكتبوها إلا أن الأخير قرأها "وكتب على ظهرها هجاء لمسجد دمشق،

---

[1] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص59.

[2] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص64، 364.

[3] كان عارفا بفنون القضاء، تولى قضاء القدس ثم دمشق، توفي سنة(506هـ/1112م). سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص61.

[4] المصدر نفسه، ج20، ص61.

[5] المصدر نفسه، ج21، ص210.

[6] الوهراني، الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق، ص15.

[7] شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله ابن عصرون بن السري التميمي الحديثي. ولد في الموصل سنة (492هـ/1099م)، تلمذ على مشايخ الموصل، فأخذ منهم علوماً شتى، ومنها القراءات والفقه والحديث، وارتحل إلى بغداد، وأخذ عن علمائها، فدرس النحو على شيوخها. درّس في غير مدرسة الفقه الشافعي، وأصبحت له مكانة في الدولتين النورية والصلاحية.توفي سنة (585هـ/1189م). سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص373، جودة، صادق، المدارس العصرونية في بلاد الشام، 17 وما بعدها.

فغضب المسجد، ورفع شكواهم مع شكواه إلى الملك الزاهد نور الدين، فلمّا وقف نور الدين على ما كتبوا اهتمّ فأصلح أحوال المساجد، وعزل ابن عصرون"[1]. هذه الرقعة وإن دلّت على موقف سلبي من المساجد في عهد نور الدين، سببه موظفو الدولة والمشرفون عليها إلى أنّها تدل من جهة أخرى على عدم سكوت نور الدين عن الأمر، فأقال المسؤولين عن ذلك، ووجه اهتمامه بها منذ تلك اللحظة، ومنها الجامع الأموي، فأوقف عليه أوقافاً كثيرة خاصة به، للإنفاق على شؤونه المختلفة[2]، وولّى قاضي القضاة كمال الدين بن الشهرزوري نظره، فأصلح أموره[3].

واهتم نور الدين بعمارة الجامع الأموي، وجدّد ما نزل به من دمار أو خراب عقب حريق أو غيره، وهو ما فعله بمأذنة العروس والكلاسة عقب حريق (555هـ/1160م)[4]، وجدّد كذلك "الحائط الشمالي فإنّه كان قد تداعى، وكاد أن يسقط"[5].

ويبدو أنّ صراعات مذهبية كانت تحدث على إمامة الجامع في العهد النوري بين الأئمة والخطباء، ما كان يقتضي استبعاد إمامة بعض المذاهب، فيذكر أنه سنة (535هـ/1141م) حدثت تعصبات مذهبية "فاستقر الأمر ألا يبقى في الجامع من يصلي إماما غير إمام الشافعية والحنفية، وبطلت إمامة المالكية والحنابلة"[6].

وحظي الجامع الأموي بمكانة سياسية عظيمة ومرموقة في الدولة الأيوبية، فقد وجّه حكّامها جلّ عنايتهم له، وتعدّدت مظاهرها، فمنها أنّ أرباب الدولة عنوا بعمارته وتجديدها عقب كوارث نزلت به أو لحاجة اقتضتها الظروف لذلك، والمتتبع سيرة ملوك بني أيوب يجد أن أغلبهم كانت له لمسة أضافها إلى هذا الجامع ابتداء من عهد مؤسسها الأول صلاح الدين الأيوبي (589هـ/1193م)، الذي أمر بتجديد الكلاسة سنة (575هـ/1179م)، ورمّمت في عهده سنة

---

[1] الوهراني، الوهراني ورقعته على مساجد دمشق، ص10، 20-26.

[2] ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص281، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص312، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، ص72.

[3] الوهراني، الوهراني ورقعته على مساجد دمشق، ص11.

[4] ابن شداد الأعلاق الخطيرة، ج2، ص76، النعيمي، الدارس، ج1، ص341، بدران، منادمة الأطلال، ص144.

[5] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص76.

[6] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص328.

(585هـ/1189م) " دائرة قبة النسر، والرفرف المستدير عليها، والفصّ المذهّب والطاقات، ووجه النسر"، وتمّمت الكلاسة التي ابتدئ بترميمها وإصلاحها في عهد نور الدين زنكي (569هـ/1173م) ولم تكتمل، وجلب إليها الماء، وجدّد أيضا فوارة الجامع عند باب جيرون.[1]، واعتنى بعده الملك العادل سيف الدين أبو بكر الأيوبي(615هـ/1218م) بعمارة الجامع، فأمر بتبليط صحن الجامع الخارجي سنة (606هـ/1209م)، والأروقة الجوانية للجامع سنة (607هـ/1210م)[2]. وابتدئ في عهده أيضا تبليط أرض الجامع الأموي كلها من الداخل، واستمر ذلك مدة أربع سنوات من سنة (611هـ-614ه/ 1213م - 1217م)[3]، وجدّد أبواب الجامع من جهة باب البريد بالنحاس الأصفر سنة (607هـ/1210م)[4]، وأمر العادل سنة (610هـ/1213م) أن توضع سلاسل على أبواب الجامع في أيام الجمع لمنع الخيول من الوصول إلى الجامع، حفاظاً عليه، وعلى المسلمين من أذاها[5]،

واهتم الملك المعظم عيسى[6] بعمارة الجامع الأموي، وبتجديد التالف من أركانه، فجدد ما أزيل من رخام في جدرانه، وأصلح سنة (624هـ/1227م)، مقصورته التي عرفت باسم التاجية أو ابن سنان قديما[7]. وفي عهد الملك الأشرف موسى بن الملك العادل[8]، "أمر بترميم الحنايا التي بقبلتيه وكلّسه، وجدّد بعض المقاصير"[9]. وأمر الملك الصالح نجم الدين أيوب(637-647هـ/1240-1249م) بعمارة المئذنة الشرقية عقب حريق سنة

---

[1] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، 76-77.

[2] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص77، النعيمي، الدارس، ج1، ص370.

[3] النعيمي، الدارس، ج2، ص302، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص416.

[4] النعيمي، الدارس، ج2، ص301، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص292.

[5] النعيمي، الدارس، ج2، ص301.

[6] شرف الدين بن الملك العادل سيف الدين بن أبي بكر بن أيوب. حكم ما بين حمص والعريش وفلسطين والقدس. وصف بعلو همته وشجاعته وحبّه الناس والأدب، وكان حنفي المذهب. توفي سنة (624هـ/1227م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص494-495، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص121.

[7] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص77.

[8] أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين الدين أبي بكر بن أيوب الملقب بالأشرف مظفر الدين. ملَكَ الرها ونصيبين وحرّان، وأقام في دمشق. عرف بعدله وجهاده. توفي سنة (635هـ/1235م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص330-335.

[9] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص77.

(645هـ/1247م)، وجدّدت في عهده "بركة الكلاسة، وبلّط دهليزها، وأرض البركة سنة (647هـ/1249م)، والسقايات بباب الجامع"[1]. واعتنى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز(ت659هـ/1261م)[2] بالجامع الأموي، فجرّ إليه الماء من القنوات، مضافاً لما كان يأتيه يأتيه من بانياس[3].

وكانوا في هذا العهد يقيمون بيوت العزاء للملوك ولنظرائهم من أرباب الدولة في الجامع الأموي، فحين توفي الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة (589هـ/1193م)، أدخلت جنازته إلى قبة النسر، وصلّي عليه في الجامع، وعمل له عزاء ثلاثة أيام[4]، ومثل ذلك جرى للملك المعظم عيسى بعد وفاته سنة (624هـ/1227م)[5]. وعقد عزاء لآخر ملوك الأيوبيين في الشام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز بعد أن قتله المغول سنة (658هـ/1260م)[6]، وشارك بعض الملوك الأيوبيون الناس في صلاة الجنازة على بعض العلماء، ومنهم صلاح الدين الأيوبي(589هـ/1193م) الذي صلّى على العالم والمؤرخ الحافظ ابن عساكر، المتوفى سنة (571هـ/1175م)[7]، وصلّى صلاح الدين وبعض أولاده ورجال الدولة على قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري حين توفي سنة (572هـ/1176م)، وشاركوا بجنازته إلى الجامع[8].

وبلغت عناية ملوك بني أيوب بالجامع الأموي أن بنوا فيه مدارس العلم المختلفة، ومنهم الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي، الذي بنى مدرسة إلى جانب الكلاسة، ونقل والده

---

(1) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص79.

(2) أبو المظفر، صلاح الدين يوسف بن العزيز بن نجم الدني أيوب. كان آخر ملوك الأيوبيين في الشام، خضعت لحكمه الشام ومصر واليمن والجزيرة الفراتية. كان كريما سمحا تقيّاً. حكم مدة 24 سنة، قتله المغول لما احتلوا الشام سنة (658ه/1260م). وقع في أسرهم فقتلوه. ابن خلكان،وفيات الأعيان، ج7، ص139-145، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج41، ص351-353.

(3) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص79.

(4) أبو شامة، الروضتين، ج4، ص368-369.

(5) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص290.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص311، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص403.

(7) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص239-241.

(8) المصدر نفسه، ج21، ص246.

إلى قبّة بجوارها[1]. ومثله فعل الملك الأشرف موسى بن الملك العادل، الذي بنى المدرسة الأشرفية، ورتّب للمدرستين إمامين ومؤذنين[2]

وبنى الأيوبيون في الجامع أو إلى جواره الترب الخاصة ببعض الملوك، وكانت هذه الترب مركزاً مهما للحركة العلمية يومذاك، ولها ترتيب خاص بها، فهذا الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل "عمل له تربة شمالي الكلاسة، لها شبابيك إلى الطريق وإلى الكلاسة، ودُفن بها، ورتّب فيها القرّاء"[3]. واشترت بنات الكامل الأيوبي(614-635هـ/1219-1238م)[4] الثلاث أماكن قريبة من باب الناطفانيين، وعمّرنها " تربة مفتوحة الشبابيك إلى الجامع، وبها قرّاء"[5]، ونقلن جثة والدهن من قلعة الجبل إليها سنة (637هـ/1239م)[6]، وعرفت بالتربية الكاملية، "ولها مسجد له إمام ومؤذن"[7].

وبلغ اهتمام رجال الدولة والملوك بالجامع الأموي أن كان كثير منهم يحضرون المجالس العلمية والأدبية فيه، ومنهم الملك المعظم عيسى، الذي كان يحضر دروس العالم سبط بن الجوزي شمس الدين قزأوغلي (654هـ/1256م)، وكان يستمع فيه إلى إنشاد الشعر[8]. وكان يستمع فيها إلى الوعظ والإطراء، يذكر سبط ابن الجوزي أنه قال للملك المعظم وهو يستمع بعض مجالسه في الجامع: "وكنت إمام الموقفين عظيمة مساعيك، وعنيت موقف الجهاد والحج، بكى، وقال: من أنا حتى يكون لي مساع؟ وزاد بكاؤه، فخفت عليه لا يفتضح أمره بين العامة،

---

[1] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص77، العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص253، الحصني، منتخبات التواريخ، ص482، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص86، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص145، سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف، ص44.

[2] العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص253.

[3] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص77.

[4] أبو المعالي محمد بن أبي بكر ناصر الدين، صاحب مصر، أحبّه الناس، له انتصارات عديدة، توفي سنة (635هـ/1238م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص79-81.

[5] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص78.

[6] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص367.

[7] العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص253، بدران، منادمة الأطلال، ص348.

[8] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص290-291.

فقلت: لا ينسى الله لك مواقفك في رضائه، وسهرك الليالي في جهاد أعدائك"[1]. وممّن كان يحضر مجالس سبط ابن الجوزي الشجاع علي بن أيداش بن السلار أمير الحاج (ت634هـ/1263م)، في عهد الملك المعظم عيسى، فيتأثر بما يسمعه من مجالس وعظ، "فيبكي من أول المجلس إلى آخره"[2].

وكان للجامع الأموي دور في التحريض على جهاد عدو الإسلام والمسلمين في عهد الأيوبيين[3]، فيذكر المدرس في الجامع الأموي والمؤرخ سبط ابن الجوزي شمس الدين قزأوغلي أنه في سنة (616هـ/1219م)، هاجم الفرنج دمياط في مصر، فأرسل إليه الملك المعظم عيسى رسالة يطلب إليه أن يجلس في الجامع الأموي يحث الناس على الجهاد، فجلس ابن الجوزي فيه، وقرأ عليهم رسالة المعظم عيسى، وحرّضهم على الخروج للجهاد "فأجابوا بالسمع والطاعة، وقالوا: نمتثل أمره بحسب الاستطاعة"[4]. وفي موضع آخر يذكر سبط ابن الجوزي أنه بعد أن سلّم الملك الكامل الأيوبي بيت المقدس للفرنج سنة (626هـ/1229م)، طلب إليه الملك الناصر داود[5] أن يجلس في الجامع الأموي يصف للناس ما جرى، فحضر الملك بنفسه ووقف على باب مشهد علي يستمع لما يقول العالم ابن الجوزي "وكان يوماً مشهوداً لم يتخلّف من أهل دمشق أحد، ومن جملة الكلام: انقطعت عن بيت المقدس وفود الزائرين، يا وحشة المجاورين، كم كان لهم في تلك الأماكن من ركعة، كم جرت لهم على تلك المساكن من دمعة، تالله لو صارت عيونهم عيوناً لما وفت، ولو تقطّعت قلوبهم أسفاً لما شفت، أحسن الله عزاء المسلمين، يا خجلة ملوك المسلمين، لمثل هذه الحادثة تُسْكَب العبرات، لمثلها تنقطع القلوب من الزفرات، لمثلها تعظم الحسرات"[6]، ويبدو من النص أن الجامع كان له دور في إثارة

---

[1] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص292.

[2] المصدر نفسه، ص343.

[3] العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص302.

[4] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص239.

[5] صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب. عرف بصلاحه، واهتمامه بالعلم والأدب، فقد كان ناظماً وناثراً، وقارئاً العلوم العقلية. توفي في طاعون الشام سنة (656ه/1258م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص496، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص303-304.

[6] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص296-297.

الجانب العاطفي والشعور الديني لدى المسلمين، وأن بعض رجال السياسة اتخذوه لبيان موقفهم من نظرائهم، وتحريض الناس عليهم وعلى العدو معا، وهذا ما يتضح في قول سبط ابن الجوزي" فيا خجلة ملوك المسلمين". وقد شاركه الشعراء في ذلك اليوم، فنظموا القصائد الراثية القدس الحاثة على الجهاد[1]. وكان الجامع مكان دعاء للملوك المجاهدين في سبيل الله، واستمر الأمر في العهد الأيوبي إذ كان بعض القادة والملوك يطلبون إلى العالم والخطيب ذلك، فيفعلون[2]، وكان الملوك يطلبون الدعاء لغيرهم من الحكام على منبر الجامع الأموي، كما فعل بعض حكام الأيوبيين إذ طلب الخطبة والدعاء لصاحب الروم[3].

ثانياً: دوره الاجتماعي والديني

كان للجامع الأموي دور كبير ومتميّز على الصعيد الاجتماعي في العصور المختلفة منذ تأسيسه، وتجسّد ذلك في مظاهر مختلفة: دينية واقتصادية وغيرها، ويتضح هذا الدور بجلاء في مصادر التاريخ، التي ركزت على هذا الدور، وبخاصة الديني، وأول ما ينبغي الإشارة إليه في هذا السياق، تلك الأقوال التي أشادت بفضل الجامع، وفضل العبادة فيه، إذ تعدّت الأقوال، وكانت جميعها إطراء وثناء وتشجيعاً على ارتياده، والاهتمام به، فقد جعلوا فضله رابعاً للمساجد التي يشدّ الرحال إليها[4]، وأن الصلاة فيه تعادل ثلاثين ألف صلاة[5]، وفسروا بعض الآيات القرآنية القرآنية على أنها تشير إلى الجامع الأموي، فقالوا في قوله تعالى: "والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين"[6] إن التين تعني مسجد دمشق[7]، ونسبوا للرسول، صلى الله عليه وسلّم، قوله

---

[1] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص297.

[2] المصدر نفسه ج22، ص305.

[3] المصدر نفسه، ج22، ص367.

[4] ابن المبرد، ثمار المقاصد، ص183.

[5] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص244، ابن جبير، الرحلة، ص 212، ابن بطوطة، الرحلة، ص84، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص400، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1020. بدران، منادمة الأطلال، ص360،

[6] سورة التين، آية 1-3.

[7] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص237، النعيمي، الدارس، ج2، ص285، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص400، بدران، منادمة الأطلال، ص360، الحصني، منتخبات التواريخ، ج1، ص355.

قوله مشيراً إلى مسجد دمشق: " يُعبد الله فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة"[1]، وذكروا أن الرسول، محمدا صلى الله عليه وسلّم، ليلة الإسراء والمعراج صلّى مكان جامع دمشق، في إشارة إلى قدسيته[2]. وشاع في عهد الوليد أن نبي الله الخضر كان يأتي كل يوم يصلي في الجامع الأموي، ولذلك سميت زاوية فيه بهذا الاسم[3]. ولا يخفى على مدقق في هذه الأقوال وغيرها[4] أن بعضها كان من خيال الناس، واختراع قدسية لهذا الجامع، ولكنها تدل من وجه آخر، على الهالة الدينية التي أحيطت بجامع دمشق عبر العصور.

وقد كان الجامع الأموي مكاناً للمسلمين لإقامة شعائرهم الدينية المختلفة، يصلي فيه خاصهم وعامهم، الصلوات الخمس، والأعياد، والنوافل من صلاة تراويح وغيرها، وتقام فيه الشعائر الدينية المختلفة والاحتفالات، كالاحتفال بالمولد النبوي، وليالي النصف من شعبان، وغيرها، ويبدو أن الإقبال عليه والاهتمام الاجتماعي به كان يفوق غيره، ما جعله سيد المساجد، على رأي الوهراني، تقدّم له شكواها حين أهملها بعض موظفي الدولة في عهد نور الدين زنكي، ويتضح ذلك في قوله على لسان مساجد دمشق في رقعته على مساجد دمشق "المماليك مساجدُ الكورة يقبّلون الأرض بين يدي الملك المعظّم، البديع الرفيع، كهف الدين، جمال الإسلام والمسلمين، بيت الأتقياء والصالحين، مدفن الأنبياء والمرسلين، معبد الملّتين، صاحب الدولتين، بُنية أمير المؤمنين، أعلا الله مناره، وأيّد أنصاره، وعمّر بالتوحيد أقطاره"[5]. وقد أشار أبو شامة شامة المقدسي إلى هذه المكانة الدينية لجوامع دمشق ومنها الأموي إذ قال:" تطيب هذه الأماكن في الأوقات الشريفة، ومواسم الاجتماعات، وليالي شهر رمضان والأعياد، وأيام الجمع وقت عقد الجمعة في الجوامع، وليالي الجمعة والخميس والاثنين"[6].

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص238، 239، 244، ابن جبير، الرحلة، ص212، ابن بطوطة، الرحلة، ص84، الحميري، الروض المعطار، ص284.

[2] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، 238، النعيمي، الدارس، ج2،ص285، الحصني، منتخبات التواريخ، ج1، ص1020.

[3] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص244، النعيمي، الدارس، ج2، 285.

[4] انظر ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص236، النعيمي، الدارس، ج2، ص285، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1، ص401.

[5] الوهراني، الوهراني ورقعته على مساجد دمشق، ص15.

[6] أبو شامة، الروضتين، ج1، ص73.

ومن هنا لقي الجامع عناية كبيرة إذ عيّن له موظفون قائمون على شؤونه الدينية من أئمة وخطباء ووعاظ ومؤذنين، وكان هؤلاء لهم شروط خاصة، من التقوى وحسن الصوت، والعلم، والفصاحة، ويتضح من تاريخ معاهد العلم في الجامع الأموي أن الإمامة والخطابة ارتبطت بالمذاهب، فكان هناك منهم للمذاهب المختلفة، وتقوى شوكة بعضهم وتقلّ حسب الدولة الحاكمة، ومذهبها الديني[1]. يذكر أن الوليد بن عبد الملك عيّن له إماماً في زمانه يزيد بن أبي مريم بن أبي العطاء، مولى سهل بن الحنظلة الأنصاري[2]. واستمر هذا الأمر في العصور اللاحقة، وقد ذكر المؤرخون عدداً من أئمته، فمنهم على سبيل المثال أحمد بن خاقان النجاد العابد (ت360هـ/971م)، الذي كان إضافة إلى الإمامة، يُسمع الحديث، ويقرئ القرآن، ويفد الناس إليه من أقطار مختلفة[3]، ما يدل على مكانة من يتولون الإمامة فيه. ومنهم محمد بن أحمد ابن هارون بن موسى أبو نصر الجندي الغساني (ت417هـ/1026م)، الذي أضيفت إليه مهنة القضاء مع الإمامة، وعرف بثقته وأمانته[4]، ومنهم إبراهيم بن محمد البجلي (ت460هـ/1068م)، وكان يكتب المصاحف ويبيعها[5]. ومن الأئمة في العصر الزنكي يوسف بن مكي أبو الحجاج الحارثي الشافعي (ت556هـ/1161م)، الذي كان عالماً بالحديث، ورعاً تقيّاً ثقة، لا يأخذ أجراً على إمامته[6]، ومنهم عبد الله بن الحسين أبو محمد الأنصاري المعروف بابن رواحة (ت561هـ/1166م)، الذي كان يؤم الناس في صلاة التراويح، ويقرأ القرآن بالروايات، وله خلوات واعتكاف بالجامع[7].

وهكذا يتضح أن هؤلاء الأئمة كانوا على درجة عالية من الصفات الخُلُقية الحميدة والزهد والتقوى، وأن بعضهم كان يتسلّم مهمات أخرى إضافة إلى مهمة الإمامة، واتسم بعضهم بتبحره في العلوم، وتعددها.

---

[1] سيأتي الحديث عن ذلك في دور الجامع العلمي.

[2] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج65، ص380.

[3] الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص459.

[4] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج51، ص160-161.

[5] الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص461.

[6] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص25.

[7] المصدر نفسه، ج21، ص74-75.

وما قيل في الأئمة، تحلّى به خطباء الجامع، ويضاف إليه الفصاحة والبلاغة، ومنهم محمد بن الحسين بن عبد الله النصيبي العلوي (ت408هـ/1017م)، وكان هذا قاضي دمشق في وقته، ومن "أكابر الشام ورئيس أعيانها، عرف بنزاهته، وبلاغته، وأدبه"[1]، ومنهم في العصر الزنكي أبو الحسين بن أبي القاسم بن أبي حديد الدمشقي (ت546هـ/1151م)، الذي كان محدثاً، وثقة صالحا "خطيباً بليغا صيّناً عفيفاً"[2]. وذكر منهم في العصر الأيوبي شمس الدين الشيرازي (ت635هـ/1237م)، كان" إماماً، فقيهاً، عالماً، فاضلاً، كيّساً لطيفاً، حسن الأخلاق، كريم الطباع، حميد الآثار، حفظة للحكايات الحسان وأيام العرب والأخبار والأشعار"[3]. ومن العلماء المشهورين الذي تولوا خطابة الجامع الأموي في العهد الأيوبي العز عبد العزيز بن عبد السلام سنة (637هـ/1239م)[4]. وتجسّدت بعض هذه الصفات في مؤذنين عُيّنوا في الجامع، ومنهم صفوان بن صالح الحنفي(ت238هـ/852م)، وقد عرف بفقهه، ورحل إليه الطلبة والمتعلمون[5].

وذكر بعض المؤرخين عادات وتقاليد درج عليها أهل دمشق في الاحتفال بالمناسبات الدينية في الجامع الأموي، ومنها ليلة النصف من شعبان، يذكر ابن جبير أن الناس في العصر الأيوبي كانوا فيها يزيدون من إشعال النور في الجامع، فيضيئون العمودين المتباعدين قليلاً في صحن الجامع، ثم يبدؤون بالاحتفال[6]، وأضاف بعض المؤرخين أنهم يوقدون اثني عشرة ألف قنديل بخمسين قنطاراً دمشقياً زيت زيتون[7]، الذي كان يجلب من نابلس لجودته[8].

وتحدث ابن جبير عن طقوس الناس في الجامع الأموي وغيره من جوامع دمشق يوم عرفة في العصر الأيوبي، إذ كانوا يخرجون بعد صلاة العصر، يتقدمهم الأئمة، ويكونون كاشفي

---

[1] الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص470.

[2] سبط ابن الجوزي، ج20، ص414-415.

[3] المصدر نفسه، ج22، ص350.

[4] سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص366، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص417.

[5] الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص451.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص219.

[7] الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1034، أبيش، أحمد، دمشق في عصر سلاطين المماليك، ص166.

[8] الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1034.

رؤوسهم، يتضرعون ويدعون الله أن يمن عليهم بالحج، ويرجون بركاته، جل وعلا، لحظة وقوف الناس بعرفات، ويستمرون على حالتهم تلك حتى مغيب الشمس[1].

وكان الجامع الأموي أيضاً مكانا يجتمع فيه الناس للدعاء إلى الله إذا ما ألمت بهم كوارث الطبيعة أو غزوات العدو، ففي سنة (543هـ/1149م)، دخل الصليبيون دمشق، فحدث قتال شديد بينهم وبين المسلمين،، وضايقوا البلد حتى نزلوا على أبوابها،واجتمع الناس في الجامع رجالاً ونساء وصبياناً، ونشروا مصحف عثمان، رضي الله عنه، وحثّوا الرماد على رؤوسهم وتضرّعوا إلى الله أن يكشف عنهم الغمة[2].

وعلى ما يبدو أن خلافات مذهبية كانت تحدث بين أرباب المذاهب ووعاظها في الجامع الأموي، ما كان يدفع الدولة إلى اتخاذ قرارها بإبطال الوعظ ووقفه برهة من الزمن، وهذا ما حدث في الدولة الزنكية سنة (543هـ/1149م)[3].

وكان الجامع مكاناً يصلّى فيه على الموتى صلاة الجنازة أو الغائب، وكان للصلاة أحياناً طقوس خاصة إذا ما كان لهذا الميت شأن كبير، ولعل أبرز من تحدث عن هذا الموضوع هو ابن جبير في رحلته إذ فصل في وصف صلاة الجنازة، إذ كان الناس يسيرون في الجنازة، والقراء يقرؤون القرآن بأصوات حزينة مبكية، وكانت الصلاة تؤدى قبالة المقصورة، ويبدو أنها كانت تختلف من إنسان إلى آخر حسب مكانته وعمله، فإذا كان الميت من أئمة الجامع أو من أحد خدامه، تستمر القراءة إلى مكان الصلاة عليه، وتنقطع القراءة على باب الجامع إذا كان الميت من غيرهم. وكان الناس يصلّون، ويجلسون وأمامهم ربعات[4] القرآن للقراءة في البلاط الغربي من صحن الجامع قرب باب البريد. وكان المنادي على الجنائز يقف وينادي بصوت مرتفع لكل من يصل للعزاء من الأعيان والأكابر بالألقاب، مثل صدر الدين وشمس الدين

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص237.

[2] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص382.

[3] أبو شامة، الروضتين، ج1، ص203.

[4] الرّبعة هي صندوق المصحف. مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مادة "ربع"، البرغوثي، عبد اللطيف، القاموس العربي الشعبي الفلسطيني، ص150.

وغيرها، ويتبعونها بألفاظ مثل سيد العلماء، وحجة الإسلام وغيرها، وعقب الانتهاء من القراءة، يعظ الواعظون واحداً تلو الآخر، ومنهم من ينشد الأشعار في وعظه، ثم يعزّي صاحب العزاء، ويدعو للميت، ثم يتفرّق الناس[1]. وقد تناولت المصادر أسماء عدد كبير ممن صلي عليهم في الجامع الأموي وبخاصة من العلماء ورجال الدين والسياسة، ومنهم العالم العماد المقدسي[2]، الذي تحدثت المصادر التاريخية عن جنازته المهيبة في الجامع، إذ ازدحم بالناس، فما وسعهم "وكان يوماً لم يرَ في الإسلام مثله، كان أوّل الناس عند مغارة الدم[3] ورأس الجبل إلى الكهف[4]، وآخرهم بباب الفراديس"، ويضيف سبط ابن الجوزي الذي شهد الجنازة" وتأملت الناس من أعلى قاسيون إلى الكهف إلى قريب الميطور[5] لو رمى الإنسان عليهم إبرة لما ضاعت"[6]. وحين توفي العالم إسماعيل بن عبد الله الأنماطي سنة (618هـ/1221م)، صلّي عليه في جامع دمشق.[7] وصلّي على العالم الفقيه شمس الدين بن سني الدولة المتوفى سنة (636هـ/1238م)[8]، الذي" كانت جنازته عظيمة، وتأسف الناس عليه"[9]. وصلّي على العالم الفقيه المحدث تقي الدين بن الصلاح المتوفى سنة (643هـ/1245م)[10].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص239-240.

[2] إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور أبو إسحاق، ولد في جماعين سنة (543هـ/1245م)، تلقى العلم في بغداد ودمشق، فتفقه وقرأ القرآن توفي سنة (614هـ/1217م). سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص220-221.

[3] تقع في جبل قاسيون، وتسمى مغارة الأربعين لأنّ فوقها مسجداً فيها أربعون محراباً. وهناك أسطورة تدور حول هذا المكان، يقال: قابيل قتل أخاه هابيل في هذا المكان، فبكى الجبل لهول الجريمة، وبقيت دموعه تسيل، وفتح الجبل فاه ليبتلع القاتل، ولكنّه فرّ من المكان، ولهذا سمّيت مغارة الدم لحادثة القتل. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص177، ابن المبرد، ثمار المقاصد، ص163.

[4] يقع في جبل قاسيون غرب مغارة الدم، ويعرف بمغارة آدم، وهو مستطيل الشكل، طوله يقرب من 6 أمتار، وعرضه متران، وكان يحوي مساجد. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص177، 181، ابن كنان المواكب الإسلامية، ق1، ص276.

[5] من قرى دمشق، تقع في سفح جبل قاسيون. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص282.

[6] سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص221.

[7] أحد محدثي العصر الأيوبي، رحل إلى العراق ودرس على شيوخه. سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص25.

[8] يحيى بن هبة الله بن الحسن، كن قاضيا وفقيها، تولى القضاء بيت المقدس ثم دمشق. سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص357، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج44، ص182-186.

[9] سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص357.

[10] المصدر نفسه، ج22، ص393.

وكان يعتكف في الجامع العلماء والمتصوفة وغيرهم من الناس، وبخاصة الغرباء ومن لا مأوى لهم، وكان يكثر تواجدهم في الجانب الشرقي منه، حيث يوجد وقف لهم من طالبي الأجر والثواب[1]، وكان بعض المقيمين والمعتكفين يمضي ليله فيه، ولا يغادره إلا في الصباح[2]، ومنهم العالم موفق الدين المقدسي[3]، وسبط ابن الجوزي الذي كان ربما اعتكف في في الجامع مدة ثلاثة أشهر[4]. وكان لبعض الزهاد والعباد مكان إقامة في الجامع وبخاصة في المنارة الشرقية، ومنهم عبد الرحمن اليمني (ت620هـ/1223م)، الذي "كان زاهداً عابداً ورعا، منقطعا عن الناس"[5]، واعتكف فيها الزاهد العابد فخر الدين بن المالكي الحميري (ت466هـ/1246م)[6]. وتزهد العالم حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م)، في في المنارة الغربية في الجامع، وأتمّ فيها كتابه إحياء علوم الدين[7].

وقد بنيت لهؤلاء المتصوفة زوايا وخوانق[8] في الجامع الأموي، لينقطعوا فيها، ولتكون مكانا لممارسة طقوسهم، ودراسة علوم التصوّف، واشتهر منها الخانقاة السميساطية أو الشميشاطية[9]، الواقعة على يمين الخارج من الباب الشمالي للجامع، زارها الإمام الغزالي بعدما

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص236.

[2] سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج22، ص276.

[3] عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة أبو محمد، ولد بجماعيل سنة (541هـ/1146م)، تفقه وقرأ القرآن في دمشق وبغداد، وألف مؤلفات كثيرة، منها البرهان في علوم القرآن"، وكتاب " المغني"،؟ و"الكافي" وغيرها. توفي سنة (620هـ/1223م). سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص225-268.

[4] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص305.

[5] المصدر نفسه، ج22، ص269.

[6] المصدر نفسه، ج22، ص305

[7] المصدر نفسه، ج20، ص54.

[8] مفردها خانقاة أو خانكاة، وهي كلمة فارسية تعني دار الصوفية الفقراء أو بيت الدراويش، وهي مقرّ عزلتهم وطقوسهم، وتلقيهم العلوم الدينية. الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص961، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص389.

[9] كانت في الأصل داراً لعبد العزيز بن مروان، ثم أضحت داراً لعمر بن عبد العزيز، فتح بابها على دهليز الجامع الأموي تاج الدولة تتش، وأوقفها أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى السلمي السميساطي (ت453هـ/1061م)، وأوقف علومها على الجامع، وعدّها أبو شامة المقدسي رباطاً، وسبب ذلك الخلط بين هذه المصطلحات أي الخوانق والزوايا والربط. ابن جبير، الرحلة، ص219، أبو شامة، الروضتين، ج2، ص265، العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص252، ابن بطوطة، الرحلة، ص86، بدران، منادمة الأطلال، ص267، 277-278، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص962، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص398، محاسنة، محمد، تاريخ مدينة دمشق، ص75.

بعدما تصوّف، ولمّا يعرف بعد للمتصوفة، فمنعوه من دخلوها، ثم تراجعوا عن ذلك بعدما عرفوه[1]، ومن أشهر متصوفتها زمن نور الدين زنكي(569هـ/1174م)، الفلكي أبو المظفر النيسابوري (ت578هـ/1182م)، الذي بنى فيها الإيوان الشمالي والسقاية[2]. ومنها الخانقاة الأندلسية[3]، على يسار الخارج من باب الناطفيين[4]، ولها شباك يطل على الجامع[5].

وذكر بعض المؤرخين سلوكيات سلبية كانت تحدث في الجامع الأموي من الناس، ومنها الغيبة والنميمة، وثلب أعراض الناس، ما جعل بعض العلماء يستنكر عليهم ذلك.[6] وذكر الوهراني أن حوالي الجامع وسوقه لقّب "بسوق الفسوق، وميدان المردان، ورحاب القحاب". ما يشير إلى ازدحام الناس في المرافق التابعة للجامع، وأن بعضهم كان يستغل تجمعات الناس لقضاء شهوة، ونشر الرذيلة وممارستها[7]. وهذا الحديث عن الازدحام في الجامع وحوله وفي أسواقه هو ما تحدث عنه ابن جبير صراحة إذ قال:" لأنه أكثر بلاد الدنيا خلقاً، وحسنه كلّه خارج لا داخل"[8]. وفي السياق ذاته يذكر ابن جبير أن صحن الجامع الأموي كان مكاناً يتنزه فيه الناس وبخاصة العاطلين عن العمل، فكان متنفساً لهم، ومكان متعة للقائهم، إذ يتبادلون أطراف الحديث، وهو ما عبر عنه في قوله: "ومنظر هذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها، وفيه مجتمع أهل البلد، وهو متفرجهم ومتنزههم كل عشية، تراهم فيه ذاهبين وراجعين، من شرق إلى غرب، من باب جيرون إلى باب البريد، فمنهم من يتحدث مع صاحبه، ومنهم من يقرأ، لا يزالون على هذه الحال من ذهاب ورجوع إلى انقضاء صلاة العشاء الأخيرة، ثم ينصرفون، ولبعضهم بالغداة مثل ذلك، وأكثر الاحتفال إنما هو بالعشي، فيخيل لمُبصر ذلك أنها

---

[1] بدران، منادمة الأطلال، ص278.

[2] المرجع نفسه، ص278.

[3] بناها أبو عبد الله محمد بن يوسف الأندلسي سنة(640هـ/1242م). بدران، منادمة الأطلال، ص273، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص394.

[4] الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص962، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص394.

[5] بدران، منادمة الأطلال، 273، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص962.

[6] سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص467.

[7] الوهراني، الوهراني ورقعته على مساجد دمشق، ص23.

[8] ابن جبير، الرحلة، ص229.

ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم لما يرى من احتفال الناس واجتماعهم، لا يزالون على ذلك كل يوم، وأهل البطالة من النساء يسمونهم الحراثين"[1].

ثالثاُ: دوره الاقتصادي والإداري

الجامع الأموي مؤسسة متكاملة الأركان، مرتبطة بالدولة الحاكمة، فهي التي تشرف مباشرة على تنظيم أمورها الإدارية، في التعيين والعزل، وقد تبيّن من المصادر التي تحدثت عن الجامع قبل العصر المملوكي أن له أئمة وخطباء ووعاظاً ومؤذنين ومدرسين وقراء قرآن، تعيّنهم الدولة وفق شروط معيّنة، وتختار لكل وظيفة ما يناسبها، و تخصص لهم أجوراً على أعمالهم، تتفاوت حسب الوظيفة، ومركز موظفها ومكانته، وعمله في الجامع، وقد وقفت الأوقاف الخاصة على الجامع الأموي، وهذه الأوقاف نوعان:

أ- ضرب مادي او عينيّ، يفيد منه الموظفون وروّاد الجامع والمعتكفون فيه مباشرة.

ب- ضرب معنوي، يضعه الواقف في الجامع، فيستخدمه روّاده، فيعود بالأجر والثواب على صاحبه.

وقد أوقف هذه الأوقاف عدد من الملوك والسلاطين ورجال الدولة وميسورو الحال والعلماء، وهدفت إلى خدمة المدرسين، وطلاب العلم في الجامع، لينفقوا منها على أنفسهم، وبعضها كان تشجيعاً للإقبال على حفظ كتاب الله وقراءته، ووضعت أوقاف للفقراء والمعتكفين في الجامع من متصوفة وغرباء. وهناك أوقاف" لمن يلتزم بزاوية من زوايا الجامع أو يحضر السبع أو يقوم بسدانة مشهد من المشاهد"[2]. وكان يعيّن لهذ الأوقاف نظّار يشرفون عليها من الدولة، ومنهم في عصر نور الدين، شرف الدين بن أبي عصرون (ت585هـ/ 1189م)[3]،

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص215.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص224-225، ابن بطوطة، الرحلة، ص97.

[3] أبو شامة، الروضتين في أخبار الروضتين، ج1، ص73-77.

وفي العصر الأيوبي الحسن بن جعفر بن حمزة البعلبكي المعروف بابن بُريك (ت552هـ/1157م)[1].

ويتضح من البحث أن أكثر هذه الأوقاف تعود إلى العصرين الأيوبي والمملوكي. ومن السلاطين الذي اهتموا بالأوقاف نور الدين زنكي(569هـ/1174م)، الذي عرف عنه الاهتمام بالغرباء، وبخاصة المغاربة، وقد عيّن أوقافاً للملتزمين منهم في زاوية المالكية في الجامع، منها طاحونتان، وسبعة بساتين، وأرض بيضاء، وحمّام، ودكّان بسوق العطارين[2]. ويذكر بعض المؤرخين أن نور الدين أوقف" بستان الميدان سوى الغيضة[3] التي من قبليّه" على الجامع الأموي، ومدرسة الحنفية، وتسعة مساجد أخرى في دمشق، ولكن ريع الوقف كان نصفه يذهب للجامع الأموي، وجزءان للمدرسة الحنفية، وتسعة أجزاء لبقية المساجد.[4] وقد عرف هذا النوع من الوقف يومذاك بوقف المصالح، ذلك أنّه ليس خاصّا بالجامع الأموي وحده، ولكن له النصيب الأكبر منه، وكان منها أيضا السوق" المستجدّ تحت المئذنة الغربية"، هذا فضلاً عن حوانيت ومساكن وأفران وطواحين، وكان نور الدين يتشدد في مراقبة هذه الأوقاف، وصرفها في وجوهها الصحيحة، ما حدا به إلى عزل متوليها شرف الدين بن أبي عصرون لما اتّهم في أمانته وفي سوء إدارتها[5].

وشايعه في هذا الأمر الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وقد ذكر ابن جبير في رحلته إلى كثرة الوقف على هذا الجامع في الدولة الصلاحية إذ أشار إلى محضرة فيه، عليها وقف كبير للطلبة والأيتام المتواجدين في الجامع، ويأخذ منها المعلّم ما يسد نفقته وحاجة طلابه وكسوتهم[6]، وذكر أوقافا أخرى منها ما أوقف على "السارية الموجودة بين المقصورتين القديمة

---

[1] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص476.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص231.

[3] الأجمة أو المكان الذي تكثر فيه الأشجار. ابن منطور، لسان العرب، مادة "غاض".

[4] أبو شامة، الروضتين، ج1، ص72-73.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص74-77.

[6] ابن جبير، الرحلة، ص220، وانظر الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص27.

والحديثة"، يأخذ منه المسؤول عنها بالمذاكرة التدريس[1]، ومن أوقاف صلاح الدين على الجامع قرية حزم[2] باللوى من حوران التي عيّنها لأصحاب المذهب الشافعي من مدرسين وطلاب علوم شرعية في الزاوية الغربية من الجامع، والمعروفة بالزاوية الغزالية[3].

ووقف بعضهم الأوقاف على قرّاء السبع في الجامع الأموي، ومنهم أحد الملوك، لم يعيّن اسمه، الذي أوصى أن يكون قبره في قبلة الجامع، في الجهة الشرقية من مقصورة الصحابة، وكانت قيمة الوقف ألفاً وأربعمائة دينار وأكثر لمن يحضر السبع[4]. ومنهم الأمير مجاهد الدين بُزّان بن مامين[5] سنة (555هـ/1160م)، الذي أوقف وقفاً لم يقرأ السبع كل يوم بمقصورة الخضر في الجامع[6].

وأوقفت الأوقاف على قراء الكوثرية، وتعني قراءة القرآن كل يوم بعد صلاة العصر من سورة الكوثر إلى آخر القرآن لمن لا يُجيدون حفظه، وقد ذكر ابن جبير أن أحد الميسورين عيّن وقفاً قيمته ما يزيد على مائة وخمسين ديناراً في السنة على الجامع، منها أربعون ديناراً لمن يقرأ الكوثرية في كل ثلاثة أشهر من السنة[7]. ومثله فعل نور الدين زنكي، الذي خصص وقفاً لهذه الغاية للصبيان الصغار، ووضعه تحت شباك الكلاسة، تحت مئذنة العروس[8]. وقد وصل عدد هؤلاء القراء في ذلك المكان في العصر الأيوبي 500 قارئ[9].

---

(1) ابن جبير، الرحلة، ص219.

(2) قرية شمال جبل العرب على الطريق الشرق المؤدي إلى دمشق، فيها آثار رومانية وبيزنطية وعربية إسلامية. طلاّس، العماد مصطفى، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج3، ص58.

(3) أبو شامة، الروضتين، ج2، ص430.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص236، ابن بطوطة، الرحلة، ص98-99. والسبع وجمعه أسباع، وتعني تقسيم القرآن الكريم إلى سبعة أسباع، كل سبع منها له قدر معيّن من القرآن الكريم، يُقرأ في يوم، حتى تكتمل الأسباع وقراءتها في آخر الأسبوع. الشايع، محمد، معجم مصطلحات علوم القرآن، ص22-23، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص297.

(5) أحد مقدمي الأمراء الأكراد، كان وجيها وشجاعا سمحا، عرف عن رعايته الفقراء،وتقديم العون لهم، وأوقف أوقافاً كثيرة في زمانه. أبو شامة، الروضتين، ج1، ص307-308، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج38، ص157-158.

(6) أبو شامة، الروضتين، ج1، ص387-388، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص89.

(7) ابن جبير، الرحلة، ص236، ابن بطوطة، الرحلة، ص99.

(8) النعيمي، الدارس، ج2، ص343، بدران، منادمة الأطلال، ص146.

(9) ابن جبير، الرحلة، ص219.

وهناك أوقاف وضعت للصوفية وفقراء الجامع، ومنه ما وضعه صاحب الخانقاة السميساطية على الفقراء الملتزمين في الجانب الشرقي من الجامع، طلباً للأجر والثواب، وأوصى أن يدفن هناك" وأوقف رطلا من الخبز الحواري[1] لمن يقرأ السبع على قبره كل يوم بعد صلاة الصبح على أن يختم يوم الجمعة"[2]. وعيّن القاضي كمال الدين بن الشَّهْرَزُويّ (572هـ/1176م) صدقة جارية للفقراء، كل يوم جمعة، الذين يحضرون درساً في الزاوية الغربية المعروفة بزاوية الغزالي[3].

وشاع الوقف الخاص بخزائن الكتب، التي هدف منها أصحابها إفادة طلاب العلم والمدرسين، لقاء أجر وثواب ينالونه على ذلك[4].

ولا شكّ أن هذه الأوقاف كان لها دور مهم في الجانب الاقتصادي للجامع الأموي، ولمرتاديه من غرباء وفقراء ومتصوفة وقراء وطلاب ومدرسين وغيرهم، إلا أن هناك دوراً بارزا للجامع الأموي في الحياة الاقتصادية في دمشق عبر العصور، وبخاصة في المنطقة المحيطة به، التي كثرت فيها الأسواق المختلفة، فأسهمت في نشاط الحركة التجارية، وقد سبقت الإشارة إلى كثرة الازدحام حول الجامع، في الليل والنهار، ما يؤكد أن هذا الازدحام كان له أثره على القطاع الاقتصادي والعاملين فيه يومذاك، وعدّدت المصادر التاريخية المتنوعة أسماء عدد من الأسواق التي أحاطت بالجامع، وتبعت له، وربما كانت حوانيتها، ومؤسساتها التجارية وقفاً عليه خاصاً أو وقف مصالح، ومنها سوق الخضار والفاكهة المعروف بسوق البطيخ، الواقع في الجهة الغربية للجامع[5]، وهناك أسواق مختصة بالذهب والمجوهرات واللؤلؤ والألماس، مثل مثل سوق الصاغة شرقي الجامع، وسوق الصاغة البرانية، قبلي الجامع، ويبيع الخواتم والحلي

---

[1] خبز مصنوع من الدقيق الأبيض المنخول. الإدريسي، أحسن التقاسيم، ص199.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص235، النعيمي، الدارس، ج1، ص343.

[3] أبو شامة، الروضتين، ج2، ص264.

[4] سيأتي الحديث عنها في دور الجامع العلمي. وانظر الدروبي، سمير، خزائن الكتب في الجامع الأموي، ضمن كتاب مؤتمر الأوقاف في بلاد الشام، ص 3-14. وانظر النعيمي، الدارس، ج1، ص62، 89-90، ج2، ص 307، الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص483-448.

[5] ابن جبير، الرحلة، ص219، ابن بطوطة، الرحلة، ص86، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص248، محاسنة، محمد، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، ص209.

والأساور[1]، ومنها أسواق مختصة بالأحذية: بيعها وصناعتها وإصلاحها، مثل سوق السَّرمْجِيّين، غرب الجامع[2]، وسوق الأساكفة[3]، ووجدت أسواق، مختصة بسلع أخرى، مثل سوق الصفارين، لبيع الأواني النحاسية، وأسواق العطارين، المعروفة بأسواق الريحان، وتختص ببيع الروائح الطيبة، وتقع على دهليز باب جيرون وباب الزيادة[4].

رابعاً: دوره العلمي

من أبرز الأدوار التي أداها الجامع الأموي أثره في الحياة العلمية والثقافية في دمشق، فقد كان الجامع مركزا علميّا كبيراً، بل يشبه جامعة ضمّت معاهد كثيرة للعلم، تنوّعت بين مدارس، وزاويا، وخوانق، ودور حديث وقرآن وبيمارستان، وحلقات انتشرت في أرجائه المختلفة، وكان لهذه المعاهد تنظيمات خاصة من مدرسين وأوقاف تنفق عليهم، وطلاب علم يدرسون على أيدي هؤلاء الشيوخ، الذين كانوا يُختارون بعناية كبيرة، فكانوا على علم وتخصص في الموضوعات التي يدرّسونها، والكتب التي يعلّمونها في الجامع، وكانوا من بلدان مختلفة، وتنوّعت العلوم التي كانت تدرّس في معاهد العلم في الجامع الأموي، فمنها علوم الدين: الفقه وأصوله وعلم الحديث والتفسير والتصوّف، والمذاهب الإسلامية المختلفة وبخاصة الأربعة منها، وعلوم العربية المختلفة، من نحو وصرف وأدب وغير ذلك، وكانت يتخرّج منها مئات الطلاب، فيحصلون على إجازات علمية في علم معيّن أو كتاب خاص.

أما حلقات العلم، فقد انتشرت في أركان الجامع المختلفة وأروقته ومشاهده ومقصوراته، ودرّس فيها كبار علماء عصرهم، ولعلّ أولى حلقات العلم فيه كانت في عهد الوليد بن عبد

---

[1] العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص248-249، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص215-216.

[2] العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص248-249، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص215-216.

[3] العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص219، محاسنة، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، ص210.

[4] ابن جبير، الرحلة، 217، 219، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص214، 219، محاسنة، محمد، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي، ص217-218.

الملك، تصدّرها رافع مولى هشام المخزومي، الحافظ لكتاب الله جلّ وعلا، عندما قدم من المدينة إلى دمشق، ودرّس فيها القرآن الكريم بعد صلاة الفجر[1]. واستمرت هذه الحلقات في العصر العباسي، فتصدر بعضها هشام بن عمار بن نصر بن ميسرة السلمي، الذي كان إمام دمشق ومحدثها ومفسرها (ت245هـ/859م)، وقد كان الناس يرحلون إليه من بلدان شتى، لينهلوا من علومه، ويحضروا دروسه[2]. وكانت طريقة التدريس في هذه الحلقات في العصر العباسي تقتصر على سماع الطلاب دروس شيخهم، وتدوينها[3].

وتشير المصادر التاريخية إلى وجود الحلقات العلمية في الجامع الأموي في العصر الفاطمي، التي كانت لا تنقطع ليلاً ونهاراً، وبخاصة حلقات فقه المذاهب الإسلامية:المالكية والشافعية والحنفية وغيرها[4]، وكان الطلاب يلتحقون بها بعد إعدادهم في الكتاتيب، ومن أشهر هذه الحلقات تلك التي كان يتصدّرها الشيخ أحمد بن سليمان بن أيوب بن داود بن خَذْلَم الأسدي الدمشقي (ت347هـ/958م)، درّس فيها الفقه على المذهب الأوزاعي(ت157هـ/774م)، وذكر أنها آخر الحلقات فيه على هذا المذهب[5]. وكان التدريس في هذه الحلقات استمراراً لما كانت عليه الأمور في عهود سابقة، يدرّس الشيخ فيها حسب اختصاصه، وعادة ما كان يجلس بجانب أحد الأعمدة في الجامع، ويلتف الطلبة من حوله بشكل حلقات، وكان أسلوب التعليم المتبع يومذاك الإملاء والتلقين أو المناقشة أو الشرح والتوضيح[6]، وشجّع الفاطميون قراءة الأسباع في في هذه الحلقات وغيرها. ونشطت في هذا العهد في الجامع حلقات الحديث، ومن أبرزها حلقة المحدث المشهور أبي سليمان بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة المعروف بابن زير الربعي (ت379هـ/989م)[7].

---

[1] محاسنة، محمد، تاريخ مدينة دمشق، ص260.

[2] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص282–284، الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص444، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص297.

[3] بدر، أحمد، فقهاء الشام في العصر العباسي، ص90.

[4] محاسنة، محمد، تاريخ مدينة دمشق، ص260.

[5] الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص461، محاسنة، محمد، تاريخ مدينة دمشق ص254.

[6] محاسنة، محمد، تاريخ مدينة دمشق، ص260.

[7] المرجع نفسه، ص266، 284.

وقد تصدّر للتدريس في الجامع الأموي كبار العلماء عبر العصور، ومنهم في العصر الأيوبي الشيخ العماد المقدسي(614هـ/1217م)[1]، الذي تصدّر حلقة فيه، وكان يقرئ فيها القرآن والفقه، ويجتمع إليه الطلبة كل ليلة بعد صلاة العشاء الآخرة، فيأخذهم إلى بيته، ويُحضر لهم من الطعام ما تيسّر[2]. وهذا يدل على أن الشيخ المقدسي كان على علاقة طيبة بطلابه، فلم تكن العلاقة رسمية بينهما.

ونشطت الحلقات العلمية في العصر الأيوبي، ومن أكثر المصادر المهمة التي تحدّثت عنها رحلة ابن جبير، الذي رآها ووصفها وصف مطّلع خبير، ذكر منها حلقات القرآن الكريم فقال: "وفي الجامع المبارك مجتمع عظيم كل يوم إثر صلاة الصبح لقراءة القرآن دائما"[3]، وتستمر الحلقات بعد ذلك إذ يتوجه المشاركون شيوخاً وطلاباً، بعد الانتهاء من قراءة السبع بعد صلاة الفجر، إلى سارية في الجامع، فيجلس كل شيخ أو مدرس وأمامه صبي، يلقنه القرآن[4]. ويضيف أن هناك حلقة خاصة، كل يوم عصراً، لمن لا يجيدون حفظ القرآن الكريم، يقرؤون فيها من سورة الكوثر إلى آخر القرآن، فعرفت بالحلقة الكوثرية، ولها أجر معلوم يكفي أكثر من 500 شخص[5].

وانتشرت في الجامع في هذا العصر حلقات، تعلم الطلاب الخط والأشعار وغيرها من العلوم، وأوضح ابن جبير أن معلّم الخط غير معلّم التلقين، وهي إشادة من الرحالة في معلمي الخط الذين كانوا يبذلون قصارى جهدهم في تعليم الطلاب، ويبادله الطالب الجهد ذاته في التعلّم، ويذكر ابن جبير أن للطلاب أجراً معلوماً، ولكنّ بعضهم كان يتنزه عن أخذها، ما جعل الرحالة يعدّ الأمر من المفاخر الإسلامية[6]، ونقل الكلام عنه ابن بطوطة[7]. ووجدت في الجامع أيضاً

---

(1) إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور أبو إسحاق، كان عالماً بالقراءات والنحو والفرائض، وصنّف في الفقه. توفي سنة (614هـ/1217م). الذهبي، تاريخ الإسلام، ج44، ص182-186.

(2) سبط ابن الجوزري، مرآة الزمان، ج22، ص220.

(3) ابن جبير، الرحلة، ص219.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص220، ابن بطوطة، الرحلة، ص87، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص83.

(5) ابن جبير، الرحلة، ص219.

(6) ابن جبير، الرحلة، ص220، باشا، عمر موسى، دور العلم، م1، ص90.

(7) ابن بطوطة، الرحلة، ص87، باشا، عمر موسى، دور العلم، م1، ص90.

حلقات للتصوّف، يدرس فيها كبار هذا المذهب، ومنهم الشيخ إبراهيم الصوفي الحلبي، وكانت حلقته في الرواق الثالث في الجامع مقابل باب الخطابة، ويحضرها الكثيرون، بلغوا ألف شخص، كل واحد كان اسمه محمداً، ووصف بأنه كان مجتهداً في قراء القرآن في حلقته، الذي ختم فيها مرات كثيرة[1].

وشاعت كثير من الحلقات العلمية والمجالس لعلماء كان لهم بصمة واضحة في العصر الأيوبي، ومنهم العالم سبط ابن الجوزي شمس الدين قزأوغلي (ت654هـ/1256م)، صاحب كتاب مرآة الزمان، الذي تحدّث في ثناياه عن عمله ومجالسه العلمية في الجامع الأموي، واستمر مدرساً فيها حتى سنة (627هـ/1230م)، وذكر أن بعض ملوك بني أيوب وكبار علماء وقته كانوا يحضرون دروسه أمثال الشيخ العماد المقدسي الآنف ذكره، وكان يلازم دروسه ولا ينقطع عنها إلا بعذر، ويشيد به، فيقول سبط على لسانه: "صلاح الدين يوسف فتح الساحل وأظهر الإسلام، وأنت يوسف أحييت السنّة بالشام"، ويضيف "وكان يزورني، ويتبسّط إليّ، ويحب مجالستي"[2]. وممن كان يحضر دروس سبط بن الجوزي العالم موفق الدين المقدسي، وكان يثني عليه ويقول له: " قد أحيا الله بك السنة، وقمع البدعة، وهذه البلاد فتوحك كما فتح القدس يوسف سميّك"[3].

وحضر مجالسه ودروسه كذلك القاضي الفقيه شمس الدين بن سني الدولة[4]، والمؤرخ ابن واصل الحموي، صاحب كتاب مفرّج الكروب، وذلك سنة (626هـ/1229م)[5]. ويبدو من هذه الأخبار أن علاقة العلماء أو بعضهم يومذاك في الجامع الأموي كانت علاقة ودّ، هدفهم تبادل المعرفة، وتشجيع بعضهم بعضاً، ولم يقتصر الأمر على التنافس البغيض شأن أبناء المهنة الواحدة.

---

[1] العلبي، خطط دمشق، ص54، 298.

[2] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص221..

[3] المصدر نفسه، ج22، ص266.

[4] المصدر نفسه، ج22، ص357.

[5] ابن واصل، مفرج الكروب، ج6، ص10، 28.

ومنها حلقة علي بن مسلّم أبي الحسن السُّلمي (ت533هـ/1139م)، التي عرفت بحلقة جمال الإسلام، بباب البريد في الجامع الأموي، الذي كان شافعيّا تأتيه الفتاوى من العراق وغيرها[1].

ومنهم القاضي عبد الرحيم بن رستم[2]، الذي كانت له حلقة في الزاوية الغربية للجامع الأموي سنة (563هـ/1168م)[3]، وفي الزاوية ذاتها درّس هبة الله بن الحسن أبو الحسين الدمشقي[4] إضافة إلى المدرسة الأمينية[5] في الجامع[6]، ودرّس فيها وفي الأمينية أيضا الشيخ العالم القطب النيسابوري[7] المتوفي سنة (668 هـ/1289م)[8]، ولعلّ هذه الزاوية هي من أكثر أكثر الزوايا التي ضمّتْ حلقات علمية في الجامع[9].

ومنهم في العصر ذاته القاضي جمال الدين الحرستاني الأنصاري[10]، وكانت له حلقة في مقصورة الخضر في الجامع الأموي يدرس فيها علم الحديث[11]، ودرّس في المدرسة الأمينية الفقيه حسام الدين بن غزّي بن يونس (ت629هـ/1232م)وعرف بفضله، وبحفظه الحكايات والأشعار والنوادر[12].

---

[1] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص318.

[2] أبو الفضل الزنجاني الشافعي، ولاه نور الدين قضاء بعلبك، وقتل فيها سنة (563هـ/1168م). سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص142-143.

[3] سبط ابن الجوزي، ج21، ص142.

[4] ولد سنة(488هـ/1095م)، وتوفي سنة (563هـ/1168م)، تفقه بالشام وبغداد، وسمع من أخيه الحافظ ابن عساكر. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص147.

[5] سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

[6] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص147.

[7] ولد سنة (505هـ/1111م)، بنيسابور، وتفقه وسمع الحديث فيها، درّس في مدارس حلب ودمشق وغيرها. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص291.

[8] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص186، 291.

[9] انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج20، ص136، 142، 147.

[10] عبد الصمد بن محمد، أبو الفضل بن علي بن عبد الواحد، ولد بدمشق سنة(520هـ/1126م)، درس علم الحديث فيها وفي حلب، حصل على إجازات علمية من حلب ونيسابور، ولي في دمشق القضاء، توفي سنة(614هـ./1025م) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص223-226.

[11] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص223.

[12] المصدر نفسه، ج22، ص314.

ويتحدّث ابن جبير في رحلته عن بعض **الزوايا** التي كانت تدرّس فيها العلوم في الجامع الأموي، الموجودة على دهليز الباب الشمالي للجامع، ووصفها بأنها " محاضر لمعلمي الصبيان"[1]، ويبدو من وصفه بأن هذه الزوايا كانت خاصة بالمذاهب المختلفة، فزاوية المالكية كانت "في الجانب الغربي، يجتمع فيها الطلبة المغاربة، ولهم أجر معلوم"[2]. وكان للحنفية مقصورة خاصة بهم للتدريس والصلاة في الجانب الغربي من جدار الجامع[3]. ويشير ابن جبير إلى زوايا أخرى في الجامع معزولة عن الناس وازدحامهم، اتخذها الطلبة للنسخ والتحضير والدراسة[4]، ومنها الزاوية المنجائية[5].

ووجدت في الجامع الأموي **دور مختصة بتعليم القرآن الكريم** قراءة وحفظاً وتفسيراً، منها دار القرآن الرشائية[6]، التي تعدّ أقدم دار للقرآن الكريم في الجامع، شمال الخانقاة السميساطية[7].

---

[1] ابن جبير، الرحلة، ص219، وانظر ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص254، النعيمي، الدارس، ج2، ص 3، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص98، باشا، عمر موسى، دور العلم، م1، ص91، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص25،.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص219، باشا، عمر موسى، دور العلم، م1، ص91.

[3] ابن جبير، الرحلة، ص214.

[4] ابن جبير، الرحلة، ص214، زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص80، سبانو، أحمد، دمشق في دوائر المعارف، ص26.

[5] أنشئت سنة (640هـ/1243)، ولعلها سميت بهذا الاسم نسبة إلى زين الدين بن منجا التنوخي، المتوفي سنة (695هـ/ 1291م). اين شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص259، النعيمي، الدارس، ج2، ص94، بدران، منادمة الأطلال، ص251،كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص100، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص250.

[6] بناها رشا بن نظيف بن ما شاء الله، أبو الحسن الدمشقي المقرئ، توفي سنة (442هـ/ 1150)، وقيل: (444هـ/ 1154). النعيمي، الدارس، ج1، ص9، الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص468، ج3، ص938، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص71، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص66، حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص66، مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية، ص39.

[7] النعيمي، الدارس، ج1، ص9، بدران، منادمة الأطلال، ص16، كرد علي، محمد، خطط دمشق، ج6، ص71، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص66-67.

وكانت **دور الحديث** في الجامع الأموي مكاناً مهماً لتدريس هذا العلم الـديني وفروعـه المختلفة، ومنها دار الحديث العروية[1]، الواقعة في الجانب الشرقي من صحن الجامع في مشهد عروة[2]، ودار الحديث الفاضلية[3] عند الجدار الشمالي للجامع الأموي بالكلاسة[4].

وكانت **المدارس** التي أسست في أرجاء الجامع المختلفة مصدراً مهمـا مـن مصـادر الإشعاع العلمي والمعرفي فيه، فقد كثرت وتنوّعت، فكان لكل مذهب مـن المـذاهب مدارسـه الخاصة به، يدرس فيها رجال وعلماء مختصون بالمذهب الذي تنتمي إليه المدرسة، وقد كانـت هذه المدارس منارة تعليمية تخرج فيها الكثيرون من طلاب العلوم في التخصصات المختلفـة، وبخاصة العلوم الإسلامية.

كانت **المدارس الشافعية** أكثر مدارس الجامع عدداً، ويتضح مـن تـاريخ بنـاء هـذه المدارس أنها كانت في عهد الأيوبيين، حيث ساد المذهب الشافعي وانتشر، وكان لـه السـطوة على المذاهب الأخرى، وقد أوقف لهذه المدارس الأوقاف الكثيرة، لتنفق عليها وعلـى طلابهـا ومدرسيها والعاملين فيها، منها الغزالية[5]، الواقعة في الزاوية الشمالية الغربية شـمال مشـهد

---

[1] بناها شرف الدين محمد بن عروة الموصلي، وهو الذي بنى مشهد عروة، وأوقف عليه خزائن الكتب، كان أحد علمـاء الحديث والأصول والنحو، أقام في القدس ثم انتقل إلى دمشق، وتوفي فيها. النعيمي، الدارس، ج1، ص62، ج2، ص307، بدران، منادمة الأطلال، ص47، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص940، العلبي، أكـرم، خطـط دمشـق، ص83، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص143، الدروبي، سمير، خزائن الكتب في الجامع الأموي، ضمن كتاب مـؤتمر الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، ج2، ص8.

[2] ابن جبير، الرحلة، ص216، ابن بطوطة، الرحلة، ص83، النعيمي، الدارس، ج1، ص61، بدران، منادمة الأطـلال، ص47، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص940، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص83، الحافظ، محمد، الجامع الأموي، ص16، الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة العربية، مادة" الجامع الأموي"، م3، ص656.

[3] نسبة إلى القاضي عبد الرحيم البيساني، أديب وكاتب صلاح الدين الأيوبي ووزيره، أحد رجالات دولته، ومن اعتمـد عليهم في المهمات الجسام في فيها، توفي سنة (596هـ/ 1200). النعيمي، الدارس،، بدران، منادمة الأطلال، ص49، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص94، كرد علي، محمد، ج6، ص73.

[4] الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص94، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص84، الأوتاني، أحمد، دمشق فـي العهـد الأيوبي، ص394.

[5] تعدّ من أقدم مدارس الشافعية فيه، تنسب إلى الإمام أبي حامد الغزالي، أقام بها سنة (489هـ/1096م)، عنـدما منعـه الصوفية من الإقامة في الخانقاة السميساطية، قبل أن يعرفوا مكانته ويعتذروا له. ابن شـداد، الأعـلاق الخطيـرة، ج2، ص246-247، النعيمي، الدارس، ج1، ص315، بدران، منادمة الأطلال، ص135، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص87، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص149.

عثمان، وتعرف أيضاً بالشيخ نصر المقدسي، والمدرسة الأمينية[1]، وقيل إنها والغزالية من أقدم مدارس الشافعية في الجامع، تقع قِبَل باب الزيادة، والمدرسة الجاروخية[2]، التي تقع شمال الجامع الأموي، والمدرسة التقوية[3]، داخل باب الفراديس، شمال الجامع، والمدرسة الناصرية الجوانية[4]، داخل باب الفراديس، شمال الجامع الأموي، ومدرسة الكلاسة، وهي لصيقة بالجامع الأموي من الجهة الشمالية، والمدرسة الصلاحية[5]، قرب البيمارستان النوري في الكلاسة، والمدرسة الإقبالية[6]، شمال الجامع الأموي، داخل باب الفرج، وباب الفراديس، والمدرسة الدولعية[7]، تقع شرقي الجامع الأموي، عند باب جيرون، والمدرسة الرّواحية[8]، التي تقع غربي غربي الدولعية، وشرقي مسجد ابن عروة، والمدرسة العادلية الكبرى[9]، شمال غرب الجامع،

---

[1] بنيت سنة (514هـ/1120م)، بناها أمين الدولة كُمشتكين(ت540أو 541هـ/1145أو1146م). النعيمي، الدارس، ج1، ص132، بدران، منادمة الأطلال، ص86-87، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص944.

[2] بناها سيف الدين جاروخ التركماني سنة (538هـ/1143م)،للعلامة أبي القاسم محمود بن مبارك المعروف بمجير الدين الواسطي البغدادي، الذي درّس فيها الأصول والفروع. النعيمي، الدارس، ج1، ص169، بدران، منادمة الأطلال، ص93، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص944، كرد علي، محمد،، خطط الشام، ج6، ص78، الأوتاني،أحمد، دمشق في العصر الأيوبي، ص396، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص113، حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص216.

[3] بناها الملك المظفر تقي الدين بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت574هـ/1178). ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص235، النعيمي، الدارس، 163/1، بدران، منادمة الأطلال، ص91، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص944.

[4] بناها صلاح الدين يوسف بن العزيز، فُرغ من بنائها سنة (653هـ/1255م)، وعرفت قبل ذلك بدار الزكي المعظم. وذكر ابن شداد أنها تعرف بدار الرُّكين المعظمي. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص244، النعيمي، الدارس، ج1، ص350، بدران، منادمة الأطلال، ص149، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص89، الحصني، منتخبات التواريخ، ج4، ص951، الأوتاني، أحمد، دمشق في العصر الأيوبي، ص396.

[5] تنسب إلى الناصر صلاح الدين بن أيوب(ت589هـ/1193م). ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص245، الريحاوي، أحمد، الموسوعة العربية، مادة " الجامع الأموي"، م3، ص656.

[6] أنشأها إقبال خادم نور الدين زنكي سنة(573هـ/1177م)، وكان له داران، جعل واحدة مدرسة حنفية، والأخرى شافعية. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص210، النعيمي، الدارس، ج1، ص119، بدران، منادمة الأطلال، ص81.

[7] بنيت للشافعية سنة (620هـ/1223م)، واقفها أحد خطبائها وهو جمال الدين الدولعي الدمشقي (ت635هـ/1237 م)، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج21، ص367، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج3، ص234، النعيمي، الدارس، ج1، ص182-183، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص945، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص118.

[8] بناها للشافعية سنة(600هـ/1204م)التاجر، صاحب الشرطة أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد بن رواحة الحموي (ت622هـ/1225م). النعيمي، الدارس، ج1، ص199، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص81، بدران، منادمة الأطلال، ص100.

[9] تنسب للملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، بدأ ببنائها ولكنه توفي قبل أن يكملها، فأتمّها ابنه الملك المعظم عيسى سنة (619هـ/1222م). سبط بن الجوزي،، مرآة الزمان، ج21، ص 186، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص240، النعيمي، الدارس، ج1، ص359، بدران، منادمة الأطلال، ص124، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص947، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص141-142.

والمدرسة العزيزية[1]، التي أنشئت شرقي التربة الصلاحية، شمالي الفاضلية، بالكلاسة، وقرب التربة الأشرفية، والمدرسة المسرورية[2]بباب البريد، والمدرسة البادرائية[3] الواقع على باب جيرون، شرقي الجامع الأموي، ومنها المدرسة القوصية[4]، الواقعة تجاه باب البريد، غرب ضريح يحيى بن زكريا، وقيل هي حلقة أو زاوية[5].

أما **المدارس الحنفية**، فأكثرها بني أيضاً في العهد الأيوبي، وذكر منها المدرسة الصادرية[6]، وهي بباب البريد، لصيقة بالجامع الأموي من جهة الغرب، والمدرسة الشرقية أو التي أطلق عليها المقصورة أيضاً، وتقع في الجدار الشرقي للجامع الأموي، جنوب المدرسة الرواحية، وذكر بعض المؤرخين أنها كانت مشتركة بين الشافعية والحنفية[7]. ومن مدارس الحنفية المدرسة التاجية[8]، الموجود في زاوية الجامع الشرقية، وكانت تعرف بزاوية ابن سنان، سنان، والمدرسة السفينية[9]، وهي حلقة في الجامع، ولا يعلم واقفها ولا سبب تسميتها، والمدرسة

---

[1] أتم بناءها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين سنة (ت595هـ/1199م). ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص235، النعيمي، الدارس، ج1، ص290، بدران، منادمة الأطلال، ص129–130، الأوتاني، دمشق في العصر الأيوبي، ص390.

[2] أنشأها الطواشي شمس الخواص مسرور، وهو أحد خدام الخلفاء الفاطميين. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص228 ويذكر النعيمي أن بانيها هو نور الدين زنكي. النعيمي، الدارس، ج1، ص455.

[3] بناها أبو عبد الله نجم الدين محمد الباذرائي البغدادي، سنة(654هـ/1256م)، قبل وفاته بعام. بدران، منادمة الأطلال، ص87، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص78، حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص216.

[4] نسبة إلى مدرسها شهاب الدين القوصي، (ت653هـ/1255م). ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص247، النعيمي، الدارس، ج1، ص333.

[5] النعيمي، الدارس، ج1، ص333.

[6] بناها شجاع الدولة صادر بن عبدالله سنة (391هـ/1001م)، وقيل: سنة (491هـ/1098م)، وتعدّ من أقدم المدارس الفقهية في دمشق. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص200، بدران، منادمة الأطلال، ص178، ابن المبرد، ثمار المقاصد، ص91، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص954، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص196–197.

[7] العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص222.

[8] تنسب للشيخ تاج الدين الكندي (ت613هـ/1216م). النعيمي، الدارس، ج1، ص370، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص91، الريحاوي، عبد القادر، الموسوعة الميسرة، مادة " الجامع الأموي"، م3، ص656.

[9] لا يعرف واقفها أو سبب تسميتها، وقيل هي للحنفية أو للحنابلة. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص217، النعيمي، الدارس، ج1، ص406، بدران، منادمة الأطلال، ص175،كرد علي، محمد، ج6، ص93، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص192.

والمدرسة العزية الوقعة جوار مشهد علي في الجامع الأموي[1]. ويذكر ابن شداد المقصورة الحنفية، وعدها من مدارس الجامع المشتركة دون أن يفصح عن المذهب المشترك معها، وكل ما قال: " وإنّما ذكرناها مع المشترك لكونها مدرسة وإمامة"[2].

وكان هناك بعض المدارس للحنابلة أقل عددا من المذاهب السابقة، ولعل سبب ذلك راجع إلى قلّة أرباب هذا المذهب في دمشق، فالدول التي حكمت دمشق متتابعة لم تكن على هذا المذهب، فالدولة الزنكية كانت تعتنق المذهب الحنفي، والأيوبية المذهب الشافعي، ومن هذه المدارس، المدرسة الصدرية[3]، غرب الجامع الأموي، ومدرسة المحراب، الواقعة في محراب الجامع الأموي[4]، ومنها المدرسة الجوزية[5] في سوق القمح، قرب الجامع.

أمّا المذهب المالكي، فلم يعثر له على مدرسة في الجامع، فلا يوجد له سوى بعض الزوايا التي كانت داخله، ومنها الزاوية المالكية آنفة الذكر.

وانتشرت **خزائن الكتب** في هذه المؤسسات العلمية داخل الجامع الأموي، التي كانت مصدراً علمياً مهماً للطلاب للعودة إليها والدراسة فيها، وقد جمعها سمير الدروبي في بحثه " خزائن الكتب في الجامع الأموي"[6]، ومنها خزائن كتب ابن عروة في مشهده المنسوب إليه، وقد وقد أوقفها المذكور على الجامع[7]، والخزانة الفاضلية في دار الحديث الفاضلية[1]، وخزانة

---

[1] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص216، النعيمي، الدارس، ج1، ص428، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص95، العلبي، أكرم، خطط الشام، ص302.

[2] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص264.

[3] أنشأها صدر الدين التنوخي (ت657هـ/1259م). النعيمي، الدارس، ج2، ص67-68، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص959، حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، 218.

[4] العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص249.

[5] بناها محيي الدين بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، بعد(630هـ/1233م). ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص256.

[6] انظر الدروبي، سمير، خزائن الكتب في الجامع الأموي، ضمن كتاب مؤتمر الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، ج2، ص8.

[7] النعيمي، الدارس، ج1، ص62، بدران، منادمة الأطلال، ص74، الدروبي، سمير، خزائن الكتب في الجامع الأموي، ضمن كتاب مؤتمر الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، ج2، ص8.

الأشرف ابن القاضي الفاضل، والخزانة الأشرفية[2]، وخزانتا الحنابلة، وخزانة كتب التاج الكندي في المقصورة الحلبية، اشتهرت بكثرة كتبها التي بلغت 761 مجلدة، وخزانة مصحف عثمان، وخزانة ابن الأنماطي الشافعي (ت619هـ/1222م)، وخزانة الفخر بن المالكي الشافعي (ت643هـ/1245م)، وقد ذكر في بعضها ما احتوت من نفائس الكتب[3].

وقد درّس في هذه المدارس عدد كبير من العلماء المشهورين في وقتهم، ومنهم ما زالت آثاره ومؤلفاته ماثلة بين أيدينا حتى اللحظة، وحصر أسماء المدرسين في هذه المدارس وفي حلقات الجامع يحتاج إلى دراسات مختصة، ويكتفي البحث بما ذكر إبّان الحديث عن الحلقات[4].

---

[1] الدروبي، سمير، خزائن الكتب في الجامع الأموي، ضمن كتاب مؤتمر الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، ج2، ص11.

[2] المنسوبة للملك الأشرف أبي الفتح مظفر الدين موسى الأيوبي حكم دمشق سنة(626هـ/1228م). الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج2، ص127.

[3] انظر تفصيل ذلك الدروبي، سمير، خزائن الكتب في الجامع الأموي، ضمن كتاب مؤتمر الأوقاف في بلاد الشام، ص 3-14. وانظر النعيمي، الدارس، ج1، ص62، 89-90، ج2، ص 307، الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص483-448.

[4] انظر سبط بن الجوزي، ج20، ص136، 142، 299، ج21، ص 73، 154، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص199-264، النعيمي، الدراس، ج1، ص100-466، ج2، ص3-94.

الفصل الثاني

الجانب المعماري والجانب الإداري للجامع الأموي في العصر المملوكي الأوّل

الفصل الثاني

الجانب المعماري والإداري للجامع الأموي في العصر المملوكي الأوّل

- **الجانب المعماري**

ظلّت هيكلية الجامع الأموي المعمارية في العصر المملوكي الأوّل على حالتها التي كانت عليها في العصور السابقة، إلا أن ظروفاً ألمت ببعض جوانبها، وكان سببها الكوارث الطبيعية أو البشرية أو الاجتماعية، اقتضت إعادة تجديد أو إضافات على هذه الهيكلية، ولكنها ظلّت محدودة، لم تؤثر في البناء العام للجامع.

أ- الكوارث التي نزلت بالجامع

نزلت بالجامع الأموي في العصر المملوكيّ الأول كوارث طبيعية وبشرية، كان لها أثر في عمارته، وفي مقدمتها الحرائق والزلازل، وقد رصد البحث ثلاثة حرائق منها في العصر المملوكي الأول، ففي سنة (680هـ/1281م)، في الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك، غسل أحد الرجال من سوق الذهبيين ثوبه، ووضع تحته جمرة ليجف، فتعلقت به، فاشتعل ونتج عنه الحريق[1]، الذي أتى على الأسواق المحيطة بالجامع، ومنها سوق اللبادين والكتبيين والزجاجين والخواتميين، وسوق جيرون، وامتد الحريق إلى حمام الصحن، شمل ما فوق السوق وتحته، حتى وصل إلى القياسر، وحيطان الجامع الأموي[2]. واستمر ثلاثة أيام متتالية، وأتى على معظم الأموال، التي كانت في معظمها وقفاً على الجامع، وقد أسهم عدد من أمراء الدولة المملوكية في إطفاء النار بأنفسهم[3].

وحدث الحريق الثاني سنة (740هـ/1339م)، الذي حظي بعناية المؤرخين، ففصلوا في الحديث عنه، وعن نتائجه وآثاره، وأطلقوا عليه اسم الحريق الكبير، ووقع في السادس والعشرين من شوال في سوق الدهشة، وانتقل منها إلى القيسارية المجاورة له، فاحترقت المأذنة الشرقية

---

[1] ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص250.

[2] الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص205، النعيمي، الدارس، ج2، ص299.

[3] الكتبي، عيون التواريخ، ج21، ص305، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص250.

في الجامع الأموي، وسوق اللبادين، والمدرسة الأمينية وما حولها[1]، وتغيّرت بسببه معالم وجه الجدار الخاص بمشهد أبي بكر[2]، واحترقت أماكن أخرى كانت كلها وقفاً على الجامع[3]، ووقع هذا الحريق في أواخر سلطنة الأمير تنكز(712-740هـ/1312-1340م).[4] نائب الشام، وكان مفتعلاً، تسبّب به مجموعة من النصارى، الذين وضعوا فيه كعكاً ممزوجا بالنفط، وأدخلوه إلى سوق الدهشة[5]، وبعض دكاكينه، وأشعلوا فيها النار ليلاً[6]. وقد كتب الأديبان المؤرخان زين الدين بن الوردي (ت749هـ/1348م)، وصلاح الدين الصفدي(ت764هـ/1362م) مقامتين عبّرا عن الحريق ذاته، ووصفا مجرياته وآثاره ونتائجه، والغريب أن مسمى المقامتين ومضمونهما يكاد يكون واحداً، ما يدل على أن أحدهما أخذ عن الآخر.

أمّا مقامة ابن الوردي، فاسمها (المقامة الدمشقية المعروفة بالصفو الرحيق في وصف الحريق)، تحدّث فيها عن الأضرار التي نجمت عن هذا الحريق في الجامع الأموي، إذ احترقت المنارة الشرقية والمدرسة الأمينية فيه، والبناء الخاص بالشهود عند باب الساعات[7]. قدّم الصفدي في مقامته رشف الرحيق في وصف الرحيق المعلومات ذاتها، ولكنّه توسع في وصف

---

[1] مجهول، عصر سلاطين المماليك، ص95، الفاخري، تاريخ الفاخري، ج1، ص346، الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص285، ذيول العبر، ج4، ص117، العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص256، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص318، المقريزي، السلوك، ج3، ص282، النعيمي، الدارس، ج2، ص307-308، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، 1035.

[2] العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص256.

[3] مجهول، عصر سلاطين المماليك، ص95، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص318.

[4] الأمير سيف الدين أبو سعيد بن عبد الله الحسامي الناصري. من الأتراك القفجاقية، نشأ في بلاط السلاطين، وكان على علاقة وطيدة بالناصر محمد ابن قلاوون، الذي ولاه غير منصب، منها نيابة دمشق سنة (712هـ/1312م)، وعرف بصلاحه وحسن سيرته، وظلّ فيها إلى أن نقم عليه الناصر، فأعدمه سنة (740هـ/1340م). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص 280، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص372.

[5] سوق مختصة بالملابس والأمتعة الخاصة بالنساء، تقع شرق الجامع الأموي. دهمان، محمد، ولاة دمشق، ص228، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص214.

[6] مجهول، عصر سلاطين المماليك، ص95، الفاخري، تاريخ الفاخري، ج1، ص346، الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص285، ذيول العبر، ج4، ص117، العمري، مسالك الأبصار، ج2، ص256، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص318، المقريزي، السلوك، ج3، ص282، النعيمي، الدارس، ج2، ص307-308، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، 1035.

[7] ابن الوردي، الديوان، 121، 122، 123.

ما نزل بالمنارة الشرقية جرّاء الحريق، فعبّر عن شدة ضررها إذ قال: "ولم تزل النار تأكل ما يليها، وتفني ما يستَفِلُها ويعتليها، إلى أن ارتفعت إلى المأذنة الشرقية، ولعبت ألسنتُها المسودّة في أعراض أخشابها النقية، وثارت إلى الأرضِ لأخذ الثأر، وأصبح صخرها كما قالت الخنساء "كنه علم في رأسه نار"، فَنُكِّست وكانت للتوحيد سبّابة، ولمعبدها المُطرب سبّابة، وابتلي رأيها بالهدم، والنار بشقيقة، ودار الحريق على دائرها رحيقُه"[1].

والحريق الثالث الذي أصاب الجامع كان سنة (753هـ/1352م)، عند باب جيرون، ووصف بأنه عظيم وكبير، وقد أثر بباب الجامع الأصفر أو باب النحاس، فنقل مباشرة إلى مستودع الجامع أو ما عرف بخزانة الحاصل في مشهد علي، المعروف بمشهد الحسين أيضاً. وكان هذا الباب مصنوعاً من خشب الصنوبر في الأصل، ووضع عليه النحاس[2]، وكان قويّاً جداً وصلباً، وقد عبّر ابن كثير عن متانته إذ قال:" شاهدتُ الفؤوس تعمل فيه ولا تكاد تحيل فيه إلا بمشقة، فسبحان الذي خلق الذين بنوه أوّلاً"[3]، وذُكر أن عمر الباب أكثر من خمسة آلاف سنة عندما حُرق[4]، وبناء على هذا القول يكون هذا الباب من بقايا المعبد، الذي بني الجامع على على أنقاضه.

أمّا الزلازل، فكان منها واحد أثر في الجامع الأموي، وحدث سنة (702هـ/1302م)، إذ زلزلت دمشق يومئذ، وهدم بعض أجزاء من الجامع[5].

ب- التجديدات على الجامع

اعتنى سلاطين العصر المملوكي الأول ورجال الدولة من أمراء ونوّاب ونظّار بالجامع الأموي، فجدّدوا وأصلحوا ما خرب أو اندثر منه، وعمّروا ما يلزم لتوسعته، وأضافوا إليه

---

[1] الصفدي، مقامة رشف الرحيق في وصف الحريق، ص103، 105.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص254، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1080، دهمان، محمد، ولاة دمشق في عهد المماليك، ص204، الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص19.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص254.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص254، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1080، دهمان، محمد، ولاة دمشق في عهد المماليك، ص204.

[5] الدواداري، بيبرس، زبدة الفكرة، ص379.

تحسينات اقتضتها الظروف، وهناك صور ماثلة على هذا الاهتمام، تحدّثت عنها المصادر التاريخية، على مدار العصر.

كان السلطان الظاهر بيبرس(685-676هـ/1260-1277م) أحد الحكام الذين اهتموا بالجامع الأموي، فأمر بتجديدات وإصلاحات وإضافات فيه عبر سنوات حكمه، ففي عهده جُدّد في رمضان من سنة (663هـ/1264م)، باب البريد، وبلّط، فوصل البلاط منتصف القناة التي عند الدرج، ونُقل سوق الشماعين إلى الحوانيت الموجودة في حائطه، وأمر بيبرس بإزالة ما كان في الجامع من حواصل ومقاصير وخزائن وصناديق وعددها 300 خزانة ومقصورة، فتوسع الجامع بذلك[1]. وفي النصف الثاني من سنة (664هـ/1265م)، حوّل القسم الثاني من القناة عند درج باب البريد إلى بركة وشاذوران، وغيّرت لاحقاً إلى دكاكين[2].

وبلغ اهتمام بيبرس بالجامع أنه كان في بعض الأوقات يتجول فيه، ويتفقّد أحواله، فروي أنه تجوّل فيه في سنة (668هـ/1269م)، فلاحظ اتساع رخامه، وتغيّر معالم الفسيفساء فيه، فأمر بغسلها وإصلاحها، وبترخيم الحائط الشمالي على هيئة الحائط القبلي[3]، فأحضر الرخام من أماكن مختلفة، وبلغت تكلفة التجديد ما يزيد على عشرين ألف دينار، وعقب ذلك أمر بفرش الجامع بسجاجيد كثيرة[4].

ونال الجامع عناية بعض الأمراء في عهد بيبرس، ومنهم الأمير جمال الدين آقوش الأفرم[5]، الذي أشرف على تجديد الحائط الشمالي للجامع الأموي، والأماكن المتباعدة فيه،

---

[1] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص80، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص342، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص259، النعيمي، الدارس، ج2، ص 314-315، الزوربا، فريال، الحياة الاجتماعية في العهد المملوكي، ص226.

[2] النعيمي، الدارس، ج2، ص67-68.

[3] النعيمي، الدارس، ج2، ص314، ابن كنّان، المواكب الإسلامية، ق1، ص425.

[4] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص79، العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص244، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص342، النعيمي، الدارس، ج2، ص314، ابن كنّان، المواكب الإسلامية، ق1، ص425.

[5] الأمير جمال الدين الأفرم المنصوري، نائب دمشق، وهو من اكابر المماليك البرجية السلحدارية، كان ذا نجدة قوياً، توفي سنة (714هـ/1314م). الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص561-573، دهمان، محمد، ولاة دمشق، ص144-145.

وعلى جَمْع الفسيفساء المتساقطة منه وإعادتها إلى مكانها[1]، ثم نقش اسمه فوق باب المشهد على يمين الداخل من باب البريد، وكتب عليه "جمال الدين آقوش(678-689هـ/1279-1290م) نائب السلطنة المعظّمة بالشام المحروس"[2].

وسار السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الألفي(689هـ/1290م) على خطا سلفه في الاعتناء بالجامع الأموي، فجدّد بعض عمارته في عهده، ومنها ما كان سنة (678هـ/1279م)، إذ جدّد جزء من قبة النسر، قدّر بخمسة أضلاع من الجهة الغربية[3]، وجدّدت أربعة دعائم في السنة ذاتها من جهة الغرب[4]. وفي سنة (686هـ/1287م)، أمر ناظر الجامع، في عهد قلاوون، ناصر الدين عبد الرحمن المقدسي[5] بتجديد مساطب باب الساعات للشهود، وجدّد باشورة بباب الفراديس[6]. وفي عهد قلاوون أيضاً في يوم الجمعة، 22 من ذي الحجة من سنة (688هـ/1289م)، وضع منبر عند محراب الصحابة، اقتضاه تعمير مقصورة الخطابة، فاستمرت الخطب وصلاة الجمعات والجماعات هناك مدة شهر[7].

ولعل أكثر تجديدات طرأت على الجامع الأموي في العصر المملوكي الأول كانت في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون(741هـ/1341م) ونوابه وأمرائه ورجال دولته وموظفيه، وبخاصة في عهد نائب الشام سيف الدين تَنكز، ومن موظفيه الذين اهتموا بالجامع ناظره ناصر الدين بن عبد السلام[8]، الذي جدّد سنة (698هـ/1299م)، مشهد عثمان، وفتحه يوم السبت 21 21 من شوال، بعد أن كان مغلقاً لوجود خشب وآلات فيه، وعمل له طرازاً مذهباً، وأضاف إليه

---

[1] ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص119، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص237.

[2] دهمان، محمد، ولاة دمشق في عهد المماليك، ص61-62.

[3] الكتبي، عيون التواريخ، ج21، ص226.

[4] الطنطاوي، علي، الجامع الأموي، ص46.

[5] ناصر الدين محمد بن شمس الدين بن بدر المقدسي الشافعي. تولى عدة وظائف، ومنها نظر الجامع الأموي، والبيمارستان النوري والأوقاف. توفي سنة (687هـ/1288م). النويري، نهاية الأرب، ج31، ص157-158، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص65.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص230.

[7] المصدر نفسه، ج13، ص232.

[8] تولى نظر الجامع الأموي، وأضاف وجدّد في مشهد عثمان. توفي سنة (698هـ/1299م). ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص442، ابن كثير، البداية النهاية، ج14، ص5.

مقصورة الخدّام في الجهة الشمالية منه، وعيّن له إماماً براتب "وحاكى به مشهد علي بن الحسين بن زين العابدين"[1]. وأمر الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (693هـ/1293م)، بجلب ماء القنوات إلى الجامع، وأضافها إلى الماء الذي كان يأتي من بانياس إليه، لتكون رديفاً لـه حـال انقطاع مياه بانياس[2]. وحظي الجامع باهتمام نائب السلطنة في عهد الناصر قـلاوون، وهـو الأمير قراسُنقر[3]، إذا أمر سنة (710هـ/1310م)، في شهر شعبان منـه بتوسـيع مقصـورة الخطابة، فأخّرت سدّة المؤذنين إلى الرّكنين المؤخرين تحت قبة النسر[4].

وشهدت فترة نائب السلطنة سيف الدين تنكز في الشام اهتماماً واسعاً بالجامع الأموي، إذ كان المذكور فائق العناية بالمساجد والمدارس، وكان يتفقد أحوالها، ويجدّد ما نقـض منهـا، ويعمّر ما تغيّرت معالمه، وقد ذكرت المصادر التاريخية غير خبر يدل على انشـغاله بالجـامع الأموي، وعنايته بالعمال والمشرفين على تجديده وإعماره، فيذكر أنّه إبان ولايته أكمل إعمـار الحائط الشمالي للجامع سنة (727هـ/1327م)، وكان قد بُدء بترخيمه في عهد الظاهر بيبـرس ولم يكمله، أكمل تنكز ترخيمه من الرخام الموجود في الحاصل أو مستودع الجامع، وجلبوا مـا نقص واشتروه[5]. وقد وصف المؤرخ ابن الجزري هذا التجديد وتكلفته إذ قال: " قِسـتُ الـذي استجدّوه من باب الكلاسة إلى زاوية الغزالي ستين ذراعاً بالقاسميّ في ارتفاع ستة أذرع، فكان، وعملوا عليه طرازاً بذهب مكتوب فيه آيات من القرآن العظيم، وصار الكل بسببه فـي غايـة الحسن والجودة، يكون تقدير ما غرّم عليه نحو عشرين ألف درهم"[6].

---

[1] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص442، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج15، ص72، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص5، النعيمي، الدارس، ج2، ص306-307.

[2] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص78-79.

[3] شمس الدين أبو محمد الجوكندار المنصوري، من كبار مماليك المنصور قلاوون. كان رجل علم ودهاء، شجاعاً، نـاب عن السلطان الناصر بعد مقتل حسام الدين لاجين، ثم تولّى نيابة حماة ثم حلب. توفي سنة (728هـ/1328م). الصـفدي، أعيان العصر، ج4، ص87-99، الوافي بالوفيات، ج11، ص30.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص61.

[5] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص199، الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص271، النعيمـي، الـدارس، ج2، ص302.

[6] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص199.

ويروى أن الحائط القبلي للجامع الأموي في عهده كان قد تعفّن، ووجدوا فيه مَيْلاً بمقدار 12 أصبعاً، فأستشار السلطان الناصر محمداً بن قلاوون بأمره، وذلك لكلفة إعماره العالية، وقدرت بمئة ألف درهم، فاتفقا على تجديده، فنُقض الحائط، وجدّد سنة (728هـ/1328م)، وأكمل في 25 يوماً من العمل فيه. وكان تتكز مشرفاً على هذا الإعمار، ومعه جماعة من الأمراء والحجّاب والأعيان والقضاة وعلماء الدين[1]، وتولى الإشراف المباشر على هذا الإعمار ناظر الجامع تقي الدين بن مراجل (ت764هـ/1363م)[2]، وقد عمل في هذا التجديد أكثر من مئة شخص في اليوم الواحد[3]، وتبرّع الكثير من الناس للعمل فيه[4]، ومنهم عدد من المتصوفة[5]، وقد كافأ تتكز عدداً من الصناع والعمال والمشرفين، ومنهم الناظر ابن مراجل، الذي كان لحسن إدارته أثر مهم في سرعة الإنجاز وإتقان العمل[6]، وكافأ غيره من الذين جدّدوا جدّدوا سقوف الخانقاة السميساطية، وأتقنوا عملهم فيها[7].

وحدث تجديد آخر على الجامع بعد الانتهاء من تجديد الحائط القبلي، إذ وضع محراب جديد يضاهي محراب الصحابة بين باب الزيادة ودار الخطابة، وخصص للحنفية، عوضاً عن محرابهم الذي كان لهم في الجانب الغربي من المحراب الكبير[8]، وأطلق عليه محراب اللازورد[9]. وشمل التجديد في تلك السنة طاقات الجامع وسقوفه[10].

---

(1) النويري، نهاية الأرب، ج33، ص263–264، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص258، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص139، النعيمي، الدارس، ج2، ص303.

(2) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص258–259، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص139، النعيمي، الدارس، ج2، ص303.

(3) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص259، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص139، النعيمي، الدارس، ج2، ص303.

(4) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، 259–260، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص139، النعيمي، الدارس، ج2، ص303.

(5) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص260.

(6) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص259، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص139، النعيمي، الدارس، ج2، ص303.

(7) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص260.

(8) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص258، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص139، النعيمي، الدارس، ج2، ص303.

(9) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص252.

(10) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص259–260، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص139، النعيمي، الدارس، ج2، ص303.

ولم ينته العمل في الحائط القبلي بعد بنائه، فشرعوا في ترخيمه سنة (728هـ/1328م)، من الجانب الغربي للجامع، وكانت البداية في الترخيم من المحراب المستحدث، وهو محراب اللازورد[1]، ثم عمل الصناع على تذهيب الحائط، وأدخلوا فيه من الذهب المصري المرقوق، وأضافوا إليه درابزين من الحجر الأحمر، واستغرق ذلك العمل مدة اثنين وأربعين يوماً[2]، وكان الانتهاء في سنة (749هـ/1329م)[3]. وذكر أن تكلفة نقض السقف وإعمار الحائط وترخيمه بلغت خمسين ألف درهم[4].

ولم يكتف الأمير تنكز بما عمّر وجدّد بل أمر بتوسعة الطرق المؤدية إلى الجامع كطريق سوق السلاح، وطريق باب البريد، وغيرهما من الطرق[5]. وأمر في هذه السنة (749هـ/1329م) بخلع ما كان عند قبر يحيى بن زكريا من خشب بين العمودين وبين الحجارة، لترخيمه بالرخام الأبيض والأسود، وكتب عليه قوله تعالى: "يا زكريا إنّا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميّاً[6]"[7].

وحدث تجديد آخر في الجامع الأموي في عهد الأمير تنكز، إذ أمر بنقض الحائط الشرقيّ للجامع، سنة (730هـ/1330م)، وتجديده وتذهيبه على مثال ما فعلوا بالحائط الغربي، وانتهوا من ذلك في أواخر السنة المذكورة آنفاً[8]. ويبدو أن اللمسات الجمالية التي أضفيت على الحائطين الغربي والشرقي قد حفزت الأمير تنكز على إبرازها في مواضع أخرى من الجامع، فيذكر أنه في ذي القعدة سنة (732هـ/1332م)، أمر بترخيم الحائطين الغربي والشرقي اللذين

---

[1] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص266، النعيمي، الدارس، ج2، ص304.

[2] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص319.

[3] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص318-319، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص280، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، 149.

[4] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص318-319.

[5] ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص282، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص150.

[6] سورة مريم، أية 7.

[7] النويري، نهاية الأرب، ج33، ص286.

[8] ابن كثير، البداية والنهاية،ج14، ص154، النعيمي، الدارس، ج2، ص304، الصوفي، منصور، الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام في العهد المملوكي، ص144.

هما ظاهر الجامع بالصحن على النمط ذاته الذي كان في الحائط الشرقي للجامع، فأحضروا المرخمين من مناطق شتى، وجلبوا الرخام من بلدان شتى، منها عكا وصور وصيدا وبيروت والسواحل، وكان الانتهاء من العمل فيها في جمادى الأولى من السنة ذاتها[1]. ويتضح أن هذا الإعمار كان توسعة شاملة للجامع، اقتضتها طبيعة المجتمع يومذاك، وزيادة عدد السكان، وعدد المقبلين على الصلاة في الجامع، وقد اكتملت في هذه السنة، وأدى ذلك إلى زيادة مساحته، وتوسعته على الناس[2]. واستمرت العناية في الجامع الأموي في عهد تنكز حتى سنة (736هـ/1336م)، إذ اكتملت فيها البطائن في الرواق الشمالي والغربي والشرقي، التي لم يكن لها بطائن من قبل، وخلع فيها تنكز على الناظر عز الدين ابن منجا[3]، الذي أشرف على عملها[4].

واستحدث بابان جديدان في العصر المملوكي الأول ذكرها العمري وهما "الباب النافذ إلى الكلاسة، والباب النافذ إلى الكاملية، وهما جناحا باب النطّافين[5]". ويتضح من رحلة ابن بطوطة أن هيئة غرفة التوقيت عند باب الساعات طرأ عليها تغيّر عمّا كانت عليه في العصور السابقة، ويقول: "يقع على يمين الخارج من باب جيرون غرفة لها هيئة طاق كبير، فيه طيقان صغار مفتحة، لها أبواب على عدد ساعات النهار، والأبواب مصبوغ باطنها بالخضرة، وظاهرها بالصفرة، فإذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الأخضر ظاهراً، والظاهر الأصفر باطناً، ويُقال إن بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مضي الساعات"[6].

ويتضح من نصوص الأدب والتاريخ التي تحدث فيها أصحابها عن الجامع الأموي أنه كان تحفة معمارية لفتت أنظارهم فراحوا يصفونه، ويتغزلون بجماله، وبما يحدثه في النظر من

---

(1) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص535.

(2) النعيمي، الدارس، ج2، ص304.

(3) عز الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن وجيه الدين المنجا التنوخي الحنبلي. كان فاضلاً من الأكابر والأعيان، عرف بذكائه وكرمه. درّس بدمشق، وتولّى نظر الجامع الأموي. توفي سنة (746هـ/1346م). الرافعي، الوفيات، ج2، ص11–12، الذهبي، تاريخ الإسلام،ج53، ص39.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص184.

(5) العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص252، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص1019.

(6) ابن بطوطة، الرحلة، ص86.

رونق وارتياح، فهذا الصفدي كتب مقامة اسمها (رشف الرحيق في وصف الحريق)، الذي أصاب دمشق والجامع سنة (740هـ/1340م)، وصفاً جميلا لعمارة الجامع وبهائها، فقال: "فلازمت جامعها الذي تحيّرت العقول في تكوينه وكنهه وحسنه الذي لم يكن فيه عيب سوى أنه لم تقع العين على شبهه...فإنه يوقظ النائم بحسن رخامه، وتروي زخرفته حديث الحُسن بقصّه.." ثم يصف أعمدته وصحنه وقبته، وما أبدع فيه الصنّاع، من أثاث خشبي وبناء، فيقول: "وكم فيه عمود قام على قاعدة، وكم به من منجور كغصون أوجه العجائز وأزراره ناهدة، وكم من أعطاف رويت في صحنه مائدة، وكم من طائر لرفع نسره مخفوض، وكم حسن بناء عند بنائه يُعرب أنه مرفوض، كم أظهرت الصنّاع فيه بدائع لا يدّعيها غيرهم ولا يتعاطى، وكم أبرزوا فيه معجزة، لأنهم جعلوا الحجارة أوراقاً، والرُّخامَ أخياطا"[1]. وشمل التجديد لمدارس المسجد التي كانت تتعرض للدمار أو الخراب بفعل الكوارث الطبيعية أو الغزو أو غير ذلك. ففي سنة (699هـ/1300م) احتل المغول الشام، ومنها دمشق، فتعرضت المدرسة العادلية الكبرى للتدمير، فأعاد المماليك تجديدها سنة (704هـ/1213م)[2].

- **الجانب الإداري**

يتوزع الجانب الإداري للجامع الأموي على فصول هذه الدراسة، فقد كان لكل شأن من شؤونه تنظيم خاص فيه، يكفل حسن تنظيمه، وسير عمله، فهناك ترتيب للصلوات والأئمة، وتنظيمات للخطباء والمؤذنين والقيمين والقضاة والشهود والمدرسين والأوقاف والنفقات، وغير ذلك، وسيأتي الحديث عن كل أمر في بابه الخاص فيه، وسيقتصر الحديث في هذا الفصل على الجوانب الآتية:

أ- أوقاف الجامع الأموي ونفقاته

اعتمد الجامع الأموي في نفقاته على الأوقاف المتنوعة التي أوقفت على موظفيه وعماله على اختلاف أعمالهم ومهامهم المنوطة بهم فيه. ويبدو من حجم الجامع وكثرة مصاريفه ونفقاته

---

[1] الصفدي، مقامة رشف الرحيق في وصف الحريق، ص99-100.

[2] بدران، منادمة الأطلال، ص124-125، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص142.

أنها كانت كثيرة[1]، فهذا ابن بطوطة يذكر أن الجامع كان عليه من المصاريف والأموال نحو خمسة وعشرين ألف دينار سنويّاً[2]، ويبيّن المقريزي أن دخل الجامع كان ألفاً ومائتي دينار يومياً، منها مئتا دينار تُصرف على مصالح الجامع، ويوضع الباقي في خزانة السلطان[3]. أمّا الحميري، فيروي أن مستغلّات الجامع وخراجاته كانت تزيد على الثمانية آلاف دينار سنويّاً[4].

ولكنّ أوقاف الجامع لم تنل العناية الكافية من المؤرخين بشكل عام، فذكرها بعضهم مجملة، وحدّد آخرون بعضها الآخر، وأشاروا إلى بعض وجوه إنفاقها، ويدل على كثرتها نقشٌ على أحد أعمدة الجامع في الرواق الشمالي، يعود إلى سنة (669هـ/1270م)، كتب فيه الواقف أجراً لقراء السبع كل ليلة بعد صلاة العشاء[5].

ومن الأوقاف التي أشير إلى واقفيها من السلاطين المماليك صراحة تلك التي كانت في عهد الظاهر بيبرس، فقد ذُكر أنّه وضع أجراً ثابتاً لمن يقرأ في المصحف بعد صلاة الفجر تحت قبة النسر[6]. وأشار المؤرخون أن بيبرس قد أعاد تنظيم أوقاف الجامع الأموي في عهده، فضبطها، ووضع وجوهها المستحقة لها، وأثبتها عند القضاة، وأضافها إلى وقف المصالح، بعد أن كانت تتحكم فيها الأهواء والاجتهادات منعاً وعطاء[7]. ولعلّ استغلال الأوقاف كان ديدن الكثيرين ممّن تولّوا أمره، وهذا ما عبّر عنه العمري في سياق حديثه عن كثرة أوقاف الجامع ووظائفه إذ قال:" إن للجامع من الوظائف المرتبة ما لا يستغل به إلا ديوان ملك، وعليه جلائل الأوقاف، إلا أن الأيدي العادية قد استولت على كثير منه لسبّة الأكابر والمناصبات وغير ذلك ممّا عُمل على سبيل النصبات"[8].

---

[1] النعيمي، الدارس، ج2، ص297.

[2] ابن بطوطة، الرحلة، ج2، ص83.

[3] القزويني، آثار البلاد، ص191..

[4] الحميري، الروض المعطار، ص239.

[5] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص82

[6] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص80-81، النعيمي، الدارس، ج2، ص314-315.

[7] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص80-81، النعيمي، الدارس، ج2، ص314-315.

[8] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص259.

وهناك أوقاف كثيرة كان يوقفها كثير من الناس، هدفها الأجر والثواب، ومنها تلك التي كانت من الصنّاع، الذين عملوا في صناعة القسيّ والنبال[1]. وينطبق ذلك على ما فعله عـــلاء الدين السنجاري علي بن إسماعيل (ت735هـــ/1335م)[2]، الذي أوقف دار القرآن التي ببـــاب الناطفيين[3].

ويبدو أن أكثر الأوقاف كانت تلك المتعلقة بقراءة الأسباع، إذ تعددت، وكثر واقفوهـــا، وخصص لها ديوان اسمه ديوان السبع الكبير، يدفع منه على حلقات الجامع المختلفة التي بلغت 120 حلقة في أواخر القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) على حد رواية ابن شـــداد، وشمل ذلك قرّاء الكوثرية، وحلقات الحديث الشريف[4]. وذكر ابن بطوطة إبان زيارته الجـــامع في القرن (الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)، أن قراء السبع فيه كانت لهم رواتب معينة، يدور كاتب الغيبة على مستحقيها، فيضبط أسماءهم ويسجلها، وحصر عددهم بـــ 600 شخص، وكان إذا غاب أحدهم يخصم من راتبه على عدد الأيام التي غابها[5].

ووقف كلّ محراب من محاريب الجامع الثلاث: الصحابة والحنفية والحنابلة على مدرس وجماعة من الفقهاء الخاصين بكل مذهب[6]. وخصّص وقف للإنفاق على الطلاب ومدرســيهم، المتواجدين في الجامع من المذاهب كافّة، إذ كان يُدفع لهم راتب شهري محدّد، فكـــان الطالـــب يأخذ عشرة دراهم، والمعيد وكاتب الغيبة عشرين درهماً. أمّا المدرّس، فراتبه ثمانون درهماً[7]. وذكر النعيمي من أوقاف الجامع قيسارية الصاغة وقيساريتين بجانبها أجّرتا للصـــاغة وتجّـــار الذهب والجواهر في دمشق[8]. وتحدث ابن بطوطة عن وقف ملكي قديم، استمر إلـــى العصـــر

---

[1] المقريزي، آثار البلاد، ص191.

[2] علي بن إسماعيل بن محمود السنجاري. كان تاجراً خيّراً ديّناً، له مواعيد حديث. تـــوفي ســـنة (735هـــ/1335م). النعيمي، الدارس، ج1، ص11.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص180.

[4] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ج2، ص82، 85.

[5] ابن بطوطة، الرحلة، ص84.

[6] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص252.

[7] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص321.

[8] النعيمي، الدارس، ج2، ص297.

المملوكي الأول، أوقفه أحد الملوك السابقين على الملتزمين في الجانب الشرقي في الجامع، رغبة في الأجر والثواب، وكان يزيد على الألف وأربعمائة دينار، دون تحديد زمني لهذا المبلغ[1].

وهناك أوقاف غير مالية وضعها كثير من الناس غايتها الأجر والثواب، ومنها خزائن الكتب التي انتشرت في أماكن مختلفة في الجامع الأموي[2]. ومنها على سبيل المثال ما جاء في ترجمة الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم (ت655هـ/1257م)، وضع "أكثر كتبه ومجاميعه التي كتبها بخطه أوقفها في الخزانة الفاضلية"[3]، ووقف علاء الدين الوداعي الكندي (716هـ/1316م) تذكرته على السميساطية، وهي خمسون مجلداً[4]، وأوقف الشيخ علم الدين البرزالي (ت739هـ/1339م)، الذي أوقف دار كتبه بدار الحديث القوصية[5]، ووقف الأمير شيخو الفارابي الناصري الساقي(ت752هـ/1351)، أحد أمراء مصر والشام في وقته كتباً بخطه على الجامع الأموي[6].

ب- نظّار الجامع

وظيفة نظارة الجامع من أكثر الوظائف أهمية في الجامع الأموي، لما لمتوليها من مسؤوليات كبيرة منوطة به، منها المالية والإدارية، والإشراف على كلّ ما يحتاج إليه الجامع من إصلاحات وترميمات وإعمار وتجديد وغير ذلك، هذا فضلاً عن تحديده أجور القائمين على شؤون الجامع وأوقافها وتنميتها وزيادتها وأجورها[7]. وكانت وظيفة ناظر الجامع في العصر

---

(1) ابن بطوطة، الرحلة، ص98-99.

(2) انظر تفصيل ذلك الدروبي، سمير، خزائن الكتب في الجامع الأموي، ضمن كتاب مؤتمر الأوقاف في بلاد الشام، ص 3-14. وانظر النعيمي، الدارس، ج1، ص62، 89-90، ج2، ص 307، الحصني، منتخبات التواريخ، ج2، ص483-448.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص210.

(4) الكتبي، فوات الوفيات،ج3، ص99، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص574 الوافي بالوفيات، ج22، ص199، عبد الرحيم، رائد، علاء الدين الوداعي الكندي حياته وشعره وما بقي من ديوانه، ص40.

(5) المصدر نفسه، ج14، ص196.

(6) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص115.

(7) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص198، معن، مقابلة، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص22.

المملوكي مرتبطة مباشرة بنائب السلطنة بدمشق[1]، ثم أصبحت لاحقاً تُعطى لقاضي القضاة الشافعي[2]. وحظي النظّار بمكانة مرموقة يومذاك، ويؤكد ذلك الألقاب التي كانوا يخاطبون بها في مراسلاتهم، إذ كانت تُفتتح بـ" المجلس السامي"[3].

ويتضح من المصادر التاريخية أن الذين كانوا يتولون هذا المنصب كانوا من مناطق متفرقة، ولم يقتصر الأمر على دمشق وحدها أو الشام، فمنهم المقدسي، والبعلبكي، والمصري، والبغدادي، والشيرازي[4]، وغيرهم. ويستشف من تراجم النظّار أن هناك شروطاً معيّنة كان لا بد من توفرها فيمن يتولى هذا المنصب المهم في الجامع والدولة، ومنها معرفتهم ودرايتهم بالكتابة، واهتمامهم بالعلم، فضلاً عن الفصاحة والبلاغة، حتى وُسِمَ بعضهم بالعلاّمة وبجمال الإسلام لعلمه وغزارته[5]، ومن ذلك ما جاء في ترجمة الحسين بن محمد بن عدنان المعروف بابن أبي الحقّ (ت708هـ/1308م)، "فكان كاتباً فاضلاً"[6]، "وعارفاً بليغاً فصيحاً"[7]، وجاء في ترجمة الناظر محمد بن عثمان بن يوسف الآمدي المعروف بابن الحدّاد(ت724هـ/1324م) "تفقّه وحفظ وتميّز في الكتابة"[8]. وقيل في الناظر كمال الدين ابن الشريشي (ت 718هـ/1318م): " كان خبيراً في الكتابة، قرأ بنفسه الكتب الكبار، وحصّل علوماً كثيرة"[9].

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص198، دهمان، محمد، ولاة دمشق، ص31.

[2] دهمان، محمد، ولاة دمشق، ص31.

[3] التميمي، كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ص194، 200.

[4] انظر النويري، نهاية الأرب، ج31، ص57، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص94-95، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج3، ص434، ص457، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص269، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص89، ج10، ص237، ج15، ص66، أعيان العصر، ج4، ص561-562، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص65، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص119.

[5] الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص586-587، تاريخ الإسلام، ج51، ص825، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص224.

[6] الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص288-289، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص39.

[7] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص39.

[8] الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص561-562، الوافي بالوفيات، ج4، ص89، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص119، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص29، المقريزي، المقفى الكبير، ج6، ص221-222.

[9] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص29-30، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص209، 210، النعيمي، الدارس، ج2، ص25-26.

واشترط في الناظر أن يكون ديّناً، على درجة من التقوى والعفاف، وذلك لارتباط عمله بالأمور المالية ومصالح العباد، ولذا تكرّرت هذه الصفات في تراجم كثير منهم في مصادر العصر المملوكي الأول[1]. ومن صفاتهم التي ينبغي توافرها الأمانة، وقوّة الشخصيّة، وجلالة القدر، وهي سمات تضمن له الهيبة بين الناس والموظفين والقبول لديهم، ورد في ترجمة الناظر العلامة جمال الإسلام محمد بن يعقوب بن إبراهيم الأسدي الحنفي المعروف بابن النحاس (ت695هـ/1296م) بأنه كان "صدراً، معظّماً، مهيباً، جليلاً"[2]، ووصف الناظر شمس الدين عبد القادر بن الخطيري (ت716هـ/1315م) أنّه " كان صيّناً أميناً وافر الجلالة"[3]. وقيل في الناظر محمد بن محمد بن عمر الأزدي، أمين الدين (ت702هـ/1302م) بأنه كان "مشهوراً بالأمانة والعفّة والهمّة العالية"[4]. وهناك صفات أخرى تضمنتها ترجمة نظار الجامع، وهي الذكاء والحشمة، والمروءة، وحسن الهيئة، والعدل، والتودد، والتواضع، والكفاءة في العمل، والقدرة على التصرّف فيه ومباشرته، وتتجلى هذه الصفات في ترجمة الناظر فخر الدين بن محيي الدين بن الزكي (ت699هـ/1300م)، وترجمة الناظر عز الدين بن شمس الدين محمد بن أحمد بن منجا التنوخي (ت746هـ/1345م)، وترجمة، وغيرهما[5].

ويتضح من بعض المصادر التاريخية أن وظيفة الناظر كثيراً ما ارتبطت بنظر البيمارستان ونظر الحسبة والأوقاف، وممّن تولى هذه الوظائف جميعها محمد بن عثمان بن يوسف المعروف بابن الحداد (ت 724هـ/1324م)، وفي ترجمة غيره[6]. ومن الجدير ذكره في

---

[1] انظر الذهبي، العبر، ج4، ص43، تاريخ الإسلام، ج50، ص269، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص122، النعيمي، الدارس، ج1، ص13.

[2] الذهبي، العبر، ج4، ص43، الصفدي، الوافي بالوفيات، أعيان العصر، ج3، ص122.

[3] الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص586-587، تاريخ الإسلام، ج51، ص825، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص224.

[4] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص127.

[5] انظر الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص917، الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص261-262، الوافي بالوفيات، ج2، ص152، النعيمي، الدارس، ج2، ص58.

[6] الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص561-562، الوافي بالوفيات، ج4، ص89، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص119.

في هذا المقام أن للناظر نواباً كانت لهم وظائف محددة، ينوبون فيها عنه، ويساعدونه في إنجاز مهمات الجامع المختلفة، وقد ذكرت المصادر التاريخية أسماء عدد منهم.

وقد استطاع البحث أن يحصي أسماء عدد كبير من الشخصيات التي تولّت نظر الجامع الأموي، أو نيابة النظر، ويمكن عرضها في الجدول الآتي حسب سنة وفياتهم:

اسم الناظر	نبذة عن حياته	مصادر الترجمة
صدر الدين، أسعد بن المنجا ابن بركات بن مؤمل، التنوخي المغربي الدمشقي الحنبلي	وصف بأنه صاحب مروءة واحتشام، وكان غنيّاً، له صدقات كثيرة، أتقن عمله، فنال مكافأة الحكام، وأوقف مدرسة للحنابلة، والمدرسة الصدرية، وكان ذا معرفة بالكيمياء، تولى نظر الجامع الأموي، توفي سنة (657هـ/1259م)	ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص229، ابن رجب، طبقات الحنابلة، ج2، ص268، العيني، عقد الجمان، ج1، ص225-226، النعيمي، الدارس، ج2، ص67-68
نجم الدين بن مظفر بن محمد ابن الياس الأنصاري الدمشقي المعروف بابن الشيرجي	كان عالماً جليلاً، سمع الحديث وحدث، ودرّس، ونظر الجامع، (ت657هـ/1259م)	ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص289
بهاء الدين عبد الله بن الحسن ابن إسماعيل بن محبوب المعري الأصل البعلبكي.	كان صدراً جليلاً، ديّناً خيّراً، اشتهر بالكتابة والأمانة، حدّث بما سمع، ولي نظر الجامع والبيمارستان والأسرى، (ت677هـ/1278م)	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص269، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص66
جمال الدين، أبو بكر ابن عبد الله بن مسعود اليزدي البغدادي.	أقام في دمشق، وكان تاجراً، ولي نظر الجامع الأموي، وصار شيخاً للشيوخ، وفي أثناء عمله رخّم الحائط الشمالي، وأصلح الكثير من الأماكن المتشعثة فيه. (ت677هـ/1278م).	اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج3، ص434، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص237، الكتبي، عيون التواريخ، ج21، ص216، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص119.

ناصر الدين محمد بن شمس الدين عبد الرحمن بن بدر المقدسي الشافعي.	تولى العديد من الوظائف، منها نظر الجامع والبيمارستان والأوقاف. أصلح مساطب الشهود والجسر الذي بباب الفراديس في أثناء عمله في النظر. (ت687هـ/1288م).	النويري، نهاية الأرب، ج31، ص157-158، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص65.
شمس الدين أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان.	تولى نظر الجامع والأوقاف والبيمارستان سنة (660هـ/1262م)، ودرّس بعدة مدارس منها العادلية والناصرية، توفي سنة (681هـ/1282م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص253، العيني، عقد الجمان، ج1، ص313-314.
أبو عبد الله، محمد بن يعقوب ابن إبراهيم بن هبة الله بن طارق بن أبي البركات بن محمد، الأسدي الحلبي الحنفي ابن النحاس.	ولد بحلب سنة (614هـ/1217م)، قرأ القرآن، وسمع الحديث، ولي قضاء حلب، وتفوق في المذهب الحنفي، ولمّا ذهب إلى دمشق، تولى نظر الجامع والخزانة ثم الوزارة، وصف بسعة علمه، إذ كان جليلاً علامة، إماماً، فقيهاً، محققاً، ذكياً. درّس بعدة مدارس. (ت695هـ/1296م)	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص586-587، تاريخ الإسلام، ج51، ص825، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص224.
شهاب الدين، أحمد بن عثمان ابن أبي الرجاء ابن السلعوس التنوخي الدمشقي.	سمع الحديث، وولي نظر الجامع أيام وزارة أخيه شمس الدين بن السلعوس، ونال الوجاهة التي زالت عنه عقب مقتل أخيه. (ت697هـ/1298م).	الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص283-284.

مؤيد الدين، أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن الخطيب، يحيى ابن عبد الرازق بن يحيى، الزبيدي المقدسي الدمشقي.	كان عدلاً، ديّناً، متوداً، متواضعا، ناب في نظر الجامع، وتولى مخزن الأيتام، (ت699هـ/1299م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص919.
عز الدين، أبو محمد عبد العزيز بن يحيى بن محمد، عماد الدين بن محيي الدين ابن الزكي قاضي القضاة، القرشي الدمشقي الشافعي.	ولد سنة (654هـ/1256م)، كان صدراً رئيساً محتشماً، تولى القضاء، ونظر الجامع، ودرّس وأفتى، وتصدّر في المجالس،(ت699هـ/ 1299م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص337، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص917، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص107، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص323،ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص230.
زين الدين، حسين بن محمد ابن عدنان.	لم تقدم المصادر معلومات كافية عنه سوى أنه تولى النظر سنة (693هـ/ 1294م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص355.
محيي الدين بن الموصلي.	لم تقدم المصادر معلومات كافية عنه سوى أنه كان ناظراً للجامع بين سنوات(694هـ/1295م- 696هـ/1297م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص329، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص690.
ناصرالدين بن عبد السلام.	تولى النظر سنة (698هـ/1299م)، وجدّد وأضاف في مشهد عثمان، رضي الله عنه.	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص442، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص5.
وجيه الدين بن المنجا.	سمع الحديث، وكان صدراً ديّنا، غنيّا، عمل ناظراً للجامع متبرعاً، وحين باشره، وأثمر وقفه اشترى له ثلث قرية المنيحة بمائة وخمسين ألف درهم. (ت701هـ/1301م).	العيني، عقد الجمان، ج3، ص38، النعيمي، الدارس، ج1، ص13-14.

أمين الدين، محمد بن محمد ابن عمر بن هلال الأزدي.	سمع صحيح مسلم وغيره، وحدّث بما سمع، كان صدراً نبيلاً عفيفاً، أميناً كفؤاً، صاحب همّة عالية، تولى نظر الديوان الكبير في الجامع والخزانة، (ت702هـ/1302م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص.127
زين الدين، الحسين بن محمد ابن عدنان الحسيني ابن أبي الجن.	اشتهر بالفضل والكتابة والفصاحة والبلاغة، ولي عدة مهام منها نقابة الإشراف في دمشق، ثم نظر الجامع الأموي مدة 5 أشهر، (ت708هـ/1308م).	الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص288-289، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص49، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص39.
جمال الدين يوسف، شمس الدين محمد، بن الشيخ قاضي القضاة صدر الدين الحنفي.	تولى نظر الجامع الأموي، (ت711هـ/1311م).	البرزالي، الوفيات، ص138
كمال الدين، محمد بن أحمد ابن محمد بن سلمان البكري الوائلي الشريشي.	سمع الحديث، ورحل في طلبه، وقرأ بنفسه كتباً كثيرة، وحصّل العلوم، كان شافعياً، اشتغل بالمذهب، ودرّس، وناب في القضاء، ونظر الجامع الأموي غير مرّة، اتسم بحسن سيرته،وقدرته على النظم والنثر، اختلف في سنة وفاته فقيل: سنة (716هـ/1316م، أو 718هـ/1317م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص29-30، 94، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص209-211، النعيمي، الدارس، ج1، 25-26.
شمس الدين، عبد القادر بن يوسف بن مظفر بن الخطيري الدمشقي.	ولد سنة(635هـ/1238م)، حدّث، وأجيز له، وكان ديّناً صيّناً وامیناً، ولي نظر الجامع والخزانة. (ت716هـ/1316م).	الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج4، ص43، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص121-122، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص339.

شرف الدين، محمد بن عبد الرحمن ابن القاضي أمين الدين سالم بن الحافظ، بهاء الدين أبو المواهب الحسن ابن هبة الله ابن محفوظ بن صَصْري التغلبي الدمشقي.	كان صدراً رئيساً، له مكانته في الدولة، عرف بكفاءته، وهمّته العالية، سمع الحديث، وتولى نظر الجامع سنة (712هـ/1312م)، وتوفي سنة (717هـ/1317م).	الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص499-500.
فخر الدين بن عبد العزيز بن أحمد بن الحسين ابن شيخ السلامية.	ذكرت المصادر أنه تولى النظر سنة (713هـ/ 1313م).	البرزالي، الوفيات، ص210، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج4، ص36.
بدر الدين، محمد بن عثمان ابن يوسف، أبو عبد الله الآمدي المصري الحنبلي المعروف بابن الحداد	كان قاضياً، صدراً رئيساً، سمع الحديث وحدّث، وتفقّه وحفظ وتميّز بالكتابة. تولى نظر البيمارستان النوري والحسبة والجامع سنة (715هـ/1315م)، توفي سنة (724هـ/1324م).	الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص651-652، الوافي بالوفيات، ج4، ص89، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص119، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص29، المقريزي، المقفى الكبير، ج6، ص221-222.
جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن القاضي شمس الدين محمد بن قاضي القضاة صدر الدين بن الربيع سليمان ابن أبي العز بن وهيب بن عطا بن جبير ابن جابر ابن وهيب الحوساني الأذرعي الحنفي.	ولد سنة(651هـ/1254م)، كان صدراً كبيراً رئيساً، وسمع الحديث وحدّث، اتصف بالكرم وكثرة الإنفاق، (ت728هـ/1328م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص285، الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص669، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص289-290.
شمس الدين بن غبريال، عبد الله بن الضبيعة المصري.	كان متسلّطا ظريفاً، ولي نظر الجامع والأوقاف والأسرى سنة (710هـ/1310م)، وتوفي سنة (734هـ/1334م).	الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص683-684، الوافي بالوفيات، ج12، ص106.

عز الدين أبو عبد الله محمد ابن احمد بن الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي الحنبلي.	كان فاضلاً من الأعيان، عرف بكرمه ومروءته وحشمته وذكائه سمع الحديث، ودرّس بدمشق، وتولى نظر الجامع الأموي، فجدّد فيه ورخّم وزخرف، وثمّر وقف الجامع، وأكمل عمارة المأذنة الشرقية. (ت746هـ/ 1346م).	الرافعي، الوفيات، ج2، ص11-12، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص39، الحسيني، ذيل العبر، ج4، ص98، الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص261-262، الوافي بالوفيات، ج2، ص152، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص235، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص217.
علاء الدين، أبو الحسن علي ابن يحيي بن محمد بن محمد ابن عبد الرحمن السلمي الحنفي ابن حمال الدين ابن الفويرة.	تولى الإشراف على الديوان في الجامع الأموي سنة (742هـ/1341م)، توفي سنة (754هـ/1353م).	الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص577-579.
عماد الدين، محمد بن أحمد ابن محمد بن هبة الله بن محمد بن حُميل بن الشيرازي الدمشقي.	سمع الحديث، وكان من أعيان دمشق صدراً رئيساً، قيل: إنه تولى نظر الجامع سنة (694هـ/1295م)، وقيل: سنة (731هـ/1331م)، وقد عمّر في الجامع ما يجلب للناس المسرة على حد تعبير الصفدي. توفي سنة (749هـ/1348م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص94-95، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص457، الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص256-257، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص358، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص222، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص30.
تقي الدين، سليمان بن علي ابن عبد الرحيم بن مراجل الدمشقي المعروف بابن مراجل أو بابن مراحل.	كان صاحباً رئيساً أميناً ديّناً حسن السيرة، سمع الحديث، واهتم بالكتابة، تولى نظر الجامع، فعمّر الجامع وأصلح جهاته، تنقل في عدة مناصب ثم عاد إلى نظر الجامع، (ت764هـ/1363م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص78، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص319، ابن العراقي، الذيل على العبر، ج1، ص139-140، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص94،

عماد الدين التاجر، أبو بكر ابن محمد بن أحمد بن محمد ابن الكُميت الحراني.	ولد سنة (677هـ/1278م)، كان جواداً حسن السيرة، سمع الحديث، واعتنى بالكتابة، ولي نظر الجامع والأوقاف. توفي (770هـ/1368م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص268.
أمين الدين، محمد بن إبراهيم ابن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن إبراهيم الدمشقي ابن القاضي برهان الدين المشهور بابن عبد الحق الحنفي، ويعرف بابن قاضي الحصن.	كان من الأعيان، اشتغل ودرّس بعدة مدارس، ولي الحسبة ونظر الجامع، توفي بمرض الطاعون سنة (776هـ/1374م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص125، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص243.
علاء الدين بن شمنوح، علي ابن عثمان بن أحمد بن عمر ابن أحمد بن هرماس البعلي الزرعي الدمشقي.	أحد رؤساء دمشق وأعيانها، ولد سنة (691هـ/1292م)، درّس بعدة مدارس، وتولى القضاء ووكالة بيت المال في دمشق، ثم نظر الجامع. (ت776هـ/1374م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص48-49.
فخر الدين، إبراهيم بن إسحاق ابن يحيى الدمشقي.	ولد بدمشق سنة (695هـ/1296م)، كان حسن السيرة، مهيباً عند الناس، سمع الحديث، وحدّث بمصر، تولى في دمشق نظر الجامع ولأوقاف والأيتام.(ت778هـ/1476م).	ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص200-201.

ت- المُؤذّنون

تحدثت المصادر التاريخية بصورة عامة عن مؤذني الجامع الأموي، وتناولت في ثنايا تراجمهم بعض المعلومات المهمة التي يمكن من خلالها بناء بعض الأفكار المتعلقة بهذه الوظيفة

المهمة، وما يتعلّق بها. وأوّل هذه المعلومات التي تشير إليها المصادر أن عدد المؤذنين في الجامع الأموي كان كبيراً، إلا أنه ليس هناك ضبط محدد لهم، فكل مؤرخ كان يدلي بدلوه في الموضوع، فهذا ابن بطوطة ذكر أنه حين زار دمشق وجامعها في الثلث الأول من (القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) كان عدد المؤذنين في الجامع 70 مؤذناً[1]، وحدّد ابن كثير عددهم سنة(751هـ/1350م) بثلاثين مؤذناً وأكثر[2]. ويرجع هذا العدد الكبير للمؤذنين إلى تعدد المذاهب وأئمتها في الجامع الأموي، فكان هناك مؤذن أو أكثر خاص بكل مذهب منها، فضلاً عن وجود المدارس التي كان لكل منها أيضاً مؤذن وربّما أكثر. ولهذا كانت هناك حاجة إلى هيئة مسؤولة عن هؤلاء المؤذنين لتنظيم شؤونهم وأعمالهم ورواتبهم وكل ما يتعلق بهم، فبرز منصب ما عرف برئيس المؤذنين أو كبيرهم، وقد ترجمت المصادر المختلفة لعدد منهم.

ويستشف من تراجم المؤذنين ورؤسائهم أن هناك صفات أساسية ينبغي أن يتحلى بها المؤذن، وكان في مقدمتها التقوى والورع، وحسن الصوت وطول النفس في الأذان، ولذا تكرّر ورود هذه الصفات في أغلب المؤذنين، ومنهم رئيس المؤذنين في وقته النصير بن تمام بن معالي (ت670هـ/1227م)[3]، ورئيس المؤذنين بدر الدين محمد بن صبيح بن عبد الله (ت725هـ/1325م)، الذي وصف "بحسن الصوت في القراءة والأذان"[4]، ووصف رئيس المؤذنين الشيخ حسن بن عبد الله الكناني (ت779هـ/1377م) بأنه "طويل النفس وحسن الصوت"[5]. وأضيف إلى الصفة السابقة جمال الهيئة وحسن الشكل، فكان بعض المؤذنين ورؤسائهم يتحلون بهذه الميزة كما ورد في ترجمة كبير المؤذنين الشيخ نجم الدين أيوب بن سليمان بن مظفر (ت709هـ/1309م)[6]، والمؤذن أبي عبد الله محمد بن سعيد بن فلاح بن أبي أبي الوحش الدمشقي (ت752هـ/1351م)[7]. وعرف عن بعض المؤذنين معرفته وخبرته بعلم

---

[1] ابن بطوطة، الرحلة، ص84.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص246.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص320.

[4] الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص474، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص125.

[5] ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص249.

[6] الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص637، الوافي بالوفيات، ج10، ص47، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص58.

[7] ابن رافع، الوفيات، ج2، ص148.

الوقت، ويبدو أن هذا كان ضرورياً في هذه المهنة، لارتباطها بأوقات الأذان والتغيرات التي تطرأ عليها خلال السنة، ومن المؤذنين الذين عرفوا بهذه الميزة الشيخ شرف الدين عيسى بن علي أبو الفضل الأندلسي الدمشقي (ت734هـ/1334م)[1]، والمؤذن ناصر الدين محمّد بن الحسام اليونيني (ت739هـ/1339م)[2]. ووجد من المؤذنين من اشتهر بفصاحته، ومعرفته الكتابة والنظم والنثر، ومنهم أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم شهاب الدين بن غانم الفقيه المقدسي (ت735هـ/1335م)، الذي قيل فيه: "كان أديباً فاضلاً، له نظم ونثر، مليح الكتابة"[3]. وكان بعض المؤذنين صوفياً مجاوراً في الجامع، واتّصف بورعه وتقواه وصلاحه، مثل الشيخ فتح الله يحيى ابن الشيخ زين الدين الفارقي (ت763هـ/1362م)[4].

ويتضح من بعض المصادر أن منصب المؤذنين كان وراثياً، يمتهنه لاحق عن سابق، وهذا ما يبدو في ترجمة عدد من المؤذنين، ومنهم الواني أبو عمرو عثمان بن عمر الحرستاني (ت749هـ/1348م)، الذي كان رئيس المؤذنين، ثم ورث منصبه ابنه أبو الحسن علي بن عثمان (ت770هـ/1369م)[5]. ويتضح من تراجم بعض المؤذنين مثل الواني وغيره أنهم كانوا كانوا علماء أو متبحرين في علوم الدين وبخاصة علمي الحديث والقرآن، وأن بعضهم كان يتصدّر للتدريس فيها، فتخرج عليهم عدد من الطلاب، واستمع إليهم علماء كبار، مثل الذهبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية[6]. وتنبئ المصادر عن أن أغلب المؤذنين كانوا من أهل دمشق نفسها أو من أهل الشام الذين جاءوا إليها وأقاموا فيها، ولذا عرف بعضهم بالعجلوني والبعلبكي والمقدسي وغير ذلك.

وأشارت بعض المصادر إلى أن بعض المؤذنين ورؤساءهم كانوا يرتدون الملابس السوداء في يوم الجمع بخاصة، وكانوا يمشون أمام الخطيب، وعلى ما يبدو أن هذا كان تقليداً

---

[1] الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص718.

[2] ابن رافع، الوفيات، ج1، ص265.

[3] الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص174.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص307.

[5] ابن رافع، الوفيات، ج2، ص67، ص307.

[6] سيأتي الحديث عن ذلك في جدول تراجمهم.

متبعاً يومذاك في صلاة الجمع، لإضفاء بعض المهابة الدينية عليها، وعلى خطيب الجامع الأموي، وهذا ما ورد صراحة في ترجمة رئيسي المؤذنين أيوب بن سليمان بن مظفر نجم الدين النجيبي (ت 709هـ/1309م)[1]، ومحمد صبيح بن عبد الله بدر الدين التفليسي (ت725هـ/1325م)[2].

لم تتحدث المصادر التاريخية عن كيفية الأذان في الجامع الأموي، وماذا كان يُقال فيه، ولكن واضح أنها كانت على الصيغة المعروفة عند أهل السنة والجماعة، ولكن يتضح من بعضها أن المؤذن كان يصعد المنارة الشرقية للجامع، ويكون الأذان عليها، وربما استخدموا الجوق التي كانت مستخدمة منذ العصر الأموي، إلا أن ابن كثير يشير في حوادث سنة (751هـ/1350م) إلى أن هناك سدّة خاصة بالأذان، كان يجتمع عليها المؤذنون ليصدحوا بأذانهم[3]، ويبدو أنه كان لها ترتيب خاص، ومكان خاص لكل مؤذن متوزعين عليها، كي يغطي صوتهم جهات الجامع المختلفة، فيصل الأذان إلى كل جهة من جهاته وإلى المناطق المحيطة به، وهذا الأمر يشير إلى تطوّر حدث على مكان الأذان بالجامع حلاّ لمشكلات كان تعترضه يومذاك.

وقد استقرأت الدراسة أسماء عدد من المؤذنين أو رؤسائهم. فمن **الرؤساء** الذين استقرأتهم الدراسة:

أسماء رؤساء المؤذنين	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
النصير بن تمام بن معالي أبو الذكر المقدسي.	ولد سنة (587هـ/1191م)، عرف بحسن صوته، وملاحة شكله، سمع الحديث وحدّث، تولى منصب رئاسة المؤذنين في الجامع الأموي. توفي سنة 670هـ/1272م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص320.

[1] الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص673، الوافي بالوفيات، ج10، ص47.

[2] الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص475، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص125، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص287.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص245-246.

محمد الشمس المحمدي.	كان رئيس المؤذنين في الجامع، وتوفي سنة (690هـ/1291م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص674.
نجم الدين، أيوب بن سليمان بن مظفر النجيبي.	كان شيخاً مقرئاً معمّرا، ولي رئاسة المؤذنين، واستمر في عمله نحو 50 سنة، وصف بحسن صوته، وحسن شكله، توفي سنة (709هـ/1309م).	الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص673، الوافي بالوفيات، ج10، ص47، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص58.
شهاب الدين أبو العباس احمد بن محمد بن أبي المكارم بن نصر بن الأصفهاني.	ولد سنة (630هـ/1233م)، سمع الحديث وحدّث، وتولى غير وظيفة في الجامع الأموي منها أنه كان شاهداً تحت باب الساعات، وعيّن مؤذناً سنة (645هـ/1247م)، ثم مؤقتاً ورئيساً للمؤذنين، وكان مهتماً بعمله، مواظباً عليه. توفي سنة (709هـ/1309م).	البرزالي، الوفيات، ص70، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص59.
بدر الدين، محمد بن صبيح بن عبد الله المعروف بالتفليسي، وقيل: بدر الدين الكرخي.	ولد سنة (652هـ/1254م)، سمع الحديث وحدّث، وقرأ القرآن، صاحب صوت حسن في القراءة والأذان والتسبيح، عيّن مشرفاً على الجامع الأموي، ورئيساً للمؤذنين، وكان يقرأ في المصحف على الكرسي عقب صلاة الصبح. توفي سنة (725هـ/1325م).	الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص474-475، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص125، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص287.
علاء الدين أبو الحسن المعروف بابن الشاطر.	ولد بدمشق سنة (705هـ/1306م)، كان رئيس المؤذنين بالجامع، واشتهر بعلم الفلك، وكان له اسطرلاب لذلك، ومن مؤلفاته الأشعة اللامعة. توفي سنة (705هـ/1306م).	النعيمي، الدارس، ج2، ص298-299، ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق1 ص408-409.

عز الدين محمد بن الشيخ شمس الدين محمد ابن آدم بن إبراهيم الدربندي.	وصف بالخير والصلاح، له نظم ونثر، كان من أعيان المؤذنين في الجامع، وناب في رئاسة المؤذنين مدة سنتين. توفي سنة (734هـ/1334م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص741-742.
بدر الدين حسين البكري.	كان من أعيان المؤذنين في الجامع، يمتلك صوتاً حسناً، ويقرأ قراءة حسنة، توفي في دمشق سنة (734هـ/1334م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص733.
شمس الدين محمد بن خالد.	كان شيخاً صالحاً خيّراً، من أعيان المؤذنين في الجامع، وصاحب صوت حسن، ومعرفة بالوقت. توفي سنة (734هـ/1334م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ص701.
برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد الواني الدمشقي.	وصف بوقاره وهيبته وحسن ديانته ومحبة الناس له، سمع الحديث وحدّث، وخرّجت له أحاديث، وكان كبير المؤذنين في الجامع الأموي، توفي سنة (735هـ/1335م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص784-785،الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص120، الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص123-124، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص180، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج11، ص38-39، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص109.
محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الواني ابن الشيخ برهان الدين.	حصل علم الأصول وحدّث في مصر ودمشق وغيرهما، تولى رئاسة المؤذنين في الجامع الأموي توفي سنة (735هـ/1335م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص21-22، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص180.

أبو عبد الله محمد بن سعيد بن فلاح بن أبي الوحش النابلسي الدمشقي.	عرف بحس الصوت والهيئة، وكان رئيساً للمؤذنين في الجامع. توفي سنة (752هـ/1351م).	ابن رافع، الوفيات، ص148.
شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ محمد ابن مسالم الماكسيني الدمشقي.	ولد سنة (682/1283م)، سمع الحديث، وأقرأ القرآن في الجامع، وتولى رئاسة المؤذنين، توفي سنة (767هـ/1369م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص309، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص211-212.
فخر الدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن عثمان الحرستاني الدمشقي.	ولد سنة (668هـ/1270م)، سمح الحديث وحدّث، وحفظ كتاب التنبيه ودرّس، وصف بحسن الدين والسيرة والصوت. أذّن مدة في الجامع الأموي، توفي سنة (749هـ/1348م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص67-68، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص50.
أبو الحسن علي بن عثمان بن عمر الدمشقي الحرستاني.	سمع الحديث، وحدّث كان رئيساً للمؤذنين، حسن الصوت. توفي سنة (770هـ/1369م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص340، ابن العراقي، الذيل على العبر، ج1، ص282.
حسن بن عبد الله الكناني.	كان حسن الصوت، وطول النفس، تولى رئاسة المؤذنين، توفي سنة (779هـ/1377م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص249.

أما المؤذنون، فهم

اسم المؤذن	نبذة عن حياته	مصادر الترجمة
أبو بكر محمد بن علي ابن المظفر بن القاسم النشبي.	ولد سنة (591هـ/1195م)، سمع الحديث، وروي عنه، وكان يقرأ القرآن على الجنائز، وكان مؤذناً في الجامع الأموي. توفي سنة (670هـ/1272م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص315.

الصفي، لم يذكر المؤرخون سوى نسبه هذا.	عمل مؤذناً في الجامع مدة 60 سنة،كان شيخاً صالحاً معمّراً. توفي سنة (673هـ/1274م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص131.
أبو عبد الله محمد بن سالم ابن أبي الوفاء النابلسي.	سمع الحديث، وعمل مؤذناً في الجامع. توفي سنة (695هـ/1296م).	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص497.
النورس النحاس إبراهيم.	عمل مؤذناً في الجامع الأموي، توفي سنة (699هـ/1300م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص942.
شمس الدين محمد بن النحاس.	عمل مؤذناً بالمدرسة الباذرائية، كان رجلا خيّراً وعارفاً بالتوقيت. توفي سنة (709هـ/1309م).	البرزالي، الوفيات، ص62.
الكمال، أحمد بن خلف.	كان شيخاً ديّناً معمّراً لم يتغيّر عقله، عمل مؤذناً، وقرأ على الجنائز. توفي سنة (699هـ/1300م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص926.
أبو عبادة جمال الدين بن عبد الغني بن منصور ابن عبادة الفقيه الحراني الحنبلي	ولد بحران سنة (634هـ/1237م)، سمع الحديث وحدّث، سمع منه العلماء ومنهم ابن تيمية. عمل مؤذناً في الجامع الأموي. توفي سنة (705هـ/1306م).	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص322
أبو محمد يونس بن أحمد ابن أبي الفقيه الأنصاري الدمشقي الحلبي.	ولد سنة (617هـ/1220م)، كان شيخا معمّراً عدلاً، وسمع الحديث، وعمل مؤذناً في الجامع الأموي. وتوفي سنة 707هـ/1307م.	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص665.
أبو الحسن علي بن الشيخ يونس بن أحمد بن أبي الحسين الأنصاري.	ولد سنة (650هـ/1252م)، سمع الحديث ورواه عمل مؤذناً بالجامع. توفي سنة (729هـ/1329م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص367.
عبد الله ين علي بن أحمد بن إسماعيل	أحد مؤذني الجامع الأموي، وكان رجلاً صالحاً. توفي سنة (711هـ/1311م)	البرزالي، الوفيات، ص146
نور الدين علي المصري.	وصف بأنه خيِّرٌ صالح، عيّن موظفاً في الجامع الأموي. توفي سنة (714هـ/1314م).	البرزالي، الوفيات، ص298.

شمس الدين، محمد بن يونس بن عثمان المعروف بالهدهد.	كان مؤذناً صاحب صوت حسن، يقرأ في الختم. توفي سنة (714هـ/1314م).	البرزالي، الوفيات، ص275.
شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن شرف الدين نصير بن تمام بن معالي الأنصاري الدمشقي.	ولد سنة (634هـ/1237م)، عمل مؤذناً في الجامع مدة طويلة، سمع الحديث وحدّث، كبر وضعف نظره وهو مواظب على وظيفته، واستمر في الصعود إلى المنارة للأذان. توفي سنة (715هـ/1315م).	البرزالي، الوفيات، ص332-333.
الشجاع عبد الرحيم بن قاسم بن إسماعيل الأنصاري الدمشقي المقري.	ولد سنة (640هـ/1242م)، كان مؤذنا في الجامع الأموي، عرف بصلاحه وتقواه، كثير الحج والصلاة، قرأ القرآن على الجنائز. توفي على رأس عمله سنة (714هـ/1314م).	البرزالي، الوفيات، ص474.
زين الدين، أبو بكر بن الشيخ الفقيه نجيب الدين عامر ابن أبي بكر بن شريط الحواري الدمشقي.	ولد سنة (661هـ/1263م)، عمل مؤذناً وإماماً في الجامع الأموي، وفقيها في بعض المدارس. سمع الحديث ورواه. توفي سنة (718هـ/1318م).	البرزالي، الوفيات، ص487.
نجم الدين، أبو محمد نعمون بن محمود بن نعمون بن عزيز ابن الشيخ الصالح غرس الدين الحرّاني الحنبلي.	سمع الحديث وحدّث، كان ديّناً خفيف الروح، له نظم ونثر، عمل مؤذناً في الجامع الأموي. توفي سنة (725هـ/1325).	الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص 523
علي بن أحمد ابن أبي بكر بن عمر بن الشيخ البعلبكي الحداد.	ولد بحلب سنة (655هـ/1257م)، كان حداداً، له شعر ومدائح نبوية، ينشد في المحافل والمدارس. عمل مؤذناً في الجامع الأموي. توفي سنة (726هـ/1326).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص142، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص277.

علي بن نوح ابن أبي الفضل بن وحشي بن عماد.	سمع الحديث وحدّث، عمل مؤذناً في الجامع. توفي سنة (727هـ/1327م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص80.
أبو مسعود إسماعيل بن أبي الفتح بن مسعود، ويسمّى سعد الدين بن إبراهيم العجلوني الصالحي الدّهان.	ولد بعجلون سنة (645هـ/1247م)، وأقام بالصالحية بدمشق. كان شيخاً صالحاً، سمع الحديث وحدّث، عمل مؤذناً في الجامع الأموي، وكان والده قبله مؤذناً في الدولة الأتابكية الزنكية. توفي سنة (729هـ/1232م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص371.
فخر الدين عثمان بن سليم.	كان شيخاً مؤذناً في الجامع. توفي سنة (731هـ/1331م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص505.
شرف الدين، أبو الفضل عيسى بن علي الأندلسي الدمشقي.	كان شيخاً محدثاً فاضلاً، يقرأ الحديث على عامة الناس، عمل في صناعة الحرير مدّة، ثم مؤذناً في الجامع الأموي وكان فصيحاً صاحب صوت جيد، ومعرفة بالمواقيت. توفي سنة (734هـ/1334م).	الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص717-718.
شهاب الدين، أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن سليمان بن حمايل بن علي المقدسي المعروف بابن الفقيه.	سمع وحدّث، وكان مؤذناً في الجامع، وخبيراً بالشروط، أديباً فاضلاً، له نظم ونثر، مليح الكتابة. توفي سنة (735هـ/1335م).	الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص173-174.
علي بن أبي حرم الكويكي البياني.	أحد مؤذني الجامع الأموي، كان رجلاً فاضلاً حسن القراءة والإيراد. توفي سنة (727هـ/1327م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص241.
شمس الدين، محمد بن الشيخ شهاب الدين احمد ابن ركن الدين محمد بن أيوب الكردي الشافعي.	كان فقيهاً بالمدارس، ومؤذناً بالجامع الأموي، تولى عدة وظائف. توفي بالمدرسة البادرائية سنة (737هـ/1337م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص965.

أبو البركات شعبان بن علي بن كامل بن دوْبَل الطائي الحلبي الصالحي المؤدب.	ولد سنة(660هـ/1262م)، سمع الحديث وحدّث، كان شيخاً صيّناً خيراً شديد الصوت، تولى الأذان في الجامع الأموي. توفي سنة (737هـ/1337م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص980-981، ابن رافع، الوفيات، ج1، ص169.
شمس الدين، محمد بن فرج المقري.	كان شيخاً حسن الإقراء، وحسن الأذان. توفي سنة (737هـ/1337م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص1004.
بدر الدين، محمد بن محمد ابن نعمة بن أحمد المقدسي الدمشقي.	ولد سنة (555هـ/1257م)، حصل على إجازات في الحديث النبوي، ورواه، كان صوفياً، حافظاً القرآن الكريم، عمل مؤذناً في الجامع الأموي. توفي سنة (738هـ/1338م).	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص570، ابن رافع، الوفيات، ج1، ص195-196.
ناصر الدين، محمد الحمام آقش اليونيني.	سمع الحديث، وكان يعرف الوقت، مؤذناً في الجامع الأموي. توفي سنة (739هـ/1339م).	ابن رافع، الوفيات، ج1، ص265.
أبو عبد الله محمد بن علي ابن مخلص القزويني الدمشقي.	كان شيخاً، سمع الحديث وحدّث، كان خيّراً صالحاً ذا ديانة، عمل مؤذناً في الجامع الأموي. توفي سنة (743هـ/1342م).	ابن رافع، الوفيات، ج1، ص431-432.
أبو الحسن علي بن عبد الحميد بن أحمد بن علي المنبجي الكناني.	سمع الحديث وحدّث. عمل مؤذناً في الجامع الأموي. توفي سنة (749هـ/1348م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص73.
شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن علي ابن خضر الصهيوني الدمشقي.	سمع الحديث، وكان حافظاً منه، حسن الملقى، شافعي المذهب، مؤذناً في الجامع الأموي. توفي سنة (761هـ/1360م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص230-231.

فتح الله، أبو زكريا يحيى ابن الإمام زين الدين عبد الله بن مروان بن خير الفارقي الدمشقي.	ولد سنة (672هـ/1274م)، كان شيخاً سمع الحديث، وصف بالعبادة والنسك والصلاح والزهد والورع، حج غير مرة، وجاور بمكة، عمل مؤذناً في الجامع الأموي. توفي سنة (764هـ/1363م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص307، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص251-252، ابن العراقي، الذيل على العبر، ج1، ص94-96.
أحمد بن خضر الدمشقي.	من أشهر مؤذني الجامع الأموي. توفي سنة (776هـ/1374م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص79، أنباء الغمر، ج1، ص105.
علي بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم الدربندي الدمشقي.	ولد سنة (688هـ/1289م)، وقيل سنة (690هـ/1291م)، سمع الحديث، وحصل على الإجازات فيه، وكان مؤذناً في الجامع الأموي. توفي سنة (782هـ/1380م).	ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص32-33.
محمد المقدسي المجرد.	احد مؤذني الجامع الأموي، وعرف بحسن صوته. توفي سنة (782هـ/1380م).	ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص40.

ث- الشّهود

كان للجامع الأموي شهود يتبعون المؤسسة القضائية يومذاك، وهذه المؤسسة كانت أقساماً، ولكلّ منها شهودها، الذين يتعاملون معها، ويشهدون على المعاملات المختلفة من زواج وديون وأملاك وغيرها، وكان الشاهد العدل يُعين القاضي في عمله في الحكم، وفضّ المنازعات، وذلك بالإدلاء بشهادته، وبتقديم السجلات الخاصة بالقضية. جاء في ترجمة الشاهد محمد بن محمد العسقلاني الدمشقي (ت730هـ/1330م)، أنه اشتهر بشهادته "وكانت سيرته مشكورة فيها، ويشهد على القضاة"[1].

[1] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص414-415.

ويتضح من تراجم الشهود أنهم كانوا يجلسون للشهادة في موضعين، فمنهم من كان يجلس تحت باب الساعات في الجامع الأموي، وآخرون شهدوا في ديوان الجامع نفسه[1].

ويتضح من المقامتين اللتين أنشأهما الأديبين زين الدين بن الوردي وصلاح الدين الصفدي في حريق سنة (740هـ/1340م)، أنّه كان للشهود دكادك أو مصاطب خاصة يجلسون عليها تحت الساعات، وقد أحرق جزء منه في الحريق[2].

ويبدو أن هؤلاء الشهود كانت لهم صفات خاصة حتى يكونوا مؤهلين لشغل هذا العمل، ويكونوا شهوداً عدلاً، وهي صفات تتردد كثيراً في تراجمهم، ومنها ديانته، وسيرته وسمعته الحسنة بين الناس، وأمانته وتواضعه، وحرصوا على اختيار الشاهد العالم أيضا، وهو ما يتضح في ترجمة الشاهد العدل أحمد بن أبي بكر بن حرز الله شهاب الدين السُّلمي (ت727هـ/1327م)، الذي وصف بانه كان فقيهاً إماماً عالماً، "صاحب أخلاق حسنة متواضعاً فاضلاً"[3]. وسمة العلم والمعرفة وصف بها عدد كبير من شهود الجامع الأموي ما يدل على أنها كانت مهمة في اختيارهم، وجعلهم أمناء على رقاب الناس، فمنهم من كان فقيهاً، وسمع الحديث وتصدّر لتدريسه، والتحدّث به، وبعضهم كان مقرئاً القرآن، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما ورد في ترجمة الشاهد العدل ركن الدين أبي محمد حسين الإربلي "كان رجلاً مباركاً، سمع وحدّث، وكان مقرئاً، وصاحب صوت حسن"[4].

ويبدو من تراجم بعض الشهود أنّ بعض القضاة كان يعترض على تعيينهم كونه قادراً على أداء فرائض الإسلام ولم يؤدها، لأن ذلك كان مدخلاً للقدح في سيرته، ورد في ترجمة الشاهد السيف أبي بكر الإربلي (ت690هـ/1291م) أنه كان غنيّاً، فاعترض القاضي المالكي على تعيينه شاهداً، لأنه لم يحج على قدرته عليه[5].

---

[1] ابن الجزري، تاريخ حواث الزمان، ج2، ص510، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص586، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص178.

[2] ابن الوردي، الديوان، 122، الصفدي، مقامة رشف الرحيق في وصف الحريق، ص105.

[3] الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص195.

[4] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص414-415.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص96.

وخرج بعض الشهود على هذه الصفات، ومنهم الشاعر نور الدين الإسعردي (ت656هـ/1258م)، الذي كان شاعراً خليعاً، وألف كتاب "سلافة الزرجون في الخلاعة والمجون"، ولعل علاقته المميزة بحاكم حلب ودمشق الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز الذي قتله المغول سنة (659هـ/1261م)، كانت وراء تعيينه شاهداً في الجامع الأموي[1].

وكانت معرفة الشاهد بالكتابة من الشروط الضرورية لتوليه هذه المهمة، ذلك أنّ متوليها يحتاج إلى تسجيل الملاحظات والتوقيع على المعاملات، وغير ذلك، ومن هنا عيّن كتاب كبار وشعراء مشهورون، وغيرهم ممن أتقن العربية وعلومها للشهادة في الجامع الأموي. وكثر في تراجم هؤلاء وغيرهم الحديث عن قدرتهم على الكتابة، وتميزهم بالخط الجيد، ومثل هذا ورد في ترجمة الشاهد شمس الدين بن محمد بن زين الدين بن المهذب السروطي (ت734هـ/1334م)[2]، وترجمة الشاهد أحمد بن محمد بن عبد الله بن المهتار (ت735هـ/1335م)[3]. ولهذا كان بعض من عيّنوا في الشهادة يتقنون فنون العربية المختلفة، قادرين على النظم والنثر، ومنهم محمد بن يوسف بن عبد الله الدمشقي، شمس الدين ابن الخياط، الملقّب بالضفدع (ت756هـ/1355م) إذ وسم بفضله في الأدب، وقدرته على نظمه وكتابته، والمواظبة عليه، وله من الشعر الشيء الكثير، وبخاصة التهاني والتعزي[4].

وتكشف بعض المصادر أن مهنة الشهادة كانت متوراثة في بعض الناس، يشغلها لاحق عن سابق من الأسرة ذاتها، وهو ما جاء في ترجمة أبناء المهتار وهم شهاب الدين أحمد، وعلاء الدين علي، وأحمد بن علي[5]. وعلى ما يبدو أن بعض الشهود شغل غير وظيفة في الجامع الأموي، ومنهم أحمد بن أحمد بن أبي المكارم بن نصر بن الأصبهاني، الشيخ شهاب الدين أبو

---

[1] العيني، عقد الجمان، ج1، ص189، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج11، ص36-37..

[2] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان ج3، ص696.

[3] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص180.

[4] المصدر نفسه، ج4، ص184-185.

[5] ستأتي ترجمتهم في جدول الشهود. انظر ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص696، 888، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، 272.

العباس (ت709هـ/1309م)، الذي كان شاهداً ومؤذناً ورئيساً للمؤذنين[1]، ومثله شهاب الدين ابن غانم، توفي سنة (735هـ/1335م)، الذي كان شاهداً ومؤذناً في الجامع.[2]

وقد استطاعت الدراسة رصد أسماء عدد كبير ممن تولوا الشهادة في الجامع الأموي في العصر المملوكي الأول، وهم:

اسم الشاهد	نبذة عن حياته	مصادر الترجمة
النور أبو بكر محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم ابن رستم الإسعردي.	ولد سنة (619هـ/1222م)، كان شاعراً مشهوراً خليعاً، وألف كتاب "الزرجون في الخلاعة والمجون"، وكان من ندماء الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز صاحب حلب، قتل سنة(658هـ/1260م)، توفي الإسعردي سنة (656هـ/1258م).	العيني، عقد الجمان، ج1، ص189، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، المنهل الصافي، ج11، ص36-37.
السيف أبو بكر الإربلي.	وصف بالهيبة وحسن الهيئة والشكل. كان عارفاً بالشهود، يكتب خطّاً مليحاً، يشهد مع القضاة، تحت باب الساعات. توفي سنة (690هـ/1291م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص96.
شهاب الدين ابن المراحل، أحمد بن أبي بكر بن مكي بن عبد الصمد العدل الشافعي. الدمشقي.	كان يشهد تحت باب الساعات، توفي سنة (691هـ/1292م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص722.
جمال الدين، يوسف بن يعقوب بن مهدي الفقيه الغماري المالكي.	كان يحفظ الملخص للقابسي، ويشهد تحت باب الساعات، توفي سنة (691هـ/1292م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص740.
برهان الدين، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرّاوق بن أبي بكر بن رزق الله بن خلف، الرسعني المعروف بابن المحدّث.	ولد سنة (642هـ/1244م)، سمع الحديث، ونظم الشعر، كان يشهد تحت الساعات. توفي سنة (695هـ/1296م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص807-808.

[1] البرزالي، الوفيات، ص70.

[2] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص782.

شمس الدين، أبو محمد، الحسن بن مظفر بن عبد المطلب بن عبد الوهاب بن مناقب بن أحمد الشريف العدب الحسيني المنقذي الدمشقي.	ولد سنة (618هـ/1221م)، روى الحديث، سمع منه كبار علماء الحديث، ومنهم الحافظ الذهبي، وكان يشهد تحت الساعات، توفي سنة (697هـ/ 1298م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص845.
محب الدين، يوسف بن أحمد بن محمد بن عمر المقدسي.	كان فقيهاً، صاحب شهامة وفضل وشجاعة، سمع الحديث، ولم يحدّث، شهد تحت باب الساعات. توفي سنة (698هـ/1299م).	الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص606.
شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن أحمد بن أبي المكارم بن نصر بن الأصبهاني.	ولد سنة (630هـ/1233م)، وصف بحسن سيرته، والتزامه بعمله ومواظبته عليه، سمع الحديث وحدّث، شهد بالجامع الأموي تحت باب الساعات، وكان مؤذناً ورئيساً للمؤذنين. توفي سنة (709هـ/ 1309م).	البرزالي، الوفيات، ص70.
نصر الدين عبد الكريم بن محمد بن أبي طالب بن عبد القادر الأنصاري الدمشقي، سبط مجد الدين يحيى ابن قاضي القضاة شمس الدين ابن سني الدولة.	ولد سنة (658هـ/1260م)، كان عدلاً خيّراً، روى الحديث، وشهد تحت باب الساعات. توفي سنة (710هـ/1310م).	البرزالي، الوفيات، ص84.
شمس الدين محمد بن الخطيب تقي الدين عبد الرحيم بن دواود بن فارس ابن أبي الفضل عبد الرحمن ابن بركات بن أحمد بن عبد الحميد المنبجي.	كان عدلاً، عمل خطيباً بالمزة، عرف بصوته الجميل. حفظ الكثير من الخطب الطويلة، وكان يؤديها بطريقة حسنة، شهد تحت باب الساعات. توفي (711هـ/1316م).	البرزالي، الوفيات، ص350.

علاء الدين، علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر ابن زيد الوداعي الكندي الإسكندراني، كاتب ابن وداعة.	ولد سنة (640هـ/1242م)، كان محدثاً، وقارئاً، تلا بالسبع، تميّز بالنظم النثر والكتابة. توفي سنة (716ه/1316م).	الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص98-99، الصفدي، أعيان العصر، ج3، 546-548، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج8، ص216-217.
كمال الدين، محمد بن علي ابن عبد المؤمن بن الشيخ كمال الدين أبي نصر عبد العزيز بن عبد المنعم بن الخضر بن شبل بن عبد الحارثي الدمشقي.	شهد تحت باب الساعات، توفي سنة (717هـ/1317م).	البرزالي، الوفيات، ص433.
الرضي علاء الدين، أبو الحسن علي بن الإربلي القاسم التنوخي.	ولد سنة (657هـ/1259م)، بدمشق، كان تقيّاً مقرئاً فقيها عدلاً، صاحب أمانة وصيانة، سمع الحديث ورواه، كان يشهد تحت باب الساعات، ويشهد على الحكّام. توفي سنة (717هـ/1317م).	البرزالي، الوفيات، ص440.
بدر الدين، عثمان بن عبد الصمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن أبي الفضل الحرستاني ابن جمال الدين.	ولد سنة (648هـ/1250م)، سمع الحديث، وكان يجلس مع الشهود. توفي سنة (726هـ/1326م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص268.
شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن حرز الله السُّلمي المعروف بالأزندي.	ولد سنة (652هـ/1254م)، كان فقيهاً إماماً عالماً مقرئاً، حدّث، وكتب بالإجازات، وقرأ الأصول والنحو، تولى قضاء الخليل، وحضر المدارس في دمشق، وولي التدريس في الحلقة القوصية، وجلس مع الشهود، عرف بتواضعه وخلقه الحسن. توفي سنة (727هـ/1327م)	الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص195-196.

شرف الدين، أبو القاسم بن جمال الدين بن عبد السلام ابن أبي عبد الله بن السلام ابن المصلّى الرامي.	الشيخ المقرئ العدل الأمين. درس الحديث، وكان له إجازات. وشهد تحت الساعات. توفي سنة (728هـ/1328م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص313، الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص686.
ضياء الدين، أبو الفضل أحمد بن إبراهيم بن فلاح ابن محمد بن حاتم بن شداد ابن الشيخ الزاهد برهان الدين الإسكندري.	ولد سنة (728ه/1328م)، كان شيخا فقيهاً إماماً مقرئاً، سمع الحديث، وله إجازات، كان يجلس مع الشهود. توفي سنة (729هـ/1329م).	الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص165، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص59.
نجم الدين، محمد بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن ابن سالم بن عبد القاهر العسقلاني الدمشقي.	ولد سنة (649هـ/1251م)، كان أميناً عدلاً مشكور السيرة، سمع الحديث وحدّث، كان يشهد على القضاة، وتحت باب الساعات، واشتهر بذلك، توفي سنة (730هـ/1330م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص414-415.
إسماعيل بن إبراهيم بن سعد ابن جماعة أخو القاضي بدر الدين بن جماعة.	سمع الحديث، وجلس مع الشهود. توفي سنة(730هـ/1330م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص212.
ركن الدين، أبو محمد حسين ابن جمال الدين يحيى بن الحسين بن أبي بكر بن خلّكان الإربلي الدمشقي.	ولد سنة (660هـ/1262م)، كان رجلاً مباركاً، ديّناً، محبّاً للفقراء، سمع الحديث، وقرأ القرآن، عرف بصوته الحسن، شهد تحت الساعات. توفي سنة (731هـ/1331م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص510.
شمس الدين، أبو الحسن علي ابن الشيخ شرف الدين عمر ابن محمد بن المظفر السُّلمي المعروف بابن السُّكري.	كان رجلاً متواضعا، اشتغل بالفقه، وسمع الحديث، عرف بجمال خطّه، شهد تحت الساعات. توفي سنة (733هـ/1333م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص648-649.

شمس الدين، محمد بن العدل شهاب الدين بن أحمد ابن العدل شمس الدين محمد ابن الشيخ الإمام زين الدين المهذّب الشروطي.	كان رجلاً شابّاً حسناً، ديّناً عدلاً، يكتب كتابة جيّدة. توفي سنة (734هـ/1334م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص696-697.
شهاب الدين، أحمد بن ناصر الدين محمد بن الشيخ المحدث مجد الدين يوسف ابن محمد بن عبد الله بن المهتار الدمشقي المجوّد.	عرف بصلاحه وعدله وكتابته الحسنة، سمع الحديث وحدث، شهد تحت الساعات. توفي سنة (735هـ/1335م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص780.
أحمد بن محمد بن عبد الله ابن المختار.	ولد سنة (650هـ/1252م)، وصف بالخير، صاحب خطّ حسن، وشهد تحت الساعات. توفي سنة (735هـ/1335م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص180.
علاء الدين، أبو الحسن علي بن الشيخ مجد الدين يوسف بن المهتار محمد بن عبد الله الشافعي.	ولد بدمشق سنة (659هـ/1261م)، سمع الحديث وحدّث، وكان له حلقة يقرأ فيها القرآن بالجامع الأموي، ويشهد تحت الساعات. توفي سنة (736هـ/1336م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص887-888، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص585-586، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص85.
تقي الدين أو شمس الدين، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد ابن نصر بن أبي القاسم البعلي الدمشقي المعروف بابن الفخر الحنبلي ابن الإمام فخر الدين.	ولد سنة (687هـ/1288م)، سمع الحديث، وكان يشهد تحت الساعات. توفي سنة (744هـ/1344م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص178.

تقي الدين، محمد بن صدر الدين سليمان الجعبري.	كان فاضلاً محدّثاً فقيهاً، تصدّر للتدريس في المدارس، وأجاد قراءة الحديث والعربية، له نظم حسن، وشهد تحت الساعات. توفي سنة (745هـ/1345م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص255.
شرف الدين، سليمان بن حسن بن أحمد بن عمرو البعلبكي.	كان محدّثاً، وباشر عدة ولايات في طرابلس وغزة ودمشق، وجلس مع الشهود تحت باب الساعات. توفي سنة (755هـ/1355م).	الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص224.
بدر الدين، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الغني بن عبد الله بن أبي نصر الحرّاني الدمشقي ابن قاضي حرّان المعروف بابن البطائني.	ولد سنة (678هـ/1288م). سمع وحدّث، وتولّى الحسبة، وشهد تحت الساعات. توفي سنة (756هـ/1356م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص187.
شمس الدين الخياط، محمد ابن يوسف بن عبد الله الدمشقي الحنفي، الملقب بالضفدع المعروف بالفضل.	ولد سنة (693هـ/1294م)، كان شاعراً مشهوراً في زمانه، عرف بهجوه وسلاطة لسانه، وله من النظم في الهجاء والتهاني والتعزي الشيء الكثير، جمع ديوانه في مجلدين، عرف عنه حسن التلاوة والمناظرة، وتنزل بالمدارس، جلس مع الشهود تحت الساعات. توفي سنة (756هـ/1365م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص184-185.
ظهير الدين، إبراهيم بن علي ابن محمد الجزري.	سمع الحديث وحدّث، وكان قارئاً بالمواعيد في الجامع الأموي، وجلس مع الشهود تحت باب الساعات. توفي سنة (765هـ/1365م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص281-282، ابن العراقي، الذيل على العبر، ج1، ص153.

أحمد بن علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله المعري الدمشقي المعروف بابن المهتار.	ولد سنة (705هـ/1306م)، سمع الحديث وحدّث، وتنزّل بالمدارس، حفظ الكثير من الكتب، وشهد تحت الساعات. توفي سنة (771هـ/1370م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص133.
فخر الدين المغربل، عثمان ابن محمد بن أبي بكر بن حسن الحراني الدمشقي، ويقال له ابن سنبل وابن القمّاح.	ولد سنة (698هـ/1299م)، سمع الحديث على العلماء، وطلبه بنفسه، كان حسناً متواضعاً، تفقّه بالقليل، وحج، يقرئ في العربية، ويجلس مع الشهود الدول بباب الجامع، توفي سنة (773هـ/1372م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص272.
محمد بن عبد الله بن محمد ابن فخر البعلي.	سمع الحديث، وأجاد القراءة. كان يجلس للشهادة تحت الساعات، وتوفي سنة (781هـ/1381م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص294.
عز الدين، علي بن الحسين ابن علي بن أبي بكر بن محمد بن أبي الخير الموصلي.	نزل دمشق، وكان شاعراً مشهوراً، له ديوان شعر. وجلس مع الشهود تحت باب الساعات. توفي سنة (789هـ/1387م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2 ص268.
شهاب الدين، أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن إبراهيم ابن سليمان بن حمايل بن علي الجعفري المقدسي المعروف بابن غاني.	ولد سنة (680هـ/1281م)، سمع الحديث وحدّث، كان أديباً فاضلاً، له نظم ونثر، كاتباً حسن الكتابة، ومؤذناً بالجامع الأموي، خبيراً بالشروط، وتولى عدّة، وظائف والشهادة. توفي سنة (735هـ/1335م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص782.

ج- القيّمون عليه

يقصّد بالقيمّ على المسجد بصورة عامة خادمه، الذي يكنسه، وينفض حصره من الغبار، ويمسح حيطانه، ويغسل قناديله، ويزوّدها بالوقود، ويشعلها في كلّ ليلة، ويغلق أبواب المسجد

كلّ ليلة بعد انفضاض المصلين، ويمنع الصبيان من الدخول إليه[1]. ولكن البحث في تاريخ الجامع الأموي في العصر المملوكي الأول يميط اللثام عن مفهوم أوسع لمهمة هؤلاء القيّمين عليه، ويبيّن أنواعاً مختلفة منهم، يمكن حصرها في الآتي:

أ- البوّابون

كان للجامع الأموي غير بوّاب يشرفون على أبوابه المختلفة، ولكنّ المعلومات التاريخية لا تكشف عن تفاصيل مهمة حول دورهم المنوط بهم، وكلّ ما ذكرته المصادر في ترجمتهم أن تحدّثت عن الباب الذي كانوا يشرفون عليه، وأنهم كانوا من أهل الصلاح والعلم، وعلى ما يبدو أن هؤلاء لم يكونوا على درجة كبيرة من الأهمية لذا أغفلت المصادر ترجمة الكثيرين منهم، فلم يعثر في أثناء البحث إلا على عدد قليل، ومنهم عمر بن حسان على الحراني (ت711هـ/ 1311م)، بوّاب باب الزيادة ، وكان رجلاً صالحاً، سمع من العلماء[2]. ومنهم الشيخ بدر الدين خليل بن يوسف بن خليل العدوي الإربلي (737هـ/1337م)، الذي عمل بواباً بباب الناطفيين، وسمع الحديث من كبار علماء عصره[3].

ب- المؤقّتون

وهم الذين كانوا يشرفون على الساعات وعملها، وأوقات الأذان والصلوات وتغييرها عبر الفصول والأيام، ولم تهتم المصادر بهم، فأهملت تراجمهم، ولم يظفر الاستقراء إلا بالمؤقت محمد بن أحمد بن عبد الرحيم الإمام شمس الدين أبو عبد الله المِزّي (ت750هـ/ 1349م)، الذي حفظ القرآن، كان مميّزاً في علم الفلك، وفي صنع الاسطرلاب، وله رسائل فيه، وكان اسطرلابه يباع في زمانه بمائتي درهم[4].

---

[1] مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية في بلاد الشام في العصر المملوكي، ص23، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق في عهد الأمير تنكز الحسامي، ص256.

[2] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص833.

[3] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان وأبنائه، ج3، ص980، ابن رافع، الوفيات، ج1، ص168-169.

[4] الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص302-303، الوافي بالوفيات، ج2، ص170-171.

ت- الخزّان

تتنوع مهام الخازن في الجامع الأموي، فمنهم من اختص بسجادة الخطباء في الجامع، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أهمية هؤلاء الخطباء، وعلى مكانتهم يومذاك، وممنّ باشروا هذا العمل الشيخ شرف الدين بن ضياء الدين عثمان بن عمر العُرميّ الصوفي(713هـ/1331م)[1]. وخصّص خزنة لخدمة مصحف عثمان في مشهد الإمام علي وللاهتمام به والحفاظ عليه لأهميته الدينية والتاريخية، ويتضّح أن اختيار هؤلاء كان يراعى فيه تقواهم وعلمهم، وقد عثر البحث على عدد منهم:

اسم الخازن	نبذة عن حياته	مصادر الترجمة
سليمان بن عبد الله بن أمرن الزيلعي الأسود الحنفي.	سمع الحديث، وحدّث، وأجاز لكبار العلماء أمثال الحافظ الذهبي، تولى خدمة مصحف عثمان. توفي سنة (681هـ/1282م).	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص216.
الشيخ ناصر الدين يحيى بن إبراهيم بن محمد بن عبد.	كان رجلاً مشكور السيرة، خدم مصحف عثمان مدة 30 سنة. توفي سنة (711هـ/1311م).	البرزالي، الوفيات، ص156، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص66.
شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ شهاب الدين محمد نظام الدين محمد بن كمال الدين المسلم بن عبد الوهاب ابن مناقب بن أحمد الحسيني.	سمع الحديث، وأضر مدّة، تولى خزن المصحف الشريف بمشهد علي بالجامع الأموي. توفي سنة (715هـ/1315م).	البرزالي، الوفيات، ص319، 320.

[1] وصف بحسن سيرته، تلا بالقراءات السبع، وله إجازات، توفي سنة (731هـ/1331). ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص482.

ووجد خزنة للكتب في الجامع الأموي والمدارس التابعة له، وظيفتهم تنظيم الكتب وترتيبها في الرفوف، والحفاظ عليها، وإعارتها للطلاب والمدرسين[1]، ويتضح من ترجمة من شغلوا هذا العمل أنهم كانوا من ذوي الصلاح والعلم، فمنهم الفقيه والمحدث، وأنهم كانوا متصوّفة، وعملوا في المدرسة السميساطية، أو خزانة الكتب في البادرائية، ومنهم:

اسم خازن الكتب	نبذة عن حياته	مصادر الترجمة
بهاء الدين، أبو محمد عبد الولي بن علي بن أبي المجد البقلي البغدادي.	كان شيخاً صالحاً فقيها، عرف بفضله وزهده وورعه. عمل خازناً للكتب في المدرسة البادرائية، وأفاد الطلبة إبان عمله فيها. توفي سنة (692هـ/1293م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص172.
ناصح الدين،أحمد بن عبد الرحمن بن أبي الحسين الزبيدي الصوفي.	سمع الحديث، وطلبه بنفسه، عمل خازناً للكتب في السميساطية. توفي سنة (696هـ/1297م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص83.
علاء الدين، أبو الحسن، علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي.	ولد سنة (698هـ/1299م)، كان شيخاً صالحاً، أَلِف العلم، وله مصنفات كثيرة في تفسير القرآن وغيره. سمع الحديث، وانتسب إلى المتصوفة، وعمل خازناً للكتب في السميساطية. توفي سنة (741هـ/1341م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص56، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص42، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص1313.

ث-المشرفون

تنوّع الحديث عن الإشراف على الجامع الأموي في المصادر التاريخية، التي تنبئ أن للجامع مشرفين مختصين على كل شأن من شؤونه، وعلى الرغم من تنوّع مهامهم فإن المشترك بينهم كان العلم والصلاح والتقوى، فمنهم من باشر عمائر الجامع، وأشرف عليها، ولعلّ وظيفتهم

[1] مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية في بلاد الشام في العصر المملوكي، ص55.

كانت الرقابة على بناء الجامع، ومتابعته، وتجديد ما خرب منه أو دمّر، وغير ذلك من الأمـــور الخاصة بالجانب المعماري، وممّن عثر عليه من المباشرين:

اسم المباشر	نبذة عن حياته	مصادر الترجمة
فتح الله أبو الفتح نصر بن محمد بن يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح ابن رافع بن علي بن إبراهيم بـــن الصيرفي الحرّاني الدمشقي.	سمع الحديث، وحدّث بالجامع الأمـــوي، وأجـــاز للمشـــايخ، واهتم بالكتابة، وباشر عمـــائر الجامع، وصف بحسن السيرة والأمانـــة. تـــوفي ســـنة (743هـــ/1342م).	ابن الجـــزري، تـــاريخ حوادث الزمـــان، ج2، ص318، ابـــن رافـــع، الوفيـــــــــات، ج1، ص419-420.
الشيخ محيي الدين ابن السبيل.	كان تاجراً للسيوف بســـوق الرماحين، ثم صار مباشراً بعمائر الجامع. سمع الحديث وحـــدّث. تـــوفي ســـنة (774هـــ/1343م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص402-403.

ووجد مشرفون على بسط الجامع وحصره وزيته، ومنهم إياس أبو الجود وأبـــو الفـــتح مولى التاج الكندي[1]. وأتت المصادر التاريخية على أسماء مشرفين في الجـــامع الأمـــوي دون تفصيل لمهامهم المنوطة بهم، فاكتفي بالإشارة إلى مهمة الإشراف[2]. ومن هؤلاء:

اسم المشرف	نبذة عن حياته	مصادر الترجمة
أبو القاسم، علي بـــن بلبـــان عـــلاء الـــدين المقدســـي الناصري الكركي.	عرف بحسن ســـيرته وتواضـــعه، سمع الحديث وحدّث، وهو شيخ من شيوخ الحافظ الذهبي، كان يحضـــر مدارس الحنفية، له شعر ومـــدائح. عيّن مشرفاً للجامع. تـــوفي ســـنة (684هـــ/1285م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص190.

[1] ولد سنة (580هـــ/1184م)، سمع الحديث وحدّث. توفي سنة (656هـــ/1258م). الـــذهبي، تـــاريخ الإســـلام، ج48، ص238.

[2] انظر الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص190، 53، ص911، معجم شيوخ الذهبي، ص89-90، ابن العماد، شـــذرات الذهب، ج6، ص76.

شمس الدين الحنبلي، محمد ابن الظهير يحيى بن محمود الأصبهاني الأصل الدمشقي، والمعروف بالحنبلي	كان كهلا حسن الشكل والهيبة، سمع الحديث، وأشرف على الجامع الأموي. توفي سنة (699هـ/1399م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص911.
أبو العباس، أحمد بن أبي بكر ابن محمد بن حمزة بن منصور الهمذاني الدمشقي.	سمع الحديث، وتولى الإشراف في الجامع في آخر عمره. توفي سنة (699هـ/1399م).	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص98-90.
ضياء الدين، إسماعيل بن عمر بن الحموي الدمشقي الكاتب.	كان كاتباً، ووصف بالصلاح والتقوى والأمانة، سمع الحديث، وعرف الحساب، أشرف على الجامع مدّة ثم على الحسبة. توفي سنة (727هـ/1327م).	ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص76.

ووجد مشرفون خاصّون بديوان الجامع الأموي، ومنهم على محمد بن أبي القاسم بن أبي الزهر شمس الدين الملقب بالغزال، المتوفى سنة (697هـ/1298م)[1].

ج- الكتّاب

عمل في الجامع الأموي كتاب، اختصوا بالأمور التي تقتضي الكتابة فيه، واكتفت المصادر بالحديث عن مهمتهم، ولم تفصّل في ضبط المهام الكتابية المنوطة بهم أو تحديدها، فوجد منهم من كان كاتباً في ديوان الجامع، واختيروا من الأدباء الذين اشتهروا بالكتابة والفصاحة والبلاغة، ومنهم علاء الدين الوداعي الكندي[2]. وبعضهم كان كاتباً على عمائر الجامع، مثل نجم الدين أحمد بن أبي بكر بن حمزة الهمذاني، توفي سنة (729هـ/1329م)[3].

---

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص866.

[2] سبقت ترجمته في الشهود، ص129.

[3] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص373-374.

ح- المُكبّرون

لم تتوسع المصادر التاريخية في الحديث عن هذا العمل، ولكن يستشف ممن عثر له على ترجمة أن هناك من تولى مهمة التكبير على الصلوات الفائتة، وذكر منهم الشيخ الصالح علي بن احمد بن هوس الهلالي، المتوفى سنة (727هـ/1327م)[1].

ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن هناك قيمين آخرين على الجامع، أشار ابن بطوطة إبان زيارته الجامع الأموي في (القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) إلى وظيفتهم، وهي كاتب الغيبة، وهو الذي يسجّل أسماء من يحضرون السبع أو يتغيّبون عنه[2]، ولكن البحث لم يظفر باسم أحد ممّن تولوا هذا العمل، وكلّ ما ذكره ابن كثير أن صاحب هذه الوظيفة كان يتقاضى راتباً شهرياً قدره عشرون درهماً[3].

---

[1] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص211.

[2] ابن بطوطة، الرحلة، ص84.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص336.

الفصل الثالث

دور الجامع الأموي في جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية

الفصل الثالث

أثر الجامع الأموي في جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية

إنّ من أهم الأدوار التي أداها الجامع الأموي في العصر المملوكي الأول كان على المستوى الاجتماعي والديني والسياسي، فضلاً عن العلمي الذي سيبسط الحديث عنه في الفصل الرابع من هذه الدراسة، ولمّا كان الفصل صعباً بين الجانبين الاجتماعي والديني فإن هذه الدراسة ستجمع بينهما بين دفتيها، وفي الآتي تفصيل ذلك:

- **أثره في المجتمع**

ارتبط الدور الذي أدّاه الجامع الأموي عبر عصوره، ومنها العصر المملوكي الأول بالدين، ذلك أن مهمته في الأساس دينية، والدين لبّ الحياة وفكر الإنسان وسلوكه الاجتماعي والنفسي، لذا فإن سلوكهم الاجتماعي في الجامع كان ديناً في صور من صوره، بل من صلب فكره وما يدعو إليه، ومن هنا كان الجامع ملتقى الناس في صلواتهم ولقاءاتهم ودعائهم وخوفهم وتضرّعهم إلى الله في الملمات تارة، والأفراح تارة أخرى، ويمكن تلخيص ذلك على النحو الآتي:

1- الجامع الأموي محفل الناس في العبادة وفي الخوف والشكر والتضرّع والدعاء

كان الجامع الأموي مجتمعاً مهما لأهالي دمشق، يلتقون فيه إذا ما نزل بهم خطب ما على اختلاف أنواع الخُطوب والنوازل والكوارث البشرية والطبيعية، وجرت عادتهم فيها أن يكونوا بصحبة الفقهاء والعلماء وطوائف المجتمع المختلفة يقرؤون صحيح البخاري، فيكون كتابهم الرئيس في الدعاء والتوسل، ومن ذلك ما كان يحدث حين يهاجم غزو وعدو دمشق وبلاد المسلمين، مثلما حدث سنة (699هـ/1300م) حين هاجم المغول الشام، وخرج الناصر محمد ابن قلاوون من مصر لمواجهتهم[1]. وكانوا في بعض الأحيان يحملون مصحف عثمان على رؤوسهم للتبرك فيه، والدعاء، وهذا ما فعلوه حين شعروا بالخوف سنة (680هـ/1281م)، حين

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص8.

نوى المغول مهاجمة الشام، فوصلوا حمص، فخرج الناس بالمصحف من الجامع برفقة القراء والمؤذنين والخطيب يدعون ويبتهلون ويرجون الله أن يبعد عنهم شر هذا العدو[1]. واجتمعوا فيه سنة (699هـ/1300م)، ليتشاوروا في أمر المغول لما احتلوا الشام في تلك السنة، ونكّلوا بأهل دمشق، فقتلوا ونهبوا وأسروا وسلبوا، فاتفقوا أن يخرج عدد من علماء دمشق إلى قائد المغول غازان[2] يومذاك لطلب الأمان منه لأهالي دمشق[3].

وكانت الكوارث الطبيعية مدعاة لاجتماع الناس في الجامع الأموي للتآزر والدعاء والاعتكاف والتفكير وتبادل الآراء في الحلول الناجعة لمواجهته، وبخاصة في حال حدوث الأوبئة الفتاكة كالطواعين، ومنها طاعون سنة (749هـ/1348م)، الذي كان وباء عالميّا نالت منه الشام حظّاً وافراً من الفتك والموت والخراب[4]،

واجتمع الناس في الجامع الأموي للدعاء وطلب الحاجة في حال القحط والجفاف الذي كان يصيبهم، لانحباس الأمطار أو تأخر نزولها، ما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار، وحدوث مشقة بالغة في حياة الناس، يروى أنه سنة (695هـ/1296م) حدث مثل ذلك، فخرج الناس إلى الجامع، واجتمعوا تحت قبّة النسر، وقرأ الخطيب صحيح البخاري، فنزل المطر في أثناء اجتماعهم، واستمر يوماً أو يومين[5]. ويبدو أن قبّة النسر هي المكان الذي كان يستظل فيه الناس في اجتماعاتهم، فقد تكرر ذكرها في غير اجتماع لهم في الجامع الأموي، فقد اجتمعوا هناك سنة (719هـ/1319م) سبع مرات لمّا تأخر نزول المطر، وصلّوا الاستسقاء، وقرأوا صحيح

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص57، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص214.

(2) محمود بن أراغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان المغولي. صاحب العراقيين وفارس والجزيرة وأذربيجان، أسلم سنة(694هـ/1294م)، واحتل الشام سنة (699هـ/1300م)، وهزمه المسلمون هزيمة نكراء في معركة مرج الصفر سنة (702هـ/ 1303هـ). توفي على إثرها مسموماً، على الأرجح، سنة(703هـ/ 1304م). الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام، ج53، ص47، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص244-245.

(3) النويري، نهاية الأرب، ج31، 387-388، الدواداري، كنز الدرر، ج9، ص19، المقريزي، السلوك، ج2، ص321-322.

(4) السخاوي، وجيز الكلام، ص25، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص226، المقريزي، السلوك، ج2، ق3، ص779-780، ابن تغري، بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص161، الزوربا، فريال، الحياة الاجتماعية في العصر المملوكي، ص230.

(5) النويري، نهاية الأرب، ج31، 194-195، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص210-211.

البخاري، واستمر الخطيب على منبر الجامع يدعو الله ويطلب الاستسقاء عدة مرات أيام الجمع إلى أن نزل المطر[1]. وتروي المصادر أن الناس اجتمعوا في الجامع الأموي يبتهلون ويدعون ويتضرّعون إذ هبّت ريح قويّة على دمشق سنة (715هـ/1315م)، وأحدثت أضراراً بالغة هناك، فقلعت الأشجار، ودمّرت الجدران والأبنية، وهلك أناس تحت الأنقاض، واستمروا بالدعاء إلى أن هدأت الريح، وزال ضررها[2].

ويتعلّق بهذا الموضوع اجتماع الناس في الجامع الأموي لصلاة الكسوف والخسوف، ويبدو أن لهم طقوساً خاصة بذلك، فيصعد المؤذنون إلى منابر الجامع ليعظوا الناس ويذكّرونهم بالله[3]، وكان المجتمعون يصلّون في صحن الجامع، ويخطب الخطيب بعد الصلاة، وأحياناً يخطب نائبه[4]، وذكرت بعض المصادر أن صلاتي الكسوف والخسوف كانت بين المغرب والعشاء، وربما استمر بعضها إلى الفجر[5] إلا في سنة (732هـ/1332م)، صلّى الإمام فيها صلاة الخسوف بعد صلاة الفجر[6]، وجرت العادة أن تُقرأ في هذه الصلوات أربع سور، وهي: ق، والواقعة، والقيامة، والقمر[7].

وكان أهل دمشق أيضا يجتمعون فيه يوم عرفة للدعاء، فيقفون في صحنه بصحبة الأئمة، كاشفين رؤوسهم خاشعين متضرعين بالدعاء إلى الله، ويتلمسون بركة هذا اليوم، ويظلّون على حالتهم تلك حتى المغيب، حين ينزل الناس من عرفات، وكانوا يبكون ويأسفون أنهم لم يكونوا معهم، ويطلبون إلى الله أن يتقبل منهم قرباتهم إليه، ويدعونه ليمنّ عليهم بشرف أدائها في العام المقبل[8].

---

[1] النويري، نهاية الأرب، ج32، ص294.

[2] المصدر نفسه، ج32، ص293.

[3] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص292.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص293، ج2، ص467، 518، ج3، ص599، 673، 932-933.

[5] البرزالي، الوفيات، ص297، 362، 394، 415.

[6] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص518.

[7] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص115.

[8] ابن بطوطة، الرحلة، ص99.

هذا فضلاً عن اجتماع الناس المستمر في الجامع في الصلوات المختلفة والجمع والأعياد، وهو أمر طبيعي، لأن ذلك كان غاية بنائه[1]، ومن الجدير ذكره أن الجامع الأموي ظل وحده مكان إقامة صلاة الجمعة في دمشق داخل السور حتى سنة (765هـ/1363م)، ثم انتقلت بعد ذلك إلى مساجد أخرى فيها[2].

واجتمع الناس في الجامع الأموي ليؤدوا صلاة الشكر على نعمة حلّت بهم، وعقب ضرر زال عنهم، وهذا ما فعلوه سنة (690هـ/1291م) عقب فتح عكا على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون(689-693هـ/1291م-1294م)، وطرد آخر جندي صليبي من بلاد الإسلام، وقرأ خطيب الجامع في أثناء طقوسهم تلك صحيح البخاري برفقة قاضي القضاة ونائبه[3]. وصلّوا صلاة الشكر عقب نزول المطر بعد انحباسه سنة (707هـ/1303م)، وشاركهم فيها نائب السلطنة يومذاك[4].

ومن أبرز الطقوس الاجتماعية والدينية في الجامع الأموي عبر تاريخه، ومنه العصر المملوكي الأول صلاة الجنازة حاضراً وغائباً التي كان يجتمع الناس لتأديتها على رجال الدولة والعلماء وموظفي الجامع أو عامة الناس أو ممّن راحوا ضحية غزو أو حرب أو كوارث مختلفة طبيعية وبشرية، وكانت صلاة الجنائز تؤدى كالعهود السابقة، وكان مكان أدائها مقابل المقصورة في الجامع، وإذا كان الميت من أئمته أو أحد موظفيه أو سدنته، تستمر القراءة إلى داخل الجامع. وأما إذا كان الميت من غيرهم، فكانت القراءة تنقطع عند بابه. ويجتمع بعض المصلّين في صحن الجامع من الجهة الغربية عند باب البريد وأمامهم ربعات القرآن، يقرؤون فيها، وينادي منادي الجنائز حال وصول المعزّين من رجال الدولة وكبارها. ثم يدعو المؤذنون الناس للصلاة على الميت، ثم يخرجون به من الجامع لدفنه[5]. وتذكر بعض المصادر أن الجامع كان مكاناً تقام تقام فيه بيوت العزاء لفئات مختلفة من الناس، ومنهم موظفو الجامع، وبعض رجال الدولة، أو

---

[1] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص292، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص68، 301.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص345، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص301.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص45.

[4] الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص383، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص48.

[5] ابن بطوطة، الرحلة، ص 99.

لعالم مشهور من بلد آخر، وحدّدوا مكان إقامتها في محراب الصحابة[1]، أو مأذنة العروس[2]، أو تحت قبة النسر[3].

وكانت صلاة الجنازة تُقام على عدد غير قليل من الموتى، وبخاصة حين يتفشى الموت بسبب الأوبئة والأمراض، وبخاصة الطواعين التي كانت تفتك بالآلاف من البشر، حتى إن الجامع الأموي ما كان يتسع لعددهم، فيوضع قسم منهم خارجه، ومثل هذا حدث في الطاعون العام سنة (749هـ/1348م)[4].

وزخرت المصادر بالحديث عن صلاة الجنازة والغائب في الجامع الأموي، وجاء ذلك في تراجم رجالات العلم والأدب والسياسة، وإبان الحديث عن الكوارث الطبيعية أو الغزو الذي تعرضت له الشام في العصر المملوكي الأول[5]. ولا يتسع المقام لذكر الأعداد الكبيرة لهؤلاء الرجال، وتكتفي الدراسة ببعض هذه الجنازات المشهورة، ومنها جنازة شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحرّاني (661هـ/1263م- 728هـ/1328م)، الذي توفي في سجنه في قلعة دمشق، فغسّل وكفّن فيها، ثم نقل إلى الجامع الأموي، وهنا يصف المؤرخون هذه الجنازة، ويطيل بعضهم الحديث عنها، وبخاصة أولئك الذين كتبوا سيراً غيرية عنه، وعاصروه، ومنهم المؤرخ عمر البزار (ت749هـ/1348)، الذي قدّم مشهدا واقعياً رآه لها، فذكر هو وغيره أن الناس شُغلوا بهذا المصاب الجلل، فأغلقت الأسواق، وحضرها أكثر أهل دمشق عامتهم وخاصتهم، فتجمعوا وازدحموا حول النعش، يتبركون بالشيخ، ويبكون وينتحبون، ويلعنون ساجنيه، حتى أدخلت الجنازة الجامع الأموي، فكان غاصّاً بالناس، وبقي كثير منهم خارجه، وحين خرجت الجنازة شهدت أبواب الجامع زحاما كثيراً، "وكان كلّ باب أعظم زحمة من الآخر"[6]. يقول

---

[1] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص698-699، الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص307.

[2] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص505.

[3] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص230-231، الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص110-111.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص238-239.

[5] انظر النويري، نهاية الأرب، ج33، 247-248، 276، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص698-699، الكتبي، عيون التواريخ، ج2، ص174، الصفدي، أعيان العصر، ج5، 292-293، 307، 326-327،ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص238، 306، 236، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص112، العيني، عقد الجمان، ج3، ص345، 475،.

[6] ابن عبد الهادي، درر العقود الفريدة، ص445، وانظر البزار، الأعلام العلية، 73.

البزار في ذلك ووصف عدد الذين حضروا ذلك اليوم: "وكنت أنا قد صلّيت عليه في الجامع، وكان لي مُستشرف على المكان الذي صُلّي فيه عليه بظاهر دمشق، فأحببت أن أنظر إلى الناس وكثرتهم، فأشرفت عليهم حال الصلاة، وجعلت أنظر يميناً وشمالاً ولا أرى أواخرهم، بل رأيتُ الناس قد طبّقوا تلك الأرض كلّها"[1]. وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على مكانة الشيخ من جهة، ومكانة الجامع الأموي، ودوره الاجتماعي في مثل هذه المناسبات، وقد روي أن عدد الذين حضروا الجنازة كانوا نصف مليون إنسان، أو أكثر من ذلك او أقل بقليل، "وأنه لم يسمع بجنازة بمثل هذا الجمع إلا جنازة الإمام أحمد ابن حنبل، رضي الله عنه"[2].

ويذكر المؤرخون أن أخا الشيخ ابن تيمية وهو العالم أبو محمد بن عبد الله الحرّاني[3] توفي (سنة 727هـ/1327م)، وصلي عليه في الجامع الأموي[4].

ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن الجامع الأموي كان موضع نقاش وجدال بين الناس في أمور الدين حتى كان يحدث فيه في بعض الأوقات فتن بسبب هذا الأمر، ومجالس ابن تيمية كثيرة فيه، وبخاصة في المسائل التي أخذت عليه وفي فتاويه المختلفة. وربما تعدّى الأمر ليصل إلى الفتنة الطائفية، فروي أنه في سنة (755هـ/1354م)، دخل شخص إلى الجامع الأموي اسمه علي بن حسن بن أبي الفضل بن جعفر بن محمد بن كثير الحليّ، ودخل بين الناس في صلاة جنازة، وراح يلعن من ظلم آل محمد، عليه الصلاة والسلام، ويسبّ أبا بكر وعمر، رضي الله عنهما، فأمسك الناس به، وأخذوه إلى القاضي ثم إلى قاضي القضاة، فأمر بضربه بالسياط مدة ثلاثة أيام، فلم يتب، فضربت عنقه، وأحرق جسده، وطيف به في الأسواق[5].

---

[1] البزار، الأعلام العلية، 73-74. وانظر ابن عبد الهادي، درر العقود الفريدة، ص445، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص307-309، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص141، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص80-86.

[2] البزار، الأعلام العلية، ص73-74. وانظر ابن عبد الهادي، درر العقود الفريدة، ص446، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص309، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص141، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص80-86، الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص50.

[3] ولد أبو محمد (سنة 666هـ/ 1268م) في حرّان، وتفقّه، ودرس النحو والحديث والتاريخ، وتمكّن منها. ابن عبد الهادي، درر العقود الفريدة، ص436-437.

[4] ابن عبد الهادي، درر العقود الفريدة، ص436.

[5] الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص333، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص24-25.

وكان للناس معتقدات خاصة في الجامع الأموي في ذلك العصر، فكان يزعم بعضهم أن هنـــاك أموالاً ودفائن فيه، ما كان يدفع نائب السلطنة إلى إصدار الأوامر بالحفر فيه، والبحث عن هــذه الكنوز، ليُكتشفَ لاحقاً عدم وجودها[1].

2- الجامع الأموي محفل الناس في سرورهم واحتفالاتهم الدينية

كان الجامع الأموي في العصر المملوكي الأول مكاناً يجتمع فيــه النـــاس لاحتفـــالاتهم المختلفة، ومنها الاحتفالات الدينية، وعقد الأنكحة[2]، حتى تخصص بعض الناس لهذه المهمة أي عقد الأنكحة تحت باب الساعات فيه، ومنهم ابن الشقيشقة نصر الله بن مظفر الدمشقي[3]. فـــلا يخلو منهم ليلاً أو نهاراً، وممّا ساعد على جعل الجامع الأموي محفلاً اجتماعيـــاً أن المماليـــك اهتموا به، واعتنوا بزينته وبإنارته، فأوقدوا المصابيح في الليل، وأكثروا منها وبخاصـــة علـــى قنوات المياه الجارية الموجودة بباب البريد، فزادت من جمال المكان، ومن اجتماع الناس هناك، فأضحى المكان ملتقى اجتماعياً، ومتنفساً لأهالي دمشق والوافدين إليها، وهذا ابـــن فضـــل الله العمري وصف ذلك، وغايات الناس المختلفة من الاجتماع هناك وأســـبابه، فبـــين أن الجـــامع "معمور بالناس كل النهار وطرفي الليل، لأنه ممرّ المدارس والبيوت والأسواق، وفيه ما لـــيس في غيره من كثرة الأئمة والقرّاء، ومشايخ العلم والإقراء، ووجوه أهـــل التصـــدير والإفتـــاء، ووظائف الحديث، وقرّاء الأسباع، والمجاورين من ذوي الصلاح، فلا تزال أوقاتـــه معمـــورة بالخير، أهلة بالعبادة، قلّ أن يخلو طرفة عين في ليل أو نهار من مصلٍ أو جالس في ناحية منه لاعتكاف، او باحث في معتقد، أو مقرر لمذهب، أو طالب لحلّ مشكل: من ســـائل ومســـؤول، ومفت ومستفت، هذا إلى من يأتي هذا المسجد مستأنساً لحديث، أو مرتقباً لقاء أخ أو متفرّجا في فضاء صحنه، وحسن مرأى القمر والنجوم ليلاً في سمائه، هذا إلى فســـحة الفضـــاء، وطيـــب الهواء، وبرد رواقاته أوقات الهجير، وحسن مرائي ميازيبه أحيان المطر"[4].

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص221.

[2] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص859، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص22.

[3] نجيب الدين أبو الفتح الشيباني، توفي سنة (656هـ/1258م)، كان محدّثاً وشاهداً، ويعقد الأنكحـــة تحـــت الســـاعات. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص22.

[4] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص258-259.

إن هذا النص على مستوى كبير من الأهمية، فهو يكشف عن دور اجتماعي مهم للجامع الأموي، ويقف على الأسباب التي تدفع الناس للبقاء فيه وملازمته والتعلق فيه، فليست العبـــادة وحدها سبباً في ذلك، بل يدعو لذلك كثرة الموظفين من علماء وفقهاء وخطباء وقيّمين وغيرهم، وكثرة العابدين والمعتكفين فيه والغرباء، وما يحيط بالجامع من أسواق ومدارس، وما يتميّز بـــه من كبر مساحة، وجمال منظر، كلّ واحد يأتي لغاية من هذه الغايات، فتظـــل حركـــة الجـــامع نشطة، ويظل آنساً بالناس ليل نهار.

وقد حظي الجامع بأشعار كثيرة تدلّ على جماله، وعلى فضائه الفسيح وأروقته الباردة، وهوائه العليل، وعلى أثره في نفوس قائليه، وبالتالي دوره الاجتماعي، ومنها ما قاله بدر الدين الذهبي[1]:

طال وقـــوفي بالجـــامعِ الرّحـــبِ والبـــر دُ مُبيـــــدي ولـــــيس منـــــه خـــــلاصُ

كيـــــف أدفـــــا وتحتـــــــي بـــــلاطٌ ورخـــــــامٌ وفـــــوقي رصـــــاصُ

اتخذ أهالي دمشق من الجامع الأموي مكاناً للاحتفال بالمناسبات الدينية المختلفة، ومنها:

أ- الاحتفال بالمولد النبوي: كان المسلمون، ومنهم أهالي دمشق، يحتفلون بهذه المناســبة فـــي الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام، فيعلّقون الزينة، ويوقدون القناديل، وربمـــا كان مركز الاحتفال الجامع الأموي، الذي كان يحضره نائب السلطنة، والأعيان، وعدد من كبار الدولة والقضاة والفقهاء والعلماء، وكان الأهالي يوزعون في هذه المناسبة الحلـــوى، ويمارسون بعض الألعاب بالسيف أو القوس[2].

ب- الاحتفال بليالي الوقود: وهي أربعة ليال: ليلة مستهل رجب وشعبان، وليلة النصف منهما، وقد سمّيت ليالي الوقود، لزيادة الوقود والإنارة فيهما، وبخاصة في أركان الجامع الأمـــوي وصحنه.

---

[1] الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص368.

[2] ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج3، ص666.

وتعدّ ليلة النصف من شعبان أهم هذه الليالي، وربما زاد فيها الوقود على غيرها، إذ كانت القناديل تُعلّق على الجبال والأعمدة والشرفات، ما يتسبب أحياناً في وقوع الحرائق المؤدية إلى الخراب، وكان يكثر فيها الاختلاط، ما دفع بعض السلاطين إلى إبطال عادة الوقود في بعض السنوات، ومنها (سنة751هـ/1350م)، و(سنة 752هـ/1351م)، وسنة (758هـ/1356م)[1]. وقد وصف بعض الشعراء هذه الليلة في الجامع الأموي، فتحدثوا عن جمال إنارتها، الذي فاق جمال البدر ونجوم السماء، وقرنوا ذلك بالحبيب وبوجهه، وأشاروا إلى المكان الذي تكثر فيه الإنارة وهو صحن قبّة النسر، ومنهم الشاعر المملوكي نجم الدين بن سوار بن إسرائيل[2] إذ قال[3]:

(بحر الرّجز)

ما أحسن الجامع في ليلةِ النّ صفِ وقد لاحَ عليه السرورُ
وقارنَ النّسرُ الثُّريّا به وقابلَ البدرَ هناك البدورُ

ومن ذلك قول الشاعر نفسه[4]:

(البحر الكامل)

ما مثلُ جامعِنا ومثلُ وقيدِهِ كضياء طلعةِ شاهدي ومُواصلي

ت- الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج: يحتفل المسلمون في هذه الذكرى في الـ 27 من رجب من كل عام، وكانت تُقام الاحتفالات في دمشق في صحن الجامع الأموي على باب مشهد زين العابدين، فتُشعل القناديل وتُزاد الإنارة كليلة النصف من شعبان، ويجتمع في هذه الليلة عدد كبير من أهالي دمشق، ويُعمل فيها الميعاد، أي قراءة الحديث النبوي، يؤديها قرّاء

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص247-252، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق في عهد الأمير تنكز الحسامي، ص354.

[2] ولد سنة (630هـ-1233م)، أحد الشعراء المتصوفة، وأحد فحول شعراء عصره، مدح الرؤساء والأعيان والقضاة، وله ديوان شعر منشور. توفي سنة (677هـ-1278م). الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص383.

[3] الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص388

[4] المصدر نفسه، ج3، ص389.

مشهورون في دمشق، ويختم القرآن، ويجلس الناس يستذكرون ويقرؤون قصة الإسراء والعراج، ويأخذون العبر منها، وتقام الأذكار والمواعظ، وتُنشد المدائح النبوية[1].

وقد اعترض بعض الفقهاء والمؤرخين على عادات الناس في الاحتفال بهذه الليلة، وعدّوها بدعة، لأن القائمين عليها يخرجون للجامع "وينشرون البسط والسجاد، ويحضرون أطباق النحاس والأباريق وغيرها لبيت الله وكأنه بيتهم، وإن الجامع عُمل للعبادة لا للفراش والرقاد والأكل والشراب"[2].

ويرتبط بهذا الجانب الاجتماعي الحركة الاقتصادية النشطة التي كانت تعمر الجامع والمناطق القريبة منه، وكان سبب هذا النشاط ارتياد الناس للجامع، فاستغلها رجال المال والأعمال يومذاك في توسيع نشاطهم، فأقيمت الأسواق الكثيرة والدكاكين في الساحة المستطيلة قرب باب جيرون، وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته هذه الأسواق، ومنها أسواق البزّازين، والعطّارين، وحوانيت الجوهريين، والكتبيين، والزّجاجين، وذكر الرحالة دكاكين كان يملكها كبار الشهود، والمذاهب المختلفة، فمنها واحد للشافعية، والبقية لأصحاب المذاهب الأخرى[3]. وذكر الذهبي بعض التّجار الذين كان لهم نشاط تجاري قرب باب الزيادة في الجامع، وهو محمد ابن المظفر بن قايماز أبو عبد الله السّقطي(ت699هـ/1300م)[4].

- **أثره في الحياة الدينية**

لقد سبقت الإشارة إلى أن أثر الجامع الأموي في المجتمع وحياة الناس اليومية لا ينفصل عن أثره الديني فيها، فلا يمكن الفصل بين حياة الإنسان وسلوكه، إلا أن المعلومات التي قدّمت هي في جوهرها اجتماعي، ترتبط بحركة الناس اليومية، وبسلوكهم الحياتي في السرور والحزن

---

[1] ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج2، ص75.

[2] ابن الحاج، المدخل، ج1، ص211-212.

[3] ابن بطوطة، الرحلة، ص86، 252، الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي، ص33.

[4] الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص573.

والجوع والخوف وغيرها. أمّا هذا العنوان، فيلقي الضوء على الجانب الديني البحت، ويكشف عن أثر الجامع في هذا الميدان.

- **الوظائف الدينية**

كان للجامع الأموي أثر كبير في الدين والحياة الدينية، فكان مقصداً للناس في عباداتهم، واعتكافهم، وسماع المواعظ، والتذكير بالآخرة، وكان مكاناً للجدل والاتفاق والاختلاف، ومنبراً مهماً لمناقشة قضايا الأمّة، ولذا وضعت له الترتيبات والوظائف الخاصة بهذا المجال، التي يمكن حصرها في الآتي:

أ- الخطابة

هي من أبرز الوظائف في الجامع الأموي، لما لها من أثر في حياة الناس الدينية من جهة، والحياة السياسية من جهة أخرى، ومن هنا اعتنت بها الدولة المملوكية، ووضعوا لها شروطاً كثيرة، فكان تعيين الخطيب يتمّ بطريقة رسمية من المجلس العالي بالأمر الشريف[1] أو من واقف الجامع[2]. ولذا كان بقاء الخطيب في مكانه أو عزله مرهوناً في أحيان كثيرة بالتغيّر السياسي، وبالحاكم الجديد وموقفه منه، ومثال ذلك ما حدث من تغييرات على الخطابة في الجامع سنة (658هـ/1260م)، فقد كان خطيبه عماد الدين بن الحَرَسْتاني (ت662هـ/1264م) زمن الملك الناصر بن العزيز الأيوبي(658هـ/1260م)، واستمر مدة طويلة في منصبه، ولكن حين دخل المغول الشام سنة (658هـ/1260م)، استبدله القائد المغولي هولاكو بخطيب آخر وهو العماد الإسْعَردي (ت668هـ/1270م)، ولمّا انتصر سيف الدين قطز على المغول في معركة عين جالوت في السنة ذاتها(658هـ/1260م)، عزل الإسعردي وعيّن خطيباً آخر موالياً له[3].

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج12، ص72.

[2] العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص256.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص236-237.

وارتبط تعيين بعض الخطباء في ذلك العصر بسعيهم إليها، وبتوسّط له عند أهل الدولة، وهو ما حدث مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل المعروف بابن المرحّل(716هـ/1316م)، الذي وسّط أحد الأمراء عند نائب السلطنة بدمشق ليعيّنه خطيباً في الجامع الأموي، فكان له ما أراد، وقد أحدث هذا الأمر ضجة في دمشق، فحين وصل ابن الوكيل إلى الجامع ليستلم منصبه، كان الناس متعلقين بخطيبهم الشيخ شرف الدين الفزاري(ت705هـ/1306م)، فاتفق أعيان الشام ومعهم ابن تيمية بعدم الصلاة خلف ابن الوكيل (ت716هـ/1316م)، وكان ذلك(يوم الأربعاء الرابع والعشرين من صفر سنة703هـ/ الثامن تشرين الأول سنة1304م)، وخرجوا إلى نائب السلطنة، وطلبوا إليه ألا تكون الخطبة لابن الوكيل حتى يأتي مرسوم من السلطان في مصر بذلك، فوافقهم على ذلك، واستنابوا في الإمامة الشيخ أبا بكر الجزري(ت713هـ/1313م)، وفي الخطابة تاج الدين الجعبري(ت706هـ/1307م)، واستمر الأمر على ذلك حتى ورد مرسوم السلطان في الواحد والعشرين من ربيع الأول، يقضي بان تكون الخطابة لمن يجمع الناس عليه، فتولاها شرف الدين الفزاري[1]. وهذا يدل على أنه كانت مراعاة لرأي الناس وتوجههم في تعيين الخطيب، وربما كان ذلك درءاً للفتنة، ورغبة في إخمادها، وبخاصة حين يكون في الاعتراض رجل مثل ابن تيمية، صاحب الأثر الكبير والتأثير في عصره.

وهذا يدل على أن الناس كان لهم دور في تعيين الخطيب، وأن الدولة كانت تستجيب لهم في بعض الأحيان، ومثل هذا حدث مع علي بن عبد الكافي السبكي(ت765هـ/1355م)، الذي ورد مرسوم خطابته سنة(743هـ/1343م)، وكان قبله جلال الدين القزويني، ولكن الناس رفضوا خطابته، وخرج بعضهم من الجامع، وثارت العامة على قرار تعيينه، وهدّدوا السبكي إن خطب، فلم يباشر المحراب، فطلب إليهم نائب السلطنة السمع والطاعة، فلم تهدأ ثائرتهم، حتى جاء أمر السلطان باستمرار القزويني في الخطابة[2]، ويبدو أن سطوة ابن تيمية تدخلت مرة أخرى، فمن المعلوم أن السبكي كان من المعترضين على ابن تيمية وفتاويه، وألف فيه كتاباً اسمه "الدرة المضية في الرد على ابن تيمية".

---

[1] النويري، نهاية الأرب، ج32، ص80-81، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص215-216.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص217، المقريزي، السلوك، ج3، ص383-384.

وتشير بعض التراجم إلى أن علماء الجامع الأموي من فقهاء ومفتين وقضاة كانوا يتدخلون في تعيين الخطيب، فقد ذهب هؤلاء إلى نائب السلطنة سنة(749هـ/1349م)،لاختيار خليفة للخطيب تاج الدين القزويني، ورشّحوا جمال الدين أبا الثناء المحجي الدمشقي (ت764هـ/1364م) لهذا المنصب، فأجابهم لذلك[1].

ويتضح من رسائل التقليد بالخطابة التي كانت تصدر عن الدولة المملوكية، وتذاع في الجامع الأموي، في مقصورة الخطابة عادة[2]، وتُعطى للخطيب أن هناك شروطاً تدفع الدولة إلى تعيينه، ومنها غزارة علمه، وسعة اطلاعه، وورعه وتقواه، وهذا ما يتجلى في تقليد الخطابة الذي كتب إلى القاضي الخطيب علي بن عبد الكافي تقي الدين السبكي(ت765هـ/1355م) سابق الذكر، وجاء فيه: "وكيف لا وقد جمع من العلوم أشتاتاً، وأحيا من معالم التُّقى رُفاتاً، وأوضح من صفات العلماء العاملين بهديه وسَمْتِه هدياً وَسِمتا، فلذلك خرج الأمر الشريف الصالحي العمادي.."[3]. ويبدو أن الجامع الأموي اشتهر ببلاغة خطبائه وتميّزهم على غيرهم، وكان ذلك أحد شروط تعيينهم، وهو ما يصرّح به تقليد بالخطابة وجّه إلى الخطيب شهاب الدين ابن حاجّي[4]، إذ جاء فيه بعد الحمد والثناء: "وقصر الجامع الأموي على أبلغ خطيب، يشيب في تطلّب مثله الوليد"[5]. ويكشف هذا التقليد عن عناية رجال الدولة بالجامع الأموي، لمكانته الرفيعة في المجتمع، واهتمامهم بوظيفة الخطابة التي حرصوا فيها على اختيار المختص في ذلك، والأكثر علماً ومعرفة وديانة، وأن هذه الصفات كانت معيار المفاضلة بين المتقدمين فيها، وفي غيرها من الوظائف، وممّا جاء في التقليد يشير إلى مكانة المساجد بعامة والجامع الأموي

---

[1] ستأتي ترجمته مفصلة في جدول تراجم الخطباء. انظر الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص405-406، السبكي، طبقات الشافعية، ج6، ص248، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص265-266، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص24، ابن العراقي، الذيل على العبر، ق1، ص129-130، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص137، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص137، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص703.

[2] ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ، ص206-207.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ج12، ص73.

[4] أحمد بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد السعدي الدمشقي الشافعي. ولد سنة (751هـ/1350م)، كان علاّمة، وحافظا فقيها ومؤرخا. توفي سنة (816هـ/1413م). ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ، ص247-248.

[5] القلقشندي، صبح الأعشى، ج12، ص74.

بخاصة، وإلى حساسية منصب الخطابة فيه، ورعاية الدولة لها، وحرصها على اختيار المناسب من الخطباء: "...لا سيما الجوامع التي هي منها بمنزلة الملوك من الرعية، وأماثل الأعيان من سائر البرية، ومن أعظمها خطراً، وأبينها في المحاسن أثراً، وأسيرها في الآفاق النائية خَبَـراً، بعد المساجد الثلاث التي تُشدّ الرحال إليها، ويُعوّل في قصد الزيارة عليها، جامع دمشق، الـذي رست في الفخر قواعده، وقامت على ممرّ الأيام شواهدُه، وقاوم الجمَّ الغفيرَ من الجوامع وحده، ولم تزل الملوك تَصرف العناية إلى إقامة شعائر وظائفه، وتقتصر من أهل كلّ فنّ على رئـيس ذلك الفنّ وعارفه، فما شغرت به وظيفة إلا اختاروا لها الأعلى والأرفع، ولا وقع التردّدُ فيهـا بين اثنين إلا تقبّلوا منهما الأعلم والأروع، **خصوصا وظيفة الخطابة** التي كان النبي، صـلى الله عليه وسلّم، للقيام بها متصدّيا، وعلم الخلفاء مقام شرفها فباشروها بأنفسهم تأسّياً"[1]. وقد عـدّد التقليد الصفات التي دعت الدولة إلى تعيين أبي العباس شهاب الدين الحاجي بهـذا المنصـب، وأطال في الإشادة بعلومه،وبمكانته العلمية، وببلاغته وتقواه وورعه، ثم قال: "فلذلك رسم الأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي المنصوري المعزّي..أن يفوّض إلى المجلس العـالي المُشار إليه خطابة الجامع المذكور بانفراده،على أتمّ القواعد وأكملها، وأحسن العوائد وأجملها"، وختم التقليد بدعوة الخطيب الجديد إلى وعظ الناس وتذكيرهم بالله، وإلى التزام حسـن الخلـق، وطيب المعاملة مع الناس[2].

ويتبين ممّا سبق أهمية هذه الوظيفة في الدولة المملوكية، ولهذا كان بعض من يتولاهـا يحظى بمكانة مرموقة فيها، وهذا ما يؤكده تراجم بعضهم، فقد كان بعض الأمراء والسـلاطين يقربونهم، ويشاركون في جنازاتهم[3]، ومنهم الخطيب جلال الدين القزويني العجلي أبو عبد الله (ت739هـ/1339م)، الذي تحدّث المؤرخون عن قربه من الملك الناصر محمد بـن قـلاوون

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج12، ص74-75.

[2] المصدر نفسه، ج12، ص75-76.

[3] انظر ما جاء في ترجمة شمس الدين الخلاطي: الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص734-735، الوافي بالوفيـات، ج2، ص119، 170، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص46، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص203. ابن العماد، شـذرات الذهب، ج5، ص14.

(ت741هـ/1341م)[1]. ومثله الخطيب جمال الدين أبو الثناء المحجي الدمشقي، آنف الذكر، الذي كان يستمع إلى خطابته الأمراء والرؤساء[2].

ويتضح من تراجم الخطباء بصورة عامّة أن الشروط السابقة التي روعيت في تعيين الخطباء قد تحلّوا بها، ما يدلّ على أهمية هذا المنصب وحساسيته، وتتفاوت هذه الصفات من خطيب لآخر إلا أن تراجمهم تنبئ عن تميّزهم في العلوم الدينية والعربية المختلفة، كالفقه والحديث وقراءة القرآن، والنحو، ومعرفتهم وتمكّنهم من المذاهب المختلفة، وبخاصة حين يكون الخطيب مختصاً بأحد المذاهب الأربعة، وقد تحلّى أغلبهم بهذه الصفات، ومنهم الخطيب عبد الله ابن مروان، زين الدين الفارقي (ت703هـ/1304م)[3]، ووُصِف الخطيب شرف الدين الفزاري (705هـ/1306م) بأنه "كان خطيباً علامة، متقناً لمختلف العلوم من حديث، وفقه، وأصول، وعلوم العربية، والنحو، والقراءات"[4]. ووُصِف بعضهم بالفصاحة، والبلاغة، وإتقان الكتابة، وقول الشعر، وحُسْن الصوت، مثل داود بن أبي حفص عماد الدين أبو المعالي (ت655هـ/1257م)[5]، وعماد الدين بن الحرستاني (ت682هـ/1283م)[6]، ووصف كثير منهم بالتقوى وحسن الدين والعبادة والتواضع، وهو ما جاء في ترجمة الخطيب محمد بن

---

[1] الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ص22، الصفدي، أعيان العصر، ج4، 492-495، الوافي بالوفيات، ج3، ص242-243، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص301، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص238-239، ابن رافع، الوفيات، ج1، ص257-260، المقريزي، المقفى الكبير، ج5، 38-41، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص3-4، السيوطي، تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب، ج2، ص86-87. وستأتي ترجمته مفصلة في جدول تراجم أشهر خطباء الجامع الأموي في العصر المملوكي.

[2] الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص405-406، السبكي، طبقات الشافعية، ج6، ص248، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص265-266، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص24، ابن العراقي، الذيل على العبر، ق1، ص129-130، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص137، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص137، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص703.

[3] النويري، نهاية الأرب، ج32، ص79، الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص27، الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص733.

[4] الصفدي، أعيان العصر، ج8، ص161، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص42، المقريزي، السلوك، ج2، ص403.

[5] الذهبي، تاريخ العبر، ج3، ص279، تاريخ الإسلام، ج48، ص238.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص220، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص298.

إبراهيم الإسعردي (ت668هـ/1270م)[1]، ووسم الخطيب علي بن عبد الكافي تقي الدين السبكي (ت765هـ/1355م) بالورع والزهد والصدق والتديّن[2].

وكان كثير من خطباء الجامع الأموي يتولى غير منصب ووظيفة في الوقت ذاته، فجمع بعضهم بينها وبين الإمامة والتصدّر والفقه، ومنهم محمد بن عثمان الآمدي (تهـ724/ 1324م)[3].وكان بعضهم خطيباً وقاضياً، ومنهم بدر الدين بن جماعة (ت733هـ/1333م)[4]، وجلال الدين القزويني(ت739هـ/1339م)[5]. وجمع بعضهم بين الخطابة والتدريس في بعض مدارس الجامع الأموي، ومنهم جمال الدين محمود بن حجلة(ت764هـ/1364م)[6]، وداود بن أبي حفص الزبيدي المقدسي الشافعي(ت655هـ-1257م)، الذي كان إماماً وخطيباً في الجامع، ومدرّساً في المدرسة الغزالية[7]، ومثله شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام الدمشقي (ت660هـ-1262م)، الذي تولّى الخطابة والإمامة في الجامع الأموي، وكان مدرّساً في غير مدرسة في الشام[8].

ومن الجدير ذكره في هذا السياق أن من بعض الذين كانوا الخطباء يحظون بغير وظيفة ومنصب في الدولة، ربّما شعر بأن واحدة مهمّة منها قد تذهب من يده، فيضطر إلى الاستقالة أو عزل نفسه بنفسه من الخطابة، ومثال ذلك الخطيب الشيخ برهان الدين بن تاج الدين الفزاري،

---

[1] المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص68.

[2] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص55، الحسيني، تذكرة الحفاظ، ص39-40، السبكي، طبقات الشافعية، ج6، ص147-148، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص217، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص38-39.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص119.

[4] الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص297، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص18-19.

[5] الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص492-495، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص301، المقريزي، المقفى الكبير، ج6، ص38.

[6] الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص405، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص265.

[7] الحسيني، صلة التكملة لوفيات النقلة،م1، ص387-388، الذهبي، العبر، ج3، ص279-280، تاريخ الإسلام، ج48، ص238، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص793.

[8] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص172-173، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص284. ولمزيد من الأمثلة انظر الحسيني، صلة التكملة لوفيات النقلة، م1، ص305، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص295-296، الذهبي، العبر، ج3، ص35، تاريخ الإسلام، ج49، ص104-105، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص812، البداية والنهاية، ج13، ص257، المقريزي، السلوك، ج2، ص14، العيني، عقد الجمان، ج1، ص375،ج3، 283-284.

الذي ولي الخطابة في الثاني عشر من ذي القعدة سنة (750هـ/1306هـ) عوضاً عن عمّه شرف الدين الفزاري عقب وفاته، ولكنّه حين علم أن وظيفته في التدريس في المدرسة البادرائية ستؤخذ منه، عزل نفسه من الخطابة[1].

وقد كان بعض خطباء الجامع الأموي يتوارثون العمل عن آبائهم وأقربائهم. وكان الخطيب يقيم في دار الخطابة في الجامع الأموي المخصصة للقائمين على هذه الوظيفة[2].

وقد استقرأت الدراسة أسماء عدد كبير من خطباء الجامع الأموي في العصر المملوكي الأول، وهي:

أسماء الخطباء	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
عماد الدين، أبو المعالي، داود بن أبي حفص عمر ابن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل بن يوسف ابن يحيى بن قابس بن حابس بن مالك بن عمرو بن معدي بن كرب الزبيدي المقدسي الدمشقي الشافعي.	ولد سنة(586هـ/1190م)، سمع وحّدث وخطب وأمّ في الجامع الأموي، ووصف بالتقوى والصلاح، والفصاحة والبلاغة، وكان أحد مدرسي الغزاليّة في الجامع الاموي. توفي سنة(655هـ/1257م).	الحسيني، صلة التكملة، م1، ص305، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص295-296، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص35، تاريخ الإسلام، ج49، ص104-105، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص812، البداية والنهاية، ج13، ص257، المقريزي، السلوك، ج2، ص14، العيني، عقد الجمان، ج1، ص375،ج3، 283-284. - ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص40.

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص40.

[2] النويري، نهاية الأرب، ج32، ص79، الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص274-275، الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص733-734، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص856، البداية والنهاية، ج14، ص32، المقريزي، السلوك، ج2، ص365، النعيمي، الدارس، ج1، ص20-21.

عماد الدين، ابن الحرستاني، عبد الكريم ابن عبد الصمد بن محمد ابن أبي الفضل ابن علي ابن عبد الواحد الأنصاري الخزرجي الدمشقي الشافعي.	كان حسن السّمت والديانة، متواضعاُ، من أعيان بلده، سمح الحديث وحدّث، تولّى القضاء بدمشق، ثم الخطابة في الجامع الأموي، ودرّس بالغزّالية، وأفتى، ورحل الناس إليه. توفي سنة(662هـ/1264م).	الحسيني، صلة التكملة، م1، ص305، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص296، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص104-105، العبر في خبر من غبر، ج3، ص35، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج14، ص39-40، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص812، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص257، المقريزي، السلوك، ج2، ص14، العيني، عقد الجمان، ج3، ص248.
أصيل الدين، محمد بن إبراهيم بن عمر أبو علي الإسعردي الصوفي.	كان رجلاً ديّناً، عابداً، متواضعا، نظم الشعر والنثر، وتولى خطابة الجامع الأموي، ثم ناب في القضاء. توفي سنة(668هـ/1270م).	المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص68-69، العيني، عقد الجمان، ج1، ص273.
تقي الدين، أبو العباس الخلاطي أو الأخلاطي، المعروف بالنقي، أحمد ابن عثمان بن سياوش.	عُرف بالصلاح والخير والتديّن، وكان إماماً، ومقرئاً، وعالماً فقيهاً، ووصف بحسن الصوت والهيأة. خطب بالجامع، وأمّ بالكلاّسة. توفي سنة (671هـ/ 1273م).	اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج3، ص11، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص64، الكتبي، عيون التواريخ، 21، ص19، الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص234-235.
جمال الدين أبو محمد الباجريقي الموصلي الشافعي، عبد الرحيم بن عمر بن عثمان.	كان إماماً، وفقيهاً، وزاهداً، وشيخا محقّقاً مهيباً، له نظم ونثر، واشتغل بحلقة في الجامع الأموي تحت قبّة النسر، وتولّى فيه الخطابة نيابة. توفي سنة (679هـ/1280م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج15، ص916، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص52-53، الوافي بالوفيات، ج3، ص155، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص847، البداية والنهاية، ج14، ص15، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص72، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص80.

محيي الدين، أبو حامد،عماد الدين بن الحرستاني الشافعي، محمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل.	ولد سنة(614هـ/1216م)، عرف بذكائه وفطنته وفضله وزهده وتديّنه، ووصف بجمال صوته في الخطابة، اتقن الشعر، وخطب بالجامع الأموي. توفي سنة (682هـ/1283م).	ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص839-840، البداية والنهاية، ج13، ص220، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص298.
جمال الدين، عبد الكافي ابن عبد الملك بن عبد الكافي الربعي.	ولد سنة(612هـ/1215م)، سمع وحدّث، وتلمذ عليه شيوخ كبار مثل ابن تيمية، وكان عالماً، وإماماً، وخطيباً،وقاضياً، خطب بالجامع الأموي. توفي سنة(689هـ/1215م).	اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج4، ص180، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص18، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج14، ص36، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص2028، العيني، عقد الجمان، ج3، ص43.
زين الدين ابن المرحل الشافعي، أبو حفص، عمر بن مكي بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد بن عبد الله القرشي.	كان إماماً، عارفاً بالفقه والحديث، وعلم الكلام، درّس وأفتى، وله نظم وخطب. عيّن خطيباً للجامع الأموي في جمادى الأخرة سنة (689هـ/1290م). توفي سنة(691هـ/1292م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص37-38، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص848-849، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص419، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص145، العيني، عقد الجمان،ج3، ص38، 135-136.
شرف الدين أبو العباس الشافعي، احمد بن احمد ابن نعمة بن أحمد النابلسي المقدسي.	ولد سنة(622هـ/1225م)، سمع الحديث، وتفقّه، وكان عارفاً بالأصول والعربية، ووسم بتواضعه ونسكه وذكائه، وبأخلاقه الرفيعة، له كتب في علم الأصول، وكان يخطب من إنشائه، ودرّس وأفتى في حلقة له عند باب الغزالية. توفي سنة(694هـ/1295م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص781، العبر، ج3، ص831، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص843-844، البداية والنهاية، ج13، ص361، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص225، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص7، المقريزي، المقفى الكبير، ج1، ص361، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص379-380.

عز الدين أبو العباس الشافعي الواسطي الفاروثي، أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج بن أحمد بن سابور.	ولد سنة(614هـ/1217م). كان إماماً، واعظاً، وفقيهاً، ومفسراً، ومقرئاً القرآن، وخطيباً، وصوفياً، أفتى ودرّس، وعرف بزهده وبحسن أخلاقه. ولي الخطابة، ودرّس ببعض المدارس، ولكنه عُزل من الخطابة فتألم لذلك، وتوجّه إلى العراق، فتوفي فيها سنة(694هـ/1295م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص219-220، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص3، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص362، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص159-160، العيني، عقد الجمان، ج3، ص133.
جمال الدين، أبو محمد الربعي الصقلّي الدمشقي الشافعي، عبد الرحمن بن عبد الكافي بن عبد الملك.	ولد سنة(630هـ/1233م). سمع الحديث، درّس، وعمل خطيباً في الجامع الأموي. توفي سنة(701هـ/1302م).	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص291.
زين الدين الفارقي الشافعي، عبد الله بن مروان بن عبد الله.	ولد سنة(633هـ/1236م). اشتغل بالحديث والفقه وأصوله، ووصف بزهده وصلاحه ووقاره وهيبته، وجرأته في الحق، درّس في بعض المدارس، وتولّى خطابة الجامع الأموي، توفي سنة(703هـ/1304م).	النويري، نهاية الأرب، ج32، ص79، الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص274-275، الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص733-734، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص856، البداية والنهاية، ج14، ص32، المقريزي، السلوك، ج2، ص365، النعيمي، الدارس، ج1، ص20-21.
شرف الدين أبو العباس الفزاري الصعيدي الدمشقي الشافعي، أحمد ابن إبراهيم بن سبّاع بن ضياء.	كان محدّثا، وقارئاً القرآن، وأتقن فنون العلوم والعربية والفقه. درّس وأفتى،وتولى الخطابة في الجامع الأموي سنة(703هـ/1304م). وعرف بفصاحته وبلاغته وتواضعه وزهده ودينه وأمانته. توفي سنة(705هـ/1306م).	الصفدي، أعيان العصر، ج2، 161-163، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص853، البداية والنهاية، ج14، ص42، المقريزي، السلوك، ج2، ص403، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص208-209، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص56، النعيمي، الدارس، ج1، ص88-89، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص12.

شمس الدين الخلاطي أو الأخلاطي، محمد بن أحمد بن عثمان.	ولد سنة (644هـ/1246م). كان صاحب أخلاق حميدة، وُسِمَتْ بالعفة والخير والتديّن. سمع الحديث ورواه، وتفقّه، وكتب، وقرأ القرآن، تولى الخطابة بالجامع الأموي، وأمّ بالكلاّسة حوالي 40 سنة، ثم في مشهد ابن عروة. توفي في دار الخطابة سنة (606هـ/ 1307م)، وحضر الصلاة عليه نائب السلطنة بدمشق وبعض الأمراء.	الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص734-735، الوافي بالوفيات، ج2، ص119، 170، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص46، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص203. ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص14.
تاج الدين أبو الفضل الشافعي، صالح بن ثامر ابن حامد الجعبري.	كان متواضعاً، وخيّراً، وحسن الأخلاق، وعفيفاً، سمع الحديث، وخطب بالجامع الأموي سنة(694هـ/1295م). توفي سنة(706هـ/1307م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص118.
أبو جعفر،أحمد بن علي ابن عتيق الترياقي، المعروف بأشكمندر الغرناطي.	عرف بخيره وصلاحه، ودماثة خلقه. خطب في الجامع الأموي، وولي الإمامة. توفي سنة(710هـ/1310م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص129.
تقي الدين بن الجزري المقصائي، أبو بكر بن عمر بن مشيع.	سمع الحديث وحدّث، وقرأ القرآن وفسّر، وكان عارفاً بالعربية، وزاهداً ورعا عابداً، قرأ القرآن أكثر من 50 سنة، وناب في الإمامة والخطابة في الجامع الأموي أكثر من 20 سنة. توفي سنة(713هـ/1313م).	البرزالي، الوفيات، ص215، الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص677، الصفدي، أعيان العصر، ج1، 279، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص266.

صدر الدين، أبو عبد الله الشافعي الأشعري محمد ابن عمر بن مكي بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد، المعروف بابن الوكيل وبابن المرحل وبابن الخطيب، المصري العثماني الشافعي.	ولد سنة(665هـ/1267م). كان عارفاً بالنحو، ولكنه يلحن به، وسمع وحدّث وتفقه وعرف الأصول. وكان صاحب سيرة حسنة، وأديباً، له شعر وموشحات، ومناظراً ناظر ابن تيمية، درّس في غير مدرسة في الشام، تولى الخطابة مدة يومين في الجامع الأموي، ثم أوقف لعدم رغبة أهل دمشق بخطابته، فصدر أمر السلطان في مصر بوقفه عن الخطابة. توفي سنة(716هـ/1316م).	الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص5-11، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص82-83، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج10، ص244-245، النعيمي، الدراس، ج1، ص21-23.
زكي الدين الشافعي، زكريا بن يوسف بن سليمان بن حامد البجلي.	ولد سنة(650هـ/1252م). سمع الحديث وحدّث، خطب في الجامع الأموي نيابة، وكانت له حلقة اشتغال في الحائط القبلي هناك. توفي سنة(722هـ/1322م).	الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص381-382.
حسن بن محمد بن نجم الدين، أبو محمد بن كمال الدين القرشي القرطبي الصفدي الشافعي.	ولد سنة(658هـ/1260م). عرف بتدينه وورعه وأمانته. كتب الإنشاء، وله نظم وشعر، خطب في الجامع الأموي، وتوفي سنة(723هـ/1323م).	الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص232-233.
بدر الدين، أبو عبد الله، محمد بن عثمان بن يوسف بن محمد بن الحداد الآمدي الحنبلي.	كان عالماً فقيهاً وإماماً، سمع الحديث، وحفظ واشتغل وكتب، تولى خطابة الجامع الأموي مدة 42 يوماً. توفي سنة(724هـ/1324م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص119.

برهان الدين، أبو إسحاق الشافعي، إبراهيم ابن عبد الرحمن، تاج الدين ابن إبراهيم بن ضياء الدين ابن سباع الفزاري، ابن الفركاح.	ولد سنة(660هـ/1262م). وصف بأخلاقه الرفيعة، وعرف بزهده وتواضعه، ودينه وزهده ولطفه. أتقن بعض علوم العربية مثل الكتابة، وتميّز بالفقه وأصوله وبعلم المنطق، وسمع الحديث. زهد في المناصب فرفض الكثير منها، كانت له حلقة بالجامع الأموي، وأمّ بالرواحية، ودرّس بالبادرائية، وخطب بالجامع الأموي، توفي سنة(729هـ/1329م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص252-254، الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص18-19، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص281، الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص22-23، الصفدي، أعيان العصر، ج1، 85-87، الوافي بالوفيات، ج1، ص43-44، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص279، السبكي، طبقات الشافعية، ج6، ص45-46، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص151-152، المقريزي، المقفى الكبير، ج1، ص155، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص26-27.
بدر الدين أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي، محمد بن إبراهيم بن سعد ابن جمّاعة بن علي بن جماعة ابن حازم.	ولد سنة(639هـ/1242م). كان عالماً بالحديث والفقه والأصول والتفسير، حسن الأخلاق، وزاهداً، ولين وعفيفاً، درّس وأفتى ولي القضاء دون أجر والخطابة في الجامع الأموي. وله مؤلفات في علم الحديث، وله نظم ونثر. توفي سنة(733هـ/1333م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص185، ابن الوردي، ج2، ص272، الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص297-298، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص18-19، المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص89-90.
فخر الدين الشافعي، عثمان ابن علي بن عمر بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب بن علي ابن عبد الله الطائي الحلبي.	ولد سنة(662هـ/1264م). كان عارفاً بالحساب والربية. تولّى خطابة الجامع الأموي، وتوفي سنة (738هـ/1338م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص269-270.

جلال الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن عبد الكريم بن حسن بن علي ابن أحمد ابن دلف العجلي،الكرجي، القزويني، الشافعي.	ولد سنة(666هـ/1268م). كان محدثاً، وفقهياً، ومفتياً، عارفاً بعلوم العربية وأصولها، تولى نيابة القضاء، فالخطابة والقضاء في الجامع الأموي. أسبغ عليه المؤرخون صفات حسنة كثيرة، وتوفي سنة(739هـ/1339م).	الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ص22، الصفدي، أعيان العصر، ج4، 492-495، الوافي بالوفيات، ج3، ص242-243، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص301، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص238-239، ابن رافع، الوفيات، ج1، ص257-260، المقريزي، المقفى الكبير، ج5، 38-41، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص3-4، السيوطي، تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب، ج2، ص86-87.
جمال الدين أبو بكر، عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن إبراهيم ابن موسى التبريزي الحرّاني.	كان شاعراً مجيداً، وعارفاً باللغة، تفقه واشتغل فيه، واستتيب بخطابة الجامع الأموي، وعرف بصلاحه وتقواه وفضله. توفي سنة(749هـ/1340م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص239-240.
بدر الدين أبو عبد الله بن جلال الدين القزويني، محمد بن محمد بن عبد الرحمن.	ولد سنة(676هـ/1278م). سمع الحديث وحدّث وتفقّه، وكان بليغاً وفصيحا، حسن الصوت. ولي قضاء الشام أيام الأمير تنكز، ثم خطابة الجامع الأموي. توفي سنة(742/1342م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص248، أعيان العصر، ج5، ص166-167، ابن رافع، الوفيات، ج1، ص403-404، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص114-115.
جمال الدين أبو محمد الجندي المعروف بابن السديد، عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن الإربلي.	كان حسن الشكل جميلا، يقتني الجواري الحسان والأواني الثمينة، والكتب النفيسة. خطب بالجامع الأموي. توفي سنة(743/1343م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص178-179.

محمد بن أحمد بن الحسين بن يحيى القيسي أبو الطاهر ابن صفوان.	وصف بزهده وعبادته ووعظه، ومعرفته بالفقه والتصوّف. خطب بالجامع الأموي. وتوفي سنة(748هـ/1348م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج13، ص191.
تقي الدين أبو الحسن السبكي، المصري، الدمشقي، الشافعي، علي ابن عبد الكافي بن علي ابن تمام بن يوسف بن موسى.	ولد سنة(683هـ/1284م). كان أحد علماء عصره في الحديث والفقه وأصوله والتفسير والقرآن، وفنون العربية من أدب ونحو ولغة وشعر، ووسم بتقواه، وجراته في الحق وبفصاحته وبلاغته. ولي الخطابة في الجامع الأموي، ودرّس في غير مدرسة بدمشق منها الكلاسة والغزّالية. له مصنفات كثيرة. توفي سنة(765هـ/1355م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص55، الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ، ص39-40، السبكي، طبقات الشافعية، ج6، ص147-148، 157، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص217، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص38-39، المقريزي، السلوك، ج3، ص383-384. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص41.
جمال الدين أبو الثناء المحجي الدمشقي، محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة.	ولد سنة(707هـ/1308م). كان عالماً بالعلوم الدينية: الفقه والحديث،وعرف بورعه وتقواه وزهده وتصوّفه، عمل في التدريس والخطابة في الجامع الأموي سنة(749هـ/1348م). توفي سنة(764هـ/1364م).	الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص405-406، السبكي، طبقات الشافعية، ج6، ص248، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص265-266، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص24، ابن العراقي، الذيل على العبر، ق1، ص129-130، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص137، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص137، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص703.

عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني الشافعي.	ولد سنة(724هـ/1324م). سمع الحديث وحدّث، حفظ القرآن وفي الفقه،وعرف في النحو وأصوله، ووسم بالفصاحة والذكاء، والصوت الحسن. تولى خطابة الجامع الأموي ثم القضاء، وباشر عمله فيها في المدرسة العادلية.	ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ، ص206-207.
تاج الدين أبو نصير الأنصاري الخزرجي السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف ابن موسى بن تمام.	ولد سنة(627هـ/1230م)، وقيل سنة(628هـ/1231م). كان إماما وفقيها ونحويا وأصولياً، أفتى، ودرّس، وحدّث، واشتغل بالعلم، وتولّى منصب قاضي القضاة،والخطابة في الجامع الأموي، والتدريس في غير مدرسة منها العادلية الكبرى والغزّالية، وتولّى مشيخة الشيوخ. توفي بالطاعون سنة (771هـ/1370م).	ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص104-105، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص258-259، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص86-87، المنهل الصافي، ج7، 385-386.
علي بن عبد الوهاب بن علي السبكي.	تولى الخطابة بعد أبيه وعمره 10 سنين، ودرّس في الأمينية وعمره سبع سنين. توفي سنة(776هـ/1375م).	ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص121-122، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص242.
بهاء الدين أبو البقاء، محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام ابن يوسف بن موسى بن تمام الأنصاري الخزرجي.	ولد سنة(707هـ/1308م). كان أحد علماء عصره، متبحراً في العلوم الدينية والعربية، وصف بالتدين والتصوّف والنقاء، تولى قضاء الشام، وخطابة الجامع الأموي، ودرّس بالغزّالية وغيرها. توفي سنة(777هـ/1376م).	ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص127-128، النعيمي، الدارس، ج1، ص29-30.

ب- الإمامة

الإمامة من أجلّ الوظائف وأهمها في الجامع الأموي، وعادة ما جاءت مرتبطة بالخطابة، وهذا ما اتضح في ترجمة الخطباء آنفاً. وتعيين الإمام في العصر المملوكي الأوّل يكون إمّا بمرسوم سلطاني مباشر منه[1]، أو يصدره الواقف أو الناظر أو قاضي القضاة[2].

ولم يكن للجامع الأموي إمام واحد فحسب، بل تعددت الأئمة فيه، ويؤكد ذلك مؤرخو العصر الذين تنوّعت أقوالهم وتعدّدّت في هذا الموضوع، فيذكر ابن شدّاد، ويشايعه في ذلك النعيمي، أن الجامع في زمانه كان يحوي تسعة أئمة، وكانوا يصلّون الصلوات الخمس فيه، وهم "الخطيب، وإمام في مقصورة الحنفيّة، وإمام في مقصورة الحنابلة، وإمام في الكلاسة، وإمام في مشهد زين العابدين، وإمام في مشهد أبي بكر، وإمام، وإمام في مقصورة الكندي"[3]. ويبدو أن هذا العدد من الأئمة زاد لاحقاً، فأضحى ثلاثة عشر إماماً، على ما ورد في رحلة ابن بطوطة، ومنهم: إمام الشافعية، وإمام مشهد علي بن الحسين، وإمام مشهد الكلاسة، وإمام مشهد أبي بكر، وإمام مشهد عثمان، وإمام المالكية، وإمام الحنفية، وإمام الحنابلة، ويوجد خمسة أئمة وظيفتهم قضاء الفوائت من الصلوات[4].

ويتضح من هذه المعلومات أن المشاهد كان لكل منها إمام، وكذلك لكل مذهب من المذاهب. وكانت الصلاة عادة ما تبدأ بالصلاة خلف الإمام الشافعي وطائفته، ثم يتبعه إمام الحنابلة، ولكن ذلك تغيّر سنة(694هـ/1295م) إذ عيّن إمام لمحراب الصحابة، فصار الأئمة يصلون جميعهم في الوقت نفسه، وقد أدى ذلك إلى حدوث فوضى وتشويش في الجامع الأموي، حين أضحى بعض المصلين يركع ثم يتبيّن له أن إمامه لم يفعل ذلك بعد، ولهذا سُمح للحنابلة أن يُصلّوا قبل الإمام الكبير (الشافعي)، في المحراب المخصص لهم في الرواق الثالث من

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج11،ص223.

(2) مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية، ص22.

(3) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص81، النعيمي، الدارس، ج2، ص315، زوربا، فريال، الحياة الاجتماعية في العصر المملوكي، ص236.

(4) ابن بطوطة، الرحلة،ص93، زوربا، فريال، الحياة الاجتماعية في العصر المملوكي، ص236.

الجامع[1]. وكان يحدث بعض تغيير على طريقة الإمامة في صلاة التراويح في رمضان إذ كانت بالتناوب بين الإمام الشافعي والإمام الحنفي[2].

وطرأ تغيّر جديد على أماكن توزيع أئمة المذاهب وصلواتهم عقب إعمار الحائط القبلي من الجامع الأموي، سنة(728هـ/1328م)، فأضحى محراب هذا الحائط الواقع بين باب الزيادة والمقصورة مكانا لصلاة إمام الحنفية، وصار إمام المالكية يصلّي بطائفته في محراب الصحابة بعد أن كان يصلي في محراب مقصورة الخضر، التي تولّى الإمامة فيها إمام الحنابلة، وانتقل إمام محراب الصحابة إلى الصلاة في الكلاّسة[3].

ويتبين المصادر أنّ الإمامة لم تقتصر على أركان الجامع الأموي المختلفة، بل شملت المدارس التابعة له، فكان لكل واحدة منها إمام.

ويمكن توزيع أماكن الإمامة في الجامع الأموي في العصر المملوكي الأول وفق ما ورد في مصادره على النحو الآتي.

المشاهد	المقصورات	المحاريب	المدارس	أماكن أخرى
مشهد أبي بكر	مقصورة الحنابلة	محراب الحائط القبلي	القيلجية	قبر يحيى ابن زكريا
مشهد عثمان	مقصورة الحنفية		البادرائية	
مشهد علي ابن الحسين	المقصورة الحلبية		الرّواحية	
مشهد علي	مقصورة الخضر		الكلاّسة	
مشهد زين العابدين	المقصورة الكندية		التقويّة	
مشهد الكلاّسة	مقصورة الصحابة		الأمينية	
مشهد عروة			العادلية	

[1] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص251، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص259، ابن بطوطة، الرحلة، ص106، النعيمي، الدارس، ج2، ص308.

[2] ابن بطوطة، الرحلة، ص86.

[3] النويري، نهاية الأرب، ج33، ص264، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص259، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص140.

ويتضح من المصادر أيضاً أن الأئمة لم يكونوا من الشام وحدها بل كان بعضهم من مصر، ومن العراق، ومن الأندلسيين الوافدين إلى الشام، وكانوا من أخلاط الواقعة شرق تركيا اليوم، موطن السلاجقة، ومن الهكارية الأكراد الذين وفدوا أيام صلاح الدين، وعاشوا في الشام، وتزوّجوا وتناسلوا. وتكشف تلك المصادر أيضاً أنّ هناك وظيفة نائب الإمام في الجامع الأموي، ينوب عن الإمام حالة غيابه.

ويبدو من سيرة الأئمة وحياتهم أن بعض الأئمة لم يقتصر دوره على هذه المهمة فحسب، بل كان منهم القاضي والمدرّس فضلاً عن مهمة الخطابة. وتبيّن منها أنّ كثيراً منهم كان متبحراً في علوم متنوعة، فكان منهم المحدّث والفقيه والأصولي والمفتي والمفسّر والواعظ والأديب، والعالم بعلوم العربية، والمقرئ، وكانت معرفة الإمام بالقراءات القرآنية شرطاً مهماً من شروط توليه الإمامة، فهذه المعرفة قد تكرّرت في ترجمة أكثر الأئمة. وقد تحلّى أغلبهم بل كلّهم بصفات تؤهلهم لهذه الوظيفة، ومنها حسن الصوت، والتديّن والصلاح والتقوى والفضل والزهد، وغيرها الصفات التي ستبين جلية في تراجمهم، التي استقرأتها هذه الدراسة، ويوضحها الجدول الآتي:

اسم الأئمة	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
ضياء الدين أبو إسحاق المرادي الأندلسي، إبراهيم ابن عيسى بن يوسف بن أبي بكر.	كان محدّثاً وفقيهاً، وعالماً بعلوم العربية، تولّى إمامة المدرسة البادرائية، ووصف بالتديّن والصلاح والفضل. توفي سنة(667/1269م).	اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص412، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص235-236.
جمال الدين أبو محمد، عبد الرحمن بن سليمان ابن سعيد بن سليمان البغدادي الحراني.	اشتغل بالفقه والإفتاء، أمّ في محراب الحنابلة، وعرف بتدينه وزهده. توفي سنة(670هـ/1272م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص78، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، 135-136.
زين الدين أبو إسحاق، إبراهيم بن أحمد بن أبي الفرج بن أبي عبد الله بن السيد الدمشقي الحنفي.	ولد سنة(604هـ/1207م). كان عالماً بالحديث، ودرّس وحدّث مدة طويلة، وأمّ في المقصورة الكندية الشرقية في الجامع. توفي سنة(675هـ/1278م).	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص38.

شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الوهاب بن منصور بن أبي الفضل الحرّاني الحنبلي.	ولد سنة(654هـ/1256م). كان أديباً، وفقيهاً، وعارفاً بالأصول والخلاف والعربية، كتب الفتاوى بخطّه، ووصف بسيرته الحسنة، وبتديّنه. أمّ بمحراب الحنابلة لأكثر من ثلاثين سنة، وكانت له حلقة في الجامع الأموي، يدرّس فيها. توفي سنة(675هـ/1278م).	اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج3، ص206-207، البرزالي، الوفيات، ص29-30، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص196-198، ابن رجب، طبقات الحنابلة، ج2، ص287-289، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص74-75.
زين الدين، إبراهيم بن أحمد ابن أبي الفرج بن أبي عبد الله بن السديد الحنفي الدمشقي.	سمع الحديث وحدّث، وكان خيراً عدلاً وصاحب مروءة. وتولي إمامة المقصورة الحلبية في الجامع الأموي. توفي سنة (677هـ/1279م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص261.
برهان الدين الحسيني، أبو المعالي، أحمد بن ناصر ابن طاهر.	كان زاهدا، ومتصوّفاً فاضلاً، وفقيهاً، صنّف في الأصول والتفسير. أمّ في محراب الحنفية في المقصورة الحلبية، ومات في بيته في المنارة الشرقية للجامع، سنة(689هـ/1290م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص359، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص209، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص237-238، النجوم الزاهرة، ج7، ص323.
جمال الدين بن عماد الدين ابن الحرستاني الأنصاري، عبد الصمد بن عبد الكريم.	ولد سنة(519هـ/1125م). عرف بعلمه وفضله، وصلاحه وتقواه، ناب عن الإمامة في الجامع عن والده، توفي سنة(694هـ/1295م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص233.
محمد بن إبراهيم بن يحيى الجعبري.	أم في مشهد أبي بكر، ولازم الجامع لهذه الغاية، ولتلاوة القرآن الكريم. توفي سنة(701هـ/1301م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص182.

شمس الدين المالكي، محمد بن إبراهيم بن يحيى	اشتهر بصلاحه وعلمه، ومعرفته بالفقه. كان إمام محراب المالكية في الجامع. توفي سنة (702هـ/ 1303م).	الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص225، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص182.
أبو الفدا، إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن نصر بن أبي المعالي الحنفي.	ولد سنة(637هـ/1240م). سمع الحديث وتفقّه، وعرف بأمانته وعدله. اشتغل بعلم الحديث، وعمل إماماً في الجامع، وكانت له حلقة فيه. توفي سنة(709هـ/1310م).	البرزالي، الوفيات، ص43.
محمود بن عبد المنعم غرس الدين أبو نعمون الحرّاني الحنبلي.	ولد سنة(625هـ/1228م)، سمع الحديث ورواه، وكان مقرئاً وفقيها، ووسم بالصلاح والخير، وعمل نائباً للإمام الحنبلي بمحراب الحنابلة. توفي سنة(710هـ/1311م).	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص609.
نور الدين، علي بن أبي بكر الكازروني.	كان شيخاً، فقيها، صوفياً، شاهداً. أمّ بالجامع في محراب الحنفية. توفي سنة(710هـ/1311م).	البرزالي، الوفيات، ص123-124.
عز الدين محمد بن شمس الدين بن المنجا.	المعلومات الواردة عنه تبيّن أنه ابتدأ بالإمامة في الجامع الأموي في 18 من شهر رجب سنة (710هـ/1311م).	البرزالي، الوفيات، ص104.
شمس الدين، عبد الرحمن ابن عباس بن علي، المعروف بالخازن.	كان يخزن الكتب في المدرسة الرّواحية، وأمّ فيها. توفي سنة(711هـ/1312م).	البرزالي، الوفيات، ص143.
فخر الدين أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عبد الله المغربي المراكشي.	عرف بفضله وحسن سيرته، ووصف بغزارة علمه في الحديث والفقه، وكان ينسخ بخطه. أمّ بالمدرسة الرّواحية التابعة للجامع الأموي. توفي سنة(712هـ/1313م).	البرزالي، الوفيات، ص64.

شرف الدين أبو بكر بن يوسف بن سلمان الحموي.	كان فقيها ومحدّثاً ومقرئاً. تولّى إمامة الجامع الأموي عند قبر يحيى بن زكريا. توفي سنة (713هـ/1314م).	البرزالي، وفيات، ص232.
نجم الدين الرومي التركماني الحنفي، يحيى ابن علي بن رومان.	اتّصف بزهده وصلاحه، وكان عالماً بالفقه والقراءات. وعمل في التدريس وإماماً في المقصورة الكندية لأكثر من 20 سنة. توفي سنة (713هـ/1314م).	ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج12، ص89.
عثمان بن القطان.	اشتهر بصلاحه وزهده، وتفقه. أمّ بالمدرسة البادرائية. توفي سنة(714هـ/1315م).	البرزالي، الوفيات، ص252.
محيي الدين أبو زكريا المقدسي الشافعي الدمشقي، يحيى بن أحمد ابن نعمة بن أحمد بن جعفر.	ولد سنة(629هـ أو 630هـ/1232م). اشتغل بالفقه،وعرف بتدينه وزهده، وعمل مدرسا، وإماما في مشهد علي. توفي سنة(716هـ/1317م).	البرزالي، الوفيات، ص377-378، الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص639، الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص548-549.
شهاب الدين، أحمد بن محمد بن إبراهيم المراغي الرومي.	كان حسن الأخلاق، وصاحب نخوة ومروءة، واشتغل بالفقه والإقراء، وكان إماماً للحنابلة في الجامع، وعرف بحسن صوته ونغمته الجميلة. توفي سنة(717هـ/1317م).	البرزالي، الوفيات، ص403، الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص316-317، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص144.
مجد الدين التونسي، أبو بكر ابن محمد بن قاسم المرسي.	ولد سنة(656هـ/1258م). كان عارفاً بالفقه والنحو والقراءات القرآنية. جلس للإقراء في الجامع الأموي، وناب في الإمامة. توفي سنة(718هـ/1318م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص271.

أبو الوليد، محمد بن أبي القاسم أحمد ابن أبي جعفر أحمد بن خلف بن إبراهيم ابن أبي عيسى التّجيبي القرطبي الإشبيلي الأندلسي، المعروف بابن الحاج.	ولد سنة(638هـ/1241م). اشتغل بالفقه، وعرف بالتديّن وحسن السيرة، تولى إمامة محراب المالكية. توفي(718هـ/1318م).	البرزالي، الوفيات، ص473-474، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص49، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص6-7، ج4، ص238-239، الوافي بالوفيات، ج2، ص144، المقريزي، السلوك، ج2، ص10-11، ابن حجر، الدرر، ج3، ص213.
علاء الدين، علي بن سعيد ابن سالم الأنصاري.	كان إماماً متواضعا مقرئاً، حسن الصوت. أمّ في مشهد علي. توفي سنة(719هـ/1319م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص104.
وحيد الدين أبو حامد الرومي، يحيى بن أحمد الخلاطي الشافعي.	كان عارفاً بالقراءات القرآنية، أمّ بالكلاسة مدة 15 سنة، ثم في مشهد عروة. توفي سنة(720هـ/1320م).	الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص546-547.
ظهير الدين أبو مجاهد الزنجاني، محمود بن عبيد الله بن عبد الله.	أحد أعيان المتصوفة في زمانه، يبيت في الخانقاة السميساطية. وكان فقيها، سمع الحديث وحدّث، وصنّف عدة مصنفات، أم في المدرسة التّقوية، ووعظ أكثر نهاره فيها.	الكتبي، عيون التواريخ، ج21، ص78-79.
محمد بن صالح بن تامر ابن حامد.	سمع الحديث، ودرّس، وكان إماماً بالكلاّسة. توفي سنة(722هـ/1322م).	المقريزي، المقفى الكبير، ج5، ص725.
برهان الدين أبو إسحاق الإسكندري، إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم ابن شدّاد.	ولد سنة(663هـ/1265م). كان فقيها وخطيباً تولّى غير وظيفة، منها أنه كان شاهدا تحت باب الساعات، وأم في مشهد أبي بكر في الجامع الأموي. توفي سنة(729هـ/1329م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص363-364.

رضي الدين أبو إسحاق الحموي الكرمي الرومي الحنفي، إبراهيم بن سليمان المعروف بالمنطيقي.	وسم بحسن الخلق والتواضع والتديّن، وكان عالماً إماما في الجامع الأموي في المقصورة الحنفية. توفي سنة (732هـ/1332م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص546-547.
علي بن محمد بن يوسف الموصلي المعروف بالبالي.	ناب في الإمامة في مشهد عثمان. توفي سنة(734هـ/1334م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص63.
ابن الشهاب الرومي، أحمد ابن أحمد بن محمد بن إبراهيم المراغي الدمشقي الحنفي.	درّس في غير مدرسة، وكان له زاوية خاصة، وتولّى إمامة الحنفية في الجامع الأموي. توفي سنة(742هـ/1342م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص731، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص532.
عماد الدين أبو إسحاق الرومي الحنفي، إبراهيم ابن أحمد بن محمد بن إبراهيم المراغي.	كان شيخاً صوفياً، وأمّ في محراب الحنفية بالجامع الأموي. توفي سنة(740هـ/1340م).	ابن رافع، الوفيات، ج1، ص341.
أبو محمد المالكي الإشبيلي الأندلسي، عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي الوليد.	ولد سنة (675هـ/1277م). اتصف بالزهد والتديّن والتواضع والنزاهة، سمع الحديث وحدّث، وتفقّه، كان حافظا القرآن الكريم، وله أوراد في الليل وتلاوة، أمّ في محراب المالكية. توفي سنة(743هـ/1343م).	الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج4، ص129، ابن رافع، وفيات، ج1، ص422-423، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص214.
كمال الدين الدمشقي المعروف بابن الزكي، عبد الرحمن بن يحيى ابن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز القرشي.	ولد سنة(668هـ/1270م). كان من الأعيان المتسمين بحسن الخلق، سمع وحدّث، ودرّس بالكلاسة، وكان له حلقات في الجامع، وامّ فيه مدة طويلة في محراب الصحابة ثم المحراب الغربي بالكلاسة. توفي سنة(744هـ/1343م).	ابن رافع، الوفيات، ج1، ص470-471.

أبو عمرو الإشبيلي الأندلسي المالكي، أحمد ابن أبي الوليد محمد بن أحمد.	ولد سنة(672هـ/1274م). كان مفتياً وفقيها ومحدّثاً وإماماً. توفي سنة(745هـ/1344م).	ابن رافع، الوفيات، ج1، ص497، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص226.
شمس الدين أبو عبد الله الهكّاري الكردي الدمشقي الشافعي، محمد بن إبراهيم ابن داود بن نصر.	كان فقيهاً، درّس في عدة مدارس، وأمّ في مشهد علي. توفي سنة(759هـ/1358م).	ابن رافع، الوفيات، ص216.
شمس الدين أبو عبد الله الصالحي الحنبلي، محمد ابن أحمد بن الحسن بن عبد الله ابن الحافظ.	سمع الحديث وحدّث. وأمّ بمحراب الحنابلة. توفي سنة (759هـ/1358م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص212-213.
ناصر الدين أبو عبد الله الهمذاني الدمشقي، محمد ابن صالح بن محمد بن عربشاه ابن أبي بكر.	كان محدثاً، وشيخاً مقرئاً. أمّ بالمدرسة الأمينية. توفي سنة(746هـ/1363م).	ابن رافع، الوفيات،ج2، ص272.
شمس الدين أبو عبد الله الموصلي الدمشقي، محمد ابن عبد الله بن علي المعروف بابن المعافي.	سمع الحديث وحدّث، أم في المدرسة العادلية. توفي سنة(771هـ/1370م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص358-259.
بدر الدين أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم المعروف بابن الكردي.	إمام شافعي، اشتغل بالفقه، وقرأ القراءات، وأمّ بمشهد علي. توفي سنة(772هـ/1371م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص379-380.
بدر الدين أبو علي المقدسي الصالحي، الحسن ابن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني.	سمع الحديث وتفقّه وأفتى، وأمّ في محراب الحنابلة بالجامع الأموي. توفي سنة(773هـ/1372م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص391-392.

ت- القضاء

كان الجامع الأموي على علاقة مهمة بمؤسسة القضاء في الدولة المملوكية الأولى، المرتبطة مباشرة بالحكم، إذ كان تعيين قضاتها يأتي بمرسوم رسمي، ولها كبير يُدعى قاضي القضاة[1]. وهذه المراسيم كانت عادة تُقرأ في الجامع الأموي تحت قبّة النسر[2]، وبعضها يُقرأ في مقصورة الخطابة[3]، وكان يُعاد قراءة بعضها مرّة ثانية في الشباك الكماليّ[4]. ويرافق قراءة التقليد عادة لبس خلعة الجامع[5]، وحضور القضاة والأعيان ورجال من الدولة والعامة[6]. أمّا التوجيهات والنصائح الموجهة للقضاة، فكانت أيضاً تصدر بمرسوم سلطاني أو من الدولة مباشرة، وتقرأ على سدّة المؤذنين في الجامع الأموي[7]، ومنها ما قرئ سنة(735هـ/1335م)، وكان نصّه "بأن لا يعمل محاضر بوقف، ولا ينزع ملك ولا وقف إلا بمكان قديم، ولا يحكم في ذلك إلا بعد ثبوته عند قاضي القضاة شرف الدين المالكي(701ه/1301م)، وفيه وصايا كثيرة بأمور الشرع المطهّر، وألا ينفرد أحد من القضاة بحكم وحده إلا بالمذاهب الأربعة"[8].

وكان لكل مذهب من المذاهب قاض للقضاة، يرتبط به جميع قضاة مذهبه، لكنّ الحظوة كانت لقاضي الشافعية، المذهب الرسمي للدولة، إذ كان يعدّ صدر المجلس، والمسؤول عن جميع قضاة القضاة في الشام كلّها، يلبس الطيلسان[9]، وخلعته سوداء مختلفة عن غيره من أرباب مهنته، وبقيتهم يرتدون خلعة من الصوف[10]. وقد يتخلّى بعضهم عن لبس الطيلسان، وهذا ما فعله القاضي محيي الدين بن الزكي عندما تولى القضاء سنة (685هـ/1260م)، إذ ارتدى خلعة

---

(1) العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص85.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص199.

(3) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص178، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص275.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص23.

(5) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص458، 522، ج3، ص592، 775، البرزالي، الوفيات، ص42، 346.

(6) النويري، نهاية الأرب، ج32، ص231.

(7) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص761.

(8) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص761.

(9) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص199. والطيلسان نوع من الثياب يوضع فوق الكتف أو الرأس. انظر المصدر نفسه، ج4، ص44.

(10) العملة، نيابة دمشق الشام، ص86.

فرجية[1] سوداء، نُسجت بالذهب،وعلى رأسه بقبار صوفٍ بلا طيلسان"[2]، وربّما جاء تغييره للباس القضاة لأنه كان متعاوناً مع هولاكو، الذي ولاه قضاء الشام حين احتلها في تلك السنة[3].

وكان بعض القضاة يختص في الحكم ببعض مدارس الجامع الأموي، ومنها المدرسة العادلية وغيرها[4]، وارتبطت بهم مهام أخرى، مثل النظر في أمر الشهود وتعيينهم وتقييم أدائهم، لتوجيه النصائح لهم، أو لوضع الشروط الخاصة بمهمتهم، ويذكر المؤرخون مجلسهم في ذلك الذي عقدوه في الجامع الأموي في(ربيع الأول من سنة 711هـ- تموز من سنة 1311م)[5]. ثم اجتماعهم فيه (أواخر ربيع الأول من سنة 714هـ-تموز من سنة 1314م)، فاتفقوا فيه على ألا "يجلس الشهود في المجالس، وألا يكون أحدهم في مركزين، وألاّ يتولوا إثبات الكتب، وألاّ يأخذوا أجراً على الشهادة، وألا يغتابوا أحداً، وأن يتناصفوا في المعيشة"[6]. ويبدو من هذا الخبر أن اجتماعهم كان لتصحيح ما انحرف من سلوك الشهود، ورغبة في إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح.

وكان الجامع الأموي مجلساً لفضّ النزاع الحاصل بين القضاة، كالخلاف الذي كان على تولية المدراس سنة(743هـ/1343م) بين القاضي صدر الدين بن جلال القزويني، وبين القاضي فخر الدين المصري(ت717هـ/1317م) لتولي المدرسة العادلية، وانتهى لصالح الأخير[7].

ومن الجدير ذكره في هذا السياق أن قاضي قضاة الشافعية كان يتولّى خطابة الجامع الأموي، وكان غيره من قضاة المذاهب الأخرى يتنافسون عليها، فكان لقب الخطيب عندهم يعلو على لقب القاضي، لذا كانوا يسعون إلى الاحتفاظ به[8].

---

[1] ثوب واسع له أكمام يلبسه عادة علماء الدين. مصطفى، إبراهيم وآخرون، لمعجم الوسيط، مادة "فرج".

[2] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص54.

[3] عبد الرحيم، رائد، أثر الغزو المغولي في الثقافة العربية في العصر المملوكي، ص97.

[4] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص458، 522، ج3، ص592، 775، البرزالي، الوفيات، ص42، 346.

[5] البرزالي، الوفيات، 131.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص214.

[7] المصدر نفسه.

[8] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص64.

ويتبيّن من تراجم القضاة أن بعضهم كان يعمل في التدريس في الجامع الأموي أو في مدارسه، ومنهم كمال الدين بن الزِّمِلْكَاني[1]، وقاضي القضاة علاء الدين القونوي، الذي تصدّر لإقراء الطلبة في الجامع الأموي[2]. ومثلهم قاضي القضاة نجم الدين الدمشقي، الذي درّس في الغزالية والأمينية وغيرهما من المدارس التابعة للجامع[3]، وكذلك القاضي جمال الدين الدمشقي، الدمشقي، الذي درّس في البادرائية، واشتغل في العلم في الجامع الأموي[4].

ث- الوعظ

أدى الجامع الأموي في العصر المملوكي الأول دوراً دينياً مهماً، إذ كثر فيه حلقات الوعظ، التي كان يتولاها علماء تمكنوا من العلوم الدينية، وكانت لهم سيرة صالحة، وخلق قويم، ومكانة عالية، وكانوا بلغاء وفصحاء في زمانهم، وهذا ما ورد في سيرة أغلبهم، التي أشارت إلى مجالسهم الوعظية[5].

وقد عرفت هذه المجالس في ذلك العصر باسم **المواعيد ومفردها ميعاد**، ربما لأنها كانت تقام في مواعيد مخصوصة ومنظّمة، وكانت تزدهر وتكثر في أشهر رجب وشعبان

---

[1] محمد بن علي بن عبد الواحد. ولد سنة (666هـ/1268م)، سمع الحديث وحدّث، وقرأ الفقه والأصول والنحو، وكتب الإنشاء،تولى القضاء، والتدريس في عدة مدارس في الشام. توفي سنة(727هـ/1325م). ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص291-293.

[2] أبو الحسن علي بن نور الدين بن إسماعيل الشافعي. ولد سنة(686هـ/1270م). كان إماماً عالماً، فقيها، وصف بتدينه وأخلاقه الرفيعة. توفي سنة (729هـ/1329م). ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص367-368، النويري، نهاية الأرب، ج32،ص237.

[3] أحمد بن محمد بن سالم بن أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن الربعي. ولد سنة(655هـ/1257م). وصف بالتدين، وحسن الخلق، وتولى غير وظيفة إلى جانب القضاء منها التدريس ومشيخة الشيوخ. توفي سنة (732هـ/ 1323م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص465، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص16، الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص126.

[4] محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عثمان البكري الدمشقي. ولد سنة(694هـ/1295م). سمع الحديث وحدّث، وكان فقيها ومفتياً. توفي سنة(769هـ/1368م). ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص117-118. ولمزيد من الأمثلة،انظر ابن العراقي، الذيل على العبر، ق1، ص286-287.

[5] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص962-963، الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص642-643، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص20، 23.

ورمضان، وربما بعض الوعاظ كان لا يجلس إلا في هذه الأشهر[1]. وكان يحضر بعض هذه المجالس عدد كبير من الناس وبخاصة حين يكون الواعظ فيها مشهوراً كما قيل عن مجالس ابن السرج الدمشقي[2]، ومجالس تقي الدين بن تيمية، وقد ذكر ابن بطوطة أن الأخير كانت تعقد مجالسه يوم الجمعة، وكان الناس يعظمونه ويبجلونه، ويتكلّم فيها بفنون متنوعة، ربما خالف فيها جمهور الفقهاء في عصره، ما يحدوهم إلى شكواه إلى السلطان[3]، وقد شهد ابن بطوطة بعض ما وعظ به ابن تيمية وصرّح به في مجالسه إذ قال، "وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكّرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: "إنّ الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء، فأنكر ما تكلّم به، فقامت قيامة العامة إلى هذا الفقيه، وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته"[4]. وهذه الحادثة تدل على أن مجالس الوعظ هذه كانت محل عرض آراء جريئة، وربما أدت إلى فتنة داخل الجامع الأموي، وكان لها آثارها لاحقاً.

وذكر بعض المؤرخين أيضاً أن هذه المجالس كانت تُعقد لقراءة الحديث الشريف وتدريسه في كثير من الأحيان، وكان يقرأ في بعضها صحيح البخاري كاملاً في شهر رمضان[5]، وعادة ما كان يبدأ الوعظ بقراءة شيء من القرآن الكريم، ثم ينتقل متوليها إلى وعظ وعظ الناس مستخدماً أساليب الترغيب والترهيب حسبما يقتضي المقام[6].

وقد اشتهرت عدد من مجالس الوعظ في الجامع الأموي لتدريس الحديث الشريف وإقامة المواعيد، ويبدو أن بعضها كان بمسمى قديم واستمر إلى العصر المملوكي الأول، ومنها ميعاد

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص294، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص107-108.

[2] عماد الدين أبو بكر إدريس بن أحمد بن الفتح. كان محدثاً ومفتياً وفقيهاً، له مواعيد في الجامع الأموي، ويعتقد فيه الناس ويبجّلونه. توفي سنة (782هـ/1380م). ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص23.

[3] ابن بطوطة، الرحلة، ص88..

[4] المصدر نفسه، ص89.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص294، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص107-108.

[6] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص962-963، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص189.

المجد، وكان يعقد عند قبر زكريا بن يحيى، وميعاد الأمير سيف الدين بن الغرس خليل، وميعاد القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني[1].

وقد احصت الدراسة أسماء عدد من وعاظ الجامع الأموي في العصر المملوكيّ الأول، وهم من لم يذكروا آنفاً:

أسماء الوعّاظ	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
نجم الدين، علي بن علي بن أسفنديار البغدادي البوشنجي.	كان محدثاً، فاضلاً، وله مجالس حسنة في الجامع الأموي، وكان وعظه أيام السبت من أشهر رجب وشعبان ورمضان. توفي سنة(676هـ/1277م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص294، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص107-108.
أبو إسحاق الرقي الحنبلي، إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن معالي.	كان مفسراً وفقيها، وعارفاً بالطبّ، وفاضلا ورعا، له مجلس وعظ بزاوية تحت مأذنة الجامع. توفي سنة(703هـ/1304م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص15.
عفيف الدين أبو عبد الله، محمد ابن عبد المحسن بن أبي الحسن ابن عبد الغفار البغدادي الحنبلي المعروف بالدواليبي أو بابن الخرّاط.	ولد سنة(638هـ/1241م). سمع الحديث وحدّث، وكان أديباً فاضلا، وعظ في الجامع الأموي. توفي سنة(728هـ/1328م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص294-295.
شهاب الدين محمد بن علي ابن أبي بكر الرقي.	كان محدثاً، وصف بالفضل بالتدين والورع والصلاح وكرم النفس. وكان له مواعيد في الجامع الأموي	الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص642-642.
محب الدين عبد الله بن أحمد ابن بي بكر بن محمد ابن إبراهيم بن احمد المقدسي الحنبلي.	أحد وعاظ الجامع الأموي، كانت له في المواعيد أشياء مفيدة. وصف بالفضل والصلاح. توفي سنة(737هـ/1337م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص962-963، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14،ص189.

[1] ابن شدّاد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص58، النعيمي، الدارس، ج2، ص317.، زوربا، فريال، الحياة الاجتماعية في العهد المملوكي، ص232.

بدر الدين حسن بن محمد ابن إسماعيل بن منصور بن أحمد الطحان.	سمع الحديث وحدّث، له مجلس وعظ وحديث في الجامع الأموي، ووسم كغيره بالصلاح والتدين. توفي سنة(743هـ/1346م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص20.
أبو الحسن الواسطي البغدادي، علي بن إبراهيم ابن علي بن معتوق بن عبد المجيد بن وفاء المعروف بابن الثردة.	أديب وواعظ ومحدّث. توفي سنة(750هـ/1349م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص933، الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص463-464، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص121.

- **التصوّف والجامع الأموي**

ازدهر التصوّف في العصر المملوكي الأول، وكان امتداداً لسابقيه في كثرة فرقه، وتنوّع أفكارها واتجاهاتها وطقوسها المختلفة التي تحدثت عنها كتب التاريخ والتراجم، ومنها كتاب المدخل لابن الحاج(ت737هـ/1337م)، وعماد الدين الواسطي(ت711ه/1311م) في رحلته في البحث عن الفرقة التي تسير على الحق، وكثر رجال هذه الطوائف الذين آمن بهم الناس واعتقدوا غاية الاعتقاد على حد تعبير مؤرخي العصر[1]. وقد اهتم سلاطين المماليك ودولتهم بالتصوف، فقربوا المتصوفة، بل كان بعضهم منهم، يؤمن بأفكارهم، ويدافع عنهم، ومن هنا اشتركوا في طقوسهم ومجالسهم، وبنوا لهم الخانقاوات والربط والزوايا الخاصة بهم، ووفروا لهم سبل الراحة المختلفة فيها من مأكل وملبس ومشرب[2]. وأسهم الجامع الأموي في هذه الحركة الصوفية وانتشارها وازدهارها، فكان مأوى لهم ولطقوسهم، وللمجاورين منهم، وعُرفت لهم أماكن مخصوصة فيها، ومنها الخانقاة السميساطية بباب الناطفيين[3]، وكان يُعيّن مسؤولها من الدولة المملوكية السلطان أو نائبه، ويُدعي شيخ الشيوخ، وفي مقدمتها ان يكون متصوفاً،

---

[1] انظر ابن الحاج، المدخل، ج1،93-128، ابن تيمية، فقه التصوف، ص251-295، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص141، ج1، ص681-682، الوافي بالوفيات، ج10، ص106، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص473، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص347.

[2] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص92، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق في عهد تنكز، ص288.

[3] النعيمي، الدارس، ج2، ص118-119.

وصالحاً فاضلاً، ومنقطعا للصلاة والعبادة، وكثير الذكر، يعرف السنة النبوية، ويعظ أتباعه بها، ويساعد المحتاجين والفقراء[1]. ويستقبل شيخ الشيوخ الوفود السلطانية ويكرمهم، وينفذ ما يطلبون، ويكتب التهاني، ويرسلها إلى السلطان ونائبه نهاية كلّ شهر، وكذلك في الأعياد والمناسبات الرسمية[2]. وكان معظم مشايخ ونزلاء هذه الخانقاة من الفقراء الصوفية، والمنقطعين للعبادة، ومن أبرز متوليها من مشايخ الشيوخ، قاضي القضاة شرف الدين محمد بن أبي بكر المالكي توفي سنة(ت701هـ/1301م)[3]، وجاء بعده شيخ الشيوخ وقاضي القضاة علاء الدين القونوي علي بن محمود بن حميد الحنفي(ت749هـ/1349م)، الذي تولاها تطوّعا، ولم يأخذ عليها أجراً[4]. ويتضح من الأخبار التاريخية أن الخانقاة السميساطية كان يسكنها أحياناً طوائف منحرفة من الصوفية، تلك التي تبيح مجالسهم الغنائية وربما الرقص والشذوذ، فقد ذكر الكتبي أن رجلاً طلب إلى تقي الدين التكريتي[5] أن يتوسط له عند شيخ السميساطية لينزل فيها، ففعل، فاعتذر شيخ الشيوخ بأن الطالب ليس صوفياً، ثمّ أحضر الرجل عنده وسأله: "تعرف أن من فيها يأكلون الأرز المُفلفل، فأجابه نعم، وأنك لا تعرف ترقص في السمار، فأجابهم: بلى، وقالوا له: ما تعرف تلوط على المليح، قال: بلى والله، فقال له: صوفي أنت من يوم"[6]. ويتبيّن من البحث أن بعض شيوخ هذه الخانقاة كان على علاقة مميّزة ببعض الأمراء والرؤساء في الدولة المملوكية، ومنهم الشيخ عمر بن حمد بن مرداس الحلبي[7]، ومنهم نجم الدين، طاهر بن أبي بكر بن محمد التبريزي، الذي كان على علاقة طيبة بالأمير تنكز الحسامي[8].

وقد حصرت الدراسة أسماء مشايخ هذه الخانقاة والمجاورين بها، وهم:

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج12، ص409-410، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق في عهد الأمير تنكز، ص87-88.

(2) زيادة، نقولا، دمشق في عصر المماليك، ص170، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق في عهد الأمير تنكز، ص86-87.

(3) النويري، نهاية الأرب، ج23، ص241، المقريزي، السلوك، ج2، ص352.

(4) النويري، نهارية الأرب، ج33، 2237-238، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص74.

(5) توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة، ولد سنة(620هـ/1223م). كان مقرّباً من السلطان حسام الدين لاجين، وولاّه الشام. توفي سنة(698هـ/1298م). الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص261.

(6) الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص261-262.

(7) ناصر الدين الناصري المعروف بابن ألطنبغا، سمع الحديث، وتوفي سنة(701هـ/1302م). الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص261-262.

(8) ابن العراقي، الذيل على العبر، ق1، ص347-384.

أسماؤهم	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
تقي الدين،أبو الفتح الإربلي الذهبي الصوفي، عمر بن يعقوب بن عثمان بن أبي طاهر.	سمع الحديث وحدّث، وصف بالخير والصلاح. توفي سنة(673هـ/1275م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص136.
تقي الدين أبو بكر بن علي ابن أبي بكر.	أحد صوفية السميساطية، سمع وحدّث. توفي سنة(673هـ/1275م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص174.
شرف الدين الإربلي.	من كبار صوفية السميساطية، كان زاهداً جليلاً له خلوات ومجاهدات وأوراد. توفي سنة(675هـ/1277م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، 186-187.
داؤد بن أحمد بن سُنقر المقدمي.	كان صوفيا ومحدّثاً بالخانقاة السميساطية. توفي سنة (690هـ/ 1291م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص404.
شهاب الدين، أبو الظاهر الإربلي، أحمد بن يونس بن أحمد بن بركة.	كان صوفياً، نزيلاً بالسميساطية، سمع وحدّث، وكان عالما صالحاً. توفي سنة(693هـ/1294م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، 760-761.
فخر الدين الخلخالي الصوفي.	أحد صوفية السميساطية، وكان زاهداً، كبير القدر. توفي سنة(694هـ/1295م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص793.
فخر الدين يوسف بن أبي بكر ابن محمد بن عثمان بن علي ابن محمد بن محمد بن حمويه الجويني.	كان شيخ الشيوخ في الخانقاة السميساطية، توفي سنة(694هـ/1295م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص298.
مجد الدين الهمذاني	أحد شيوخ السميساطية، توفي سنة(711هـ/1311م).	البرزالي، الوفيات، ص156.
أبو القاسم الحسيني الكاشغري الصوفي، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم.	كان شيخا للخانقاة السميساطية. توفي سنة(716هـ/1316م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص302.

برهان الدين القسار البخاري الصوفي القصّار.	وصف بالصرح والحسن. توفي بالخانقاة السميساطية سنة(717هـ/1317م).	البرزالي، الوفيات، ص415.
جمال الدين بن محمود بن خليفة بن محمد الكيلاني.	وصف بالتدين والصلاح والفضل. يحب الحديث النبوي والسنة، ويحب عمل الخير في الخانقاة السميساطية. توفي سنة(732هـ/1332م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص571.
أبو علي الحسن بن علي بن محمد البغدادي.	سمع وحدث، وكان شيخا في السميساطية. توفي سنة(751ه/1350م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص137.

ولم يقتصر وجود المتصوفة والمجاورين على الخانقاة السميساطية، بل كانوا منتشرين في شتى أرجاء الجامع الأموي، فمنهم من حدّدت المصادر أماكنهم، ومنهم من اكتفت بالإشارة إلى مجاورتهم إياه، فمن هؤلاء الشيخ محمد بن أبي بكر الكنجي(ت700هـ/1301م)، الشيخ الصالح، الذي جاور أكثر من سنة في الجامع الأموي[1]، ومنهم الشيخ حسن الحمداني البعلبكي(ت733هـ/1333م)، الذي جاور في الجامع مدة من الزمان[2].

وكانت الكلاسة مكاناً للمجاورين من المتصوفة بخاصة، يقيمون فيه، وذكرت المصادر منهم الشيخ محموداً الشيرازي الفقير، الذي أقام فيها إلى أن توفي سنة(692هـ/1293)[3]، والشيخ الصوفي عمر بن محمد بن محمود الكركي البصروي المعروف بالزيلعي(ت718هـ/1318م)، واستمرت مجاورته فيها 40 سنة[4].

واتخذ بعضهم المقصورة الحنفية مكانا يجاور فيه، مثل الشيخ محمد بن محمود بن صدقة ابن بركات المعروف بالكلوتاتي الضرير(ت735هـ/1335م)، وكان شيخاً صالحاً، يُكثر

---

[1] الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص353.

[2] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص613.

[3] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص197.

[4] البرزالي، الوفيات، ص484.

التلاوة وقراءة القرآن[1]. ويبدو أن هناك بيوتاً تحت المأذنة الشرقية خصّصت لمشايخ الجامع ومجاوريه من المقيمين والغرباء، يأوون إليها، ويلازمون العبادة، ومنهم الشيخ إبراهيم بن أحمد ابن محمد بن معالي، الذي توفي في بيته هناك سنة(703هـ/1304م)[2]. وأقام الشيخ شمس الدين شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الملك الجياني في الجامع أكثر من أربعين سنة، واتخذ بيتاً وخزانة في تلك المأذنة[3]. ويبدو أن بعض المجاورين من المتصوفة في تلك المأذنة قد اشتهر بزهده وانعزاله وتعبده بين الناس حتى أضحى يوصف بالأدب شعره ونثره، ومنهم الشيخ إبراهيم البقاعي المعروف بابن الصباح(ت725هـ/1325م)، الذي وصفه الصفدي بقوله: (كان يمشي في الجامع كأنه مُريب، وينفر حتى تقول هذا غريب، لا يأنس بإنسان، ولا يتألف بإحسان، من رآه قال: هذا طافحُ السُّكرة، لافح الحمرة، سائح العبرة، جامع الخطرة إلى الحضرة، جائع الفكرة إلى الخلاص من العشرة"[4]. واعتقد بعض الناس ببعض من سكن المنارة لكثرة انشغالهم بالعبادة، وزهدهم وانقطاعهم عن الناس، وممّن اعتقدوا فيهم الشيخ الصالح حسن بن علي بن أحمد الأنصاري الدمشقي(ت730هـ/1330م)[5].

وأقام بعض المجاورين في مشهد أبي بكر، ومنهم الشيخ عبد الله بن موسى بن احمد الجزري (ت725هـ/1325م)، المعروف بزهده وتقواه وكثرة عبادته[6].

هذه نماذج دالة على دور الجامع الأموي في الحركة الصوفية في عصره، وهناك الكثير من الأسماء الذين ذكرتهم المصادر، زهدوا في الدنيا، وتركوا أعمالهم، وانقطعوا في الجامع،

---

[1] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص738.

[2] كان شيخاً إماماً، واعظاً ومفسراً وفقيها، يعرف الطب، وله نظم ونثر، ومؤلفات ومصنّفات. الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص51-52.

[3] شيخ حسن، كثير التلاوة والعبادة. توفي سنة(719هـ/1319م). الصفدي، أعيان العصر، ج1، 61-63.

[4] الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص61-62. وانظر ما رثي فيه من شعر هناك.

[5] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص445، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص158. ولمزيد من الأمثلة انظر الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص216-217.

[6] الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص734-735، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص123، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص186-187.

وقضوا وقتهم فيه معتكفين، يذكرون الله، ويتلون القرآن، ويقيمون مجالس الوعظ والعلم، ويعينون المحتاجين[1].

- **الجامع الأموي ودوره في الحياة السياسية**

كان للجامع الأموي دور مهم في الحياة السياسية، فهو وإن كان في الأصل مؤسسة دينية، إلا أن وجوده كان مرتبطاً بمصالح الدولة وسياستها العامة، ومن هنا كان له ومؤسساته والموظفين فيه علاقة مباشرة بالدولة، وربما كانت بعض الوظائف، كما مرّ آنفاً، مرتبطة بالسلطان المملوكي مباشرة أو نائبه، مثل الخطابة والقضاء، لحساسية هاتين الوظيفتين فيه، وكانت مراسيم تعيينهم تقرأ على منابره، وكذلك كانت مراسيم تعيين أو عزل رجال الدولة على مختلف مناصبهم، والكتب السلطانية تقرأ هناك، وعادة تكون قراءتها عقب صلاة الجمعة، على سدّة الجامع[2] لوجود عدد كبير من المصلين فيه، ليستمعوا إلى محتواه، ويرافق ذلك حضور الأمراء والأعيان والنوّاب والقضاة الشافعي والحنفي، وغيرهم من رجال الدولة[3]. ومن ذلك المرسوم السلطاني الصادر سنة(669هـ/1270م)، عن السلطان المنصور قلاوون (ت689هـ/1290م)، ويقضي بتولي ابنه علي الملقّب بالصالح علاء الدين ولاية العهد[4]، وأصدر السلطان ذاته مرسوما يؤكد هذه الولاية للعهد سنة (679هـ/1280)، وقرئ على سدة الجامع الأموي[5]. ومثله تقليد ورد بتعيين سيف الدين قبجق المنصوري[6] نائباً للسلطان على الشام سنة(699هـ/1300م)[7].

---

[1] لمزيد من الأمثلة انظر البرزالي، الوفيات، ص29، 83، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2،ص310-311، 572، ج3، ص637-638، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص862، العمري، مسالك الأبصار، ج1،ص253، الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص495-496، ج5، ص268، المقريزي، السلوك، ج2، ص428، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص91.

[2] النويري، نهاية الأرب، ج31، ص268، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص195.

[3] النويري، نهاية الأرب، ج31، ص269، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص314.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص309.

[5] الكتبي، عيون التواريخ، ج21، ص249، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، ص190.

[6] من أصل مغولي. تنقل في النيابات في دمشق وحلب وحماة. كان شجاعاً بطلاً، توفي (710هـ/1310م). ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص241، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص153.

[7] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص713، المقريزي، السلوك، ج2، ص323.3

وارتبطت الخطبة في الجامع الأموي بالدعاء للسلطان، فكان ذلك علامة على السيطرة السياسية، او تولي الحكم، كما حدث سنة(679هـ/1280م)، حين تولى الشام الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري[1]، وربما كان الدعاء دالاً على تغيّر الموقف السياسي وقد كان السلطان الأشرف خليل بن قلاوون(ت693هـ/1293م) يرسل المراسيم ليؤكد ذلك، وربما ليدل على تغيّر في سياسات الدولة، فبعد أن أرسل مرسوما يطلب فيه إلى الخطيب أن يقرن اسمه باسم أخيه الناصر محمد بن قلاوون (741هـ/1341م) في الدعاء سنة (693هـ/1294م)، عاد في السنة ذاتها فأصدر مرسوما يقضي بالدعاء له وحده في الخطاب على منابر جامع دمشق[2]. واقترن الدعاء وقراءة المراسيم على منابر الجامع بالانقلابات السياسية كذلك، فحين استولى الملك المنصور حسام الدين لاجين (ت698هـ/1299م) على الحكم، وأقصى الناصر محمد بن قلاوون سنة(696هـ/1297م)، قرأ المؤذنون في الجامع الأموي وغيره، فقال:" قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كلّ شيء قدير"[3]، ودعوا للملك الجديد، وعقب صلاة الفجر دعا له قارئ المصحف في الجامع الأموي[4].

وكانت منابر الجامع الأموي أيضاً مكاناً لقادة العدو الذين غزوا الشام في ذلك العصر، وسيطروا عليها، إذ كانوا يعلنون عليها سيطرتهم، ويوجهون الناس إلى تعليمات حكمهم الجديد، ويعلنون عليه مراسيم الأمان الخاصة بالناس، ثم يدعون للحاكم الغازي الجديد، وهو ما فعله القائد المغولي هولاكو(ت663هـ/1265م) حين احتل دمشق سنة(658هـ/1260م)، فأصدر مرسوم أمان لأهل دمشق، قرئ في الجامع الأموي[5]، ومثله فعل القائد المغولي محمود غازان

---

[1] أبو محمد الجوكندار. كان رجل علم ودهاء، شجاعاً. ناب عن الناصر محمد بن قلاوون بعد مقتل حسام الدين لاجين،وتولى نيابة حماة. توفي سنة (728هـ/1328م). الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص87، الوافي بالوفيات، ج11، ص30.

[2] النويري، نهاية الأرب، ج30، ص268-296، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص195، 200.

[3] سورة آل عمران، آية 25.

[4] ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص227، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص56، دهمان، محمد، ولاة دمشق في عهد المماليك، ص84.

[5] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص20-21.

حين احتلّ الشام سنة(699هـ/1300م)، واستمرت له الخطبة فيها مئة يوم، فخطب له على منابر الجامع الأموي بألقابه" السلطان الأعظم، سلطان الإسلام والمسلمين، مظفر الدنيا والدين محمود غازان"، وفي الفرمان ذاته كان الأمان، وتولي سيف الدين قبجق المنصوري نيابة الشام عنه[1].

وكانت البشائر كذلك تصدر فراميها وتُقرأ في الجامع الأموي، وهو ما حدث حين خرج المغول من الشام في السنة السابقة، وأعيدت الخطبة للسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون[2]، وراح الناس يكسرون المنجنيق الذي نصبه المغول على الجامع الأموي، ليرموا به قلعة دمشق[3].

وكانت الإجراءات السلطانية الصادرة بحق العلماء وكبار رجال الدولة تُقرأ على منابر الجامع الأموي أيضاً، ومنها القرار الذي صدر سنة(726هـ/1326م)، باعتقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية، ومنعه من الفتيا[4].

ومثل ذلك كان يحدث في المراسيم الخاصة بالضرائب المُبطَلة أو تلك التي سامحت الدولة بها مواطنيها، فقد كانت تقرأ على سدة الجامع، منها ما كان سنة(711هـ/1311م)، وسنة(713هـ/1313م)، الذي قضى بإبطال الضرائب وضمان القواسير والنبيذ، والإفراج عن المساجين[5]، ومثل ذلك مرسوم سنة(714هـ/1314م)[6].

وكانت المراسيم الخاصة بالأوقاف تعلن على منابر الجامع الأموي، وتتضمن توجيهات خاصة بها، وتعليمات توصي بإيصالها لمستحقيها، وتحثّ على عمارتها، والاهتمام بها، والالتزام

---

[1] المنصوري، زبدة الفكرة، ص337-338، الدواداري، كنز الدرر، ج9، ص24-27، النويري، نهاية الأرب، ج31، 394، الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص14-17، تحفة ذوي الألباب، ص491، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص101-102.

[2] الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص49، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص12، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص104، دهمان، محمد، ولاة دمشق في عهد المماليك، ص104-105.

[3] الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص18، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص10.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص128.

[5] المصدر نفسه، ص72-73، 115.

[6] البرزالي، الوفيات، ص236، دهمان، محمد، ولاة دمشق في عهد المماليك، ص104.

بشروط واقفيهاً، وتوليتها من كان مؤهلاً لها[1]. وهناك مراسيم خاصة باهل الذمة كانت تقرأ أيضا على منابر الجامع الأموي، ومنها ما كان سنة(755هـ/1354)، وكان فيه تعليمات لهم، وقوانين عليهم الالتزام بها، وتضمّن إلزامهم الشروط العمرية التي حوتها عهدته حين فتح بيت المقدس المرة الأولى سنة(16هـ/637م)، وجاء في المرسوم "ألا يُستخدموا في شيء من الدواوين السلطانية والأمراء، ولا في أي شيء من الأشياء، ولا تزيد عمامة أحدهم على عشرة أذرع، ولا يركبوا البغال ولا الحمير، ولا يدخلوا إلا بالعلامات من جرس أو بخاتم نحاس أصفر أو رصاص، ولا تدخل نساؤهم مع المسلمات الحمامات، وليكن لهن حمامات تختص بهن، وأن يكون إزار النصرانية من كتّان ازرق، واليهودية من كتان أصفر، وأحد خفيها أبيض والآخر أسود، وأن يحكم حكم مواريثهم على الأحكام الشرعية"[2].

وكانت بعض الأفراح تقام في الجامع الأموي وساحاته ومناطقه المحيطة، احتفاء بتولي نائب جديد أو عودة نائبهم من السفر، فيضيئون الشموع في طريقه، ويدعون له، وهذا ما حدث عندما عيّن الأمير جمال الدين آقوش الأفرم[3] نائباً على دمشق سنة(699هـ/1300م)[4]، وحين وحين احتفلوا بعودة الأمير تنكز من إلى الشام إلى مصر سنة(731هـ/1331م)[5]، وأوقدوا له الشموع إلى باب البريد محتفين به سنة(716هـ/1336م)[6]، وحين جاء ليصلي في الجامع الأموي سنة(737هـ/1337م)[7]. وربما ختموا في احتفالاتهم هذه صحيحي مسلم والبخاري، وهو ما حدث عندما عاد الأمير سيف الدين بيدمر[8] بعد غياب سنة(766هـ/1365م)[9].

---

[1] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص197، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص274.

[2] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص262.

[3] نائب دمشق، وهو من أكابر المماليك البرجية الشراكسة، كان قوياً حازماً. توفي سنة (714هـ/1314م). الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص561.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص4.

[5] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص462-463.

[6] المصدر نفسه، ج3، ص854-855.

[7] المصدر نفسه، ص931.

[8] سيف الدين البدري. أحد أمراء القاهرة، وله تربة فيها، أقام بدمشق مدة ثم تولّى نيابة طرابلس ثم حلب. قتل سنة(748هـ/1347م). الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص98.

[9] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص327.

وكان بعض أرباب الدولة يصلون في الجامع الأموي، ومنهم السلاطين، فكان إذ قدم أحدهم إلى دمشق يصلي الجمعة فيه في المقصورة بعد سماعه الخطبة، صحبة القضاة والأعيان ورجال الدولة والناس[1]، وكان بعضهم يتجوّل في الجامع يتفقده، مثلما فعل الملك زين الدين كتُبْغَا[2](ت701هـ/1302م) فبعد أن صلى الجمعة الأولى من وصوله إلى دمشق سنة(699هـ/1297م)،، زار مصحف عثمان، وتجوّل في الجامع الجمعة الثانية حتى قبر هود، وصلّى عنده، وقدّم الناس شكاويهم إليه مكتوبة، ومثل ذلك فعل في الجمعة الثالثة من وصوله إلى دمشق[3]. وزار السلطان الناصر محمد ابن قلاوون دمشق سنة(712هـ/1312م)، فصلّى الجمعة من شهر شوال فيه رفقة القضاة ورجال الدولة[4]. ومثله فعل الأمير علاء الدين أيدغمش[5] نائب السلطنة بدمشق سنة(743هـ/1352م)، إذ صلّى الجمعة بالمقصورة في الجامع الجامع مع الأمراء والقضاة[6].

وكان إذا ما ألمّ خطب بأحد رجال الدولة وتجاوزه، أقام مجالس عبادة فرحاً وشكرا لله في الجامع الأموي، يختم فيها صحيح البخاري، فيروى أن الأمير بدر الدين بيدرا[7] مرض

---

[1] النويري، نهاية الأرب، ج31، ص307، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص680، 693-694، دول الإسلام، ج2، ص216، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص213-214، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص245.

[2] العادل بن عبد الله المنصوري. من أكابر أمراء دولة الناصر مجمد بن قلاوون، تولى حماة وأعمالها، واستولى على الحكم فترة من الزمن. توفي سنة (701هـ/1302م). ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص262-264، المقريزي، السلوك، ج1، ص806-810.

[3] النويري، نهاية الأرب، ج31، ص386، الذهبي، تاريخ الذهبي، ج51، ص694، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص671، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص220، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص52.

[4] الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص246، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2، ص254، الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص93.

[5] أمير آخور الناصري، كان مسؤولاً عن الاصطبلات في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم تولى نيابة الشام، وصف بكرمه وشجاعته. توفي سنة (756هـ/1355م). الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص652-654.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص214. ولمزيد من الأمثلة انظر الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص89-90، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص158، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص214، ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص404.

[7] كانت له مكانة في دولة المنصور قلاوون، وناب عن ابنه الأشرف خليل في الحكم، وصف بالعقل والدين والعدالة، وكان مطّلعاً على كثير من الكتب والعلوم. توفي سنة (693هـ/1292م). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص241-242.

سنة(691هـ/1292م)، ثم شفي من مرضه، فأقام ليلة لختم صحيح البخاري في الجامع الأموي، حضرها قضاة وعلماء ورجال دولة، وكثير من الناس[1].

ويضاف إلى ذلك أنه كان يصلّى صلاة الغائب أو الجنازة على بعض رجال الدولة في الجامع الأموي، وربما أقاموا لهم فيه بيوت عزاء، مثلما فعلوا بعد وفاة الملك السعيد بن المنصور قلاوون سنة(678هـ/1279م)، إذ كان توفي في الكرك، فصلوا عليه صلاة الغائب في الجامع الأموي لحظة وصول خبر وفاته[2]. وذكر أن بعد وفاة الأمير عز الدين أيدمر[3] سنة(667هـ/1269م)، عمل له عزاء في الجامع الأموي، وحضره السلطان[4]. وتكشف الروايات التاريخية أن مجالس العزاء كانت تقام لرجال الدولة تحت قبة النسر[5] أو في محراب الصحابة[6].

ومن الجدير ذكره في هذا السياق أن بعض رجال الدولة كانوا يحضرون مجالس الوعظ عند بعض الوعاظ، ويقربونهم إليهم، وأشارت الدراسة إلى ذلك تحت عنوان "الوعاظ"، وكانوا يرسلون أولادهم للدراسة في مدارس الجامع الأموي، جاء في ترجمة الكاتب الشيخ نجم الدين بن قوّام الشافعي(ت734هـ/1334م)[7]، أنّه" كان يُكتّب أولاد الرؤساء في المدرسة الأمينية بجوار الجامع الأموي"[8].

---

[1] الدواداري، كنز الدرر، ج8، ص334، ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص111، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص347.

[2] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج4، ص34.

[3] عز الدين الحلبي الصالحي النجمي. من أمراء الدولة المملوكية الأولى وأكابرهم. نال ثقة السلطان الظاهر بيبرس، وينوب عنه في حال غيابه. توفي سنة (667هـ/1269م). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص3.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص27.

[5] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص311، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص87، الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص99، الوافي بالوفيات، ج9، ص310، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص366.

[6] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص698.

[7] أبو بكر بن قوام بن علي بن قوام بن منصور بن معلّى البالسي، كان أديباً، وشيخاً زاهداً عابدا، ومتصوفاً، صاحب زاوية وحال. الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص210-211.

[8] الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص214.

الفصل الرابع

دور الجامع الأموي في الحياة العلمية في العصر المملوكيّ الأول

الفصل الرابع

دور الجامع الأموي في الحياة العلمية في العصر المملوكيّ الأول

لا يقل دور الجامع الأموي في الحياة العلمية في العصر المملوكي الأول عن دوره في الجوانب الأخرى، وربما تفوّق على بعضها، فهو مؤسسة علمية وثقافية كان له دور عظيم في هذا المجال، فقد نشر بمؤسساته وعلمائه العلمَ والمعرفة في بلاد الشام بل في العالم الإسلامي، وتخرّج فيه آلاف من العلماء الذين نهلوا العلم على كبار الشيوخ في ذلك العصر، وقد شكّل الجامع الأموي بمدارسه وبحلقاته المختلفة وبكتاتيبه جامعة حوت تخصصات عديدة، لا سيما العلوم الدينية والعربية. وكان الجامع مأوى للكثير من العلماء الذي عكفوا فيه على البحث والدراسة، وتقديم المؤلفات والمصنفات العلمية، فهو في حركة علمية نشطة، شملت حلقات وعظ وعلم وتدريس، ومدارس لها شيوخها المبحرون في مختلف التخصصات. وقد وصف المؤرخون هذه الحركة العلمية النشطة في ربوعه، فكان ممّا رآه ابن بطوطة قوله: " استمرّ قرّاء القرآن يقرأونه بأصواتهم الحسنة صباحاً مساء. أمّا علماء الحديث، فكانوا يجلسون على كراس مرتفعة لتدريس الحديث الشريف"[1]، ومن ذلك الوصف الذي جاء في قول ابن فضل الله العمري: "ففيه المصلّون، والأئمة، والمؤذنون، والقرّاء، والمفتون، ومشايخ العلم وطلبته، ومدراس الحديث والفقه والتفسير، وقرّاء الأسباع"[2]. وفي الآتي تفصيل ذلك كلّه.

أوّلاً: أماكن العلم في الجامع الأموي

ذكرت الدراسة في الفصل الأول منها أن هناك دور علم مختلفة في الجامع الأموي قبل العصر المملوكي الأوّل، وأنها كانت متنوعة وكثيرة، وفي زواياه وأركانه، وقد استمرت هذه الأماكن في نشاطها، وأضيف إليها في هذا العصر دار الحديث القوصيّة، وتقع في الباب الشرقي

---

[1] ابن بطوطة، الرحلة، ص80.

[2] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص202-203.

للجامع، أسست في سنة (653هـ/1255م)، وتنسب إلى واقفها شهاب الدين القوصي[1]، وأضيف دار القرآن السنجارية لدور القرآن وتدريسه، التي تقع مقابل باب الناطفيين[2]. والزاوية المنجائية المعروفة بزاوية ابن منجا، نسبة لزين الدين بن منجا(ت695هـ/1295م)، الذي كان أوّل من درّس فيها[3].

وزاد عدد المدارس في العصر المملوكي الأول، فقد بني جديد منها، مثل المدرسة البادرائية المنسوبة إلى بانيها نجم الدين البادرائي[4]، الذي بناها سنة (654هـ/1256م)، وكان أول من درّس فيها. وتقع على باب جيرون في الجامع الأموي، واشترط بانيها شروطاً لمدرسته، منها ألا تدخلها امرأة، ولا يدرّس فيها متزوج، ولا يُجمع المدرّس بينها وبين غيرها من المدارس في التدريس. ولهذا لم يتخرّج فيها عالم فالح على ما ذكر بعض المؤرخين، لأنّ المدرّس عندما يكتمل علمه، ويلمع اسمه يرغب في الزواج، فيضطر إلى تركها[5]. وأنشئت في الجامع المدرسة الصدرية سنة (657هـ/1259م)، وأنشأها صدر الدين التنوخي المتوفى سنة إنشائها، فنسبت إليه[6]. وكانت المدرسة السفينية إحدى المدارس الجديدة في العصر المملوكي الأول، وأرجعها بعضهم للحنابلة وآخرون للحنفية أو المالكية، وكان تاريخ وقفها سنة (650هـ/1252م)[7]، ومنها المدرسة الناصرية الجوانية، وأنشأها الملك لناصر يوسف ابن العزيز، قتله المغول سنة (658هـ/1260م)، وقد عرفت في البداية بدار الزكي المعظّم، او كما

---

(1) إسماعيل بن عبد الرحمن الأنصاري، وكيل بيت المال. ولد في قوص سنة (574هـ/1178م). توفي في دمشق سنة (653هـ/1255م). الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص270، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص186، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص210-211.

(2) السنجارية نسبة لواقفها علاء الدين بن إسماعيل السنجاري. كان رجلاً ورعاً خيّراً وديّنا. توفي سنة (735هـ/1335م). النعيمي، الدارس، ج1، ص11، بدران، منادمة الأطلال، ص16، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص938.

(3) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص259.

(4) أبو محمد عبد الله البادرائي الفرضي من بادريا في واسط في العراق، تعلّم ودرس في بغداد ثم انتقل إلى دمشق. وتوفي فيها سنة (654هـ/1256م). بدران، منادمة الأطلال، ص87، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص78، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص107.

(5) بدران، منادمة الأطلال، ص87، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص78، العلبي، أكرم، خطط دمشق، ص107.

(6) كان من المعدلين، وصاحب مروءة وصدق. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص257، النعيمي، الدارس، ج2، ص67-68، الحصني، منتخبات التواريخ، ج3، ص959.

(7) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص217.

ذكر ابن شداد بدار الرّكين المعظمي، فُرغ من بنائها سنة (653هـ/1255م)، وتقع هذه المدرسة داخل باب الفراديس شمال الجامع الأموي، وهي مدرسة خاصة بالشافعية[1]. وكان من أوائل من درسوا بها محيي الدين بن الزكي، قتل سنة (658هـ/1260م)، ولعلّها لذلك نسبت إليه، والعالم صدر الدين بن سني الدولة[2] (ت658هـ/1260م)[3].

وانتشرت الحلقات العلمية وتعدّدت وكثرت في الجامع الأموي في العصر المملوكيّ الأول، وكانت هذه الحلقات متنوعة في المادة المعرفية التي تقدمها لطالبي العلم والناس الوافدين إليها، وتولى التدريس فيها شيوخ وعلماء لهم باع طويل في دروب العلم، ومتعددو التخصصات، ولذا عرفت بعض هذه الحلقات بأسماء أصحابها، أو بالموضوع الذي اختصت فيه، أو في المكان الذي تعقد فيها، وقد ذكر ابن شدّاد أن حلقات تعليم القرآن وعلومه كانت 120 حلقة، تدفع أجورها من ديوان الجامع[4]، ويضيف المؤرخ نفسه أن المتصدرين لإقراء القرآن في الجامع في في سنة (680هـ/1281م)، كانوا 73 عالماً، وبيّن أن حلقات الأسباع كانت كثيرة، بلغت 27 سبعاً، وحدّد عدد من كانوا فيها من مرتادي العلم، فقال: "السبع الكبير، وعدد من فيه 354 شخصاً، وسبع الأمير مجاهد الدين إبراهيم، وسبع مجاهد الدين بن بزان، وسبع الساوجي، وسبع ابن السابق، وسبع التاج الكندي، وسبع بن عبد، وسبع فخر الدين المالكي، وسبع مجد الدين بن الخليلي، وسبع الفاضل، وسبع المتلقين الصغار وهم 378 شخصاً، وسبع ابن المنجنيقي، وسبع عند قبر زكريا، وسبع ابن حبش، وسبع ابن كلاب، وسبع المالكية، وسبع الحنابلة، وسبع الكوثرية بعد صلاة العصر باتجاه مقصورة الخطابة، وعدد من فيه 420 شخصاً، وسبع ابن بخشان، وسبع ابن بشر، وسبع ابن الحلوانية، وسبع صاحب حمص، وسبع ابن مصعب، وسبع القاضي شرف الدين عبد الوهاب الحرّاني"[5]. وهذا يدل على الاهتمام الذي حظي به القرآن

---

[1] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص244، النعيمي، الدارس، ج1، ص350-351، بدران، منادمة الأطلال، ص149، الحصني، منتخبات التواريخ، ج4، ص951.

[2] هو قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس ابن سني الدولة المعظمي التغلبي الدمشقي الشافعي. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص259.

[3] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص244.

[4] المصدر نفسه، ج2، ص85.

[5] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص81-82، النعيمي، الدارس، ج2، ص316.

الكريم وعلومه في ذلك العصر، وعلى حجم إقبال الناس على تعلّمه ومعرفة قراءاتـــه. وهنـــاك حلقات أخرى للقرآن الكريم تصدرها علماء كبار ذكرها المؤرخون في تـــراجم رجـــال ذلـــك العصر، ومنها حلقة الشيخ تقي الدين بن تيمية، الذي كان يحضر مجلسه عدد غفير من النـــاس، وقاضي القضاة، والعلماء، والخطباء[1]. وكانت هناك حلقة للشيخ شمس الدين الصـــوفي[2] فـــي المدرسة السميساطية في الجامع "يقرئ الطلبة القرآن ويجوّده"[3].

وكثرت حلقات علوم الحديث في الجامع الأموي، وعرفت باسماء مدرسيها أو أصحابها الواقفين لها، ذكر منها التي ذكرها ابن شداد، وهي "حلقة تاج الدين عبد الرحمن الشافعي، وحلقة الشيخ رشيد الفارقي، وحلقة الشيخ شرف الدين أحمد بن المقدسي، وحلقة الشيخ برهان الدين بن المراغي، وحلقة القاضي زين الدين ابن المرحل، وحلقة الشيخ زين الدين علي بن المنجا، وحلقة الشيخ نجم الدين بن الشجاع الحنفي، وحلقة الشيخ تاج الدين الزواوي المالكي، وحلقة القاضـــي شمس الدين أبي عبد الله الشافعي، وحلقة الشيخ يحيى الزواوي المالكي، وحلقة الشيخ مجد الدين المارداني"[4]. وهناك حلقات تلمذ عليها كبار علماء الأمة مثل الشيخ شمس الدين الذهبي الـــذي حصل على إجازات من شيخها جمال الدين بن يحيى الدمشقي المعروف بابن الحبيشي[5]، وتلمذ الذهبي على حلقة المحدث شهاب الدين أبي العباس الشافعي[6]. وهناك حلقات علـــوم العربيـــة كحلقة مجد الدين أبي العباس الإربلي النحوي الحنبلي[7].

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص321، المقريزي، المقفى الكبير، ج1، ص454-455، النعيمـــي، الـــدارس، ج1، ص57.

[2] أبو عبد الله محمد بن نصر بن صالح بن جبريل بن خلف المصري. كان صوفياً تقيّا، يلازم العبادة في الجامع، ويقـــرأ القرآن. توفي سنة (718هـــ/1318م). البرزالي، الوفيات، ص497-498.

[3] المصدر نفسه، ص498.

[4] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج2، ص83-84، النعيمي، الدارس، ج2، ص317.

[5] سمع وحدّث، وكان إماماً فقيها، عرف بتقواه وعبادته وحسن سيرته. توفي سنة (687هـــ/1288م). الـــذهبي، تـــاريخ الإسلام، ج50، ص314-316.

[6] أحمد بن فرج بن أحمد بن محمد اللخمي الإشبيلي. كان محدثاً وفقيها، عرف بحسن الســـيرة والـــورع. تـــوفي ســـنة (699هـــ/1300م). الذهبي، معجم شيوخ، ص64، العبر في خبر من غبر، ج3، ص395-396، اليافعي، مرآة الجنـــان، ج4، ص231، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص59-60، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص443-444.

[7] أحمد بن علي بن أبي غالب النحوي الحنبلي. سمع وحدّث، وكان نحوياً، واشتغل بعلوم العربية في الجامع مدة. تـــوفي سنة (657هـــ/1259م). ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص288.

ووجدت حلقات علمية مختلفة أخرى في الجامع الأموي تصدّرها علماء كبار في العصر المملوكيّ الأول، وكانت مختصة بعلوم شتى وبخاصة الدينية وعلوم اللغة العربية، ولكنّ المصادر التاريخية لم تفصح عن اختصاص كلّ حلقة بدقة، واكتفت بذكر اقترانها بمدرّسها وعالمها، بأن قالت: كانت له حلقة اشتغال في الجامع. وكان موقع أكثر هذه الحلقات ذكراً في الحائط الشمالي للجامع، ومن شيوخ هذه الحلقات مجد الدين عبد الحميد الروذراوي أبو الفرج[1]، ويتضح من تراجم بعض العلماء أن هناك كراسياً كثيرة في الحائط الشمالي، وهو ما يبدو في ترجمة الشيخ نور الدين بن علي الشافعي الذي "كان يقرأ على كراسي الحائط الشمالي"[2]. وكانت هناك حلقات بين باب الزيادة وباب المقصورة، مثل حلقة الشيخ فخر الدين عثمان بن عبد الرحمن المعري[3]، وعقدت حلقات في المدارس مثل المدرسة السميساطية[4]، وحلقات خلف محراب الصحابة مثل حلقة الشيخ جمال الدين بن قاضي شهبة الشافعي[5]. وعقدت حلقات في الجامع عند قبر زكريا، عليه السلام، مثل حلقة الشيخ شمس الدين الأصبهاني[6]، ولعلّها كانت مختصة بالحديث. ويبدو أن هناك كراسياً مخصوصة لبعض العلماء في بعض الحلقات عُرفت به، مثل كرسي الشيخ شهاب الدين عبد الحليم بن تيمية، والد الشيخ تقي الدين بن تيمية الحرّاني[7]. وكرسي الشيخ شرف الدين الصرخدي الذي كان يقرئ عليه شرحاً وتصحيحاً[8].

---

[1] كان لغوياً فصيحاً، يحفظ الشعر، وخطّه جيد. توفي سنة (667هـ/1269م). الذهبي، العبر، ج3، ص316، تاريخ الإسلام، ج49، ص241، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص324.

[2] أبو الهيجاء الكركي الشوبكي الدمشقي. كان كثير التلاوة، تولى مشيخة الحلبية بالجامع. توفي سنة (766هـ/1365م). ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص327.

[3] كان شيخاً فقيها قارئاً للقراءات، وسمع وحدّث. توفي سنة (700هـ/1301م). الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص951.

[4] البرزالي، الوفيات، ص497-498.

[5] عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي. كان عالم نحو وفقه والأصول. توفي سنة (726هـ/1326م). الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص205-206، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص132.

[6] محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي. كان شيخاً إماماً، عالماً، مكبّا على التلاوة والسماع. توفي سنة (749هـ/1348م). الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص400-401.

[7] كان إماماً عالماً فاضلاً مفتياً. توفي سنة (682هـ/1283م). ابن كثير، البداية والنهاية، ج23، ص320.

[8] محمود بن أحمد بن صالح. سمع الحديث وحدّث، عرف الفقه، وكان صالحاً ديّناً متعبداً. توفي سنة (781هـ/1379م). ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص181، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص272-273.

ويتجلى من تراجم أصحاب الحلقات أن بعضهم كان يعمل فيها دون أجر لوجه الله تعالى، ومن هؤلاء زين الدين أبو البركات الحنبلي[1]، الذي كان يجلس "في الجانب الغربي للفتوى تحت قبّة النسر"[2]. وكان شيوخ هذه الحلقات من مناطق شتى مثل الشام ومصر والأندلس.

وفي الآتي استقراء لشيوخ الحلقات في الجامع الأموي غير من ذكروا آنفاً.

أسماؤهم	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
جمال الدين بن الشريشي، أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن سمحان الكركي الأندلسي الشريشي الدمشقي المالكي.	كان متميّزاً في المذهب المالكي، عالماً في الحديث والفقه والتفسير والأصول والعربية. درّس بحلقة في الجامع الأموي. توفي سنة (685هـ/1286م).	ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص46.
ولي الدين البارساه، عبيد الله بن محمد بن ركن الدين السمرقندي الحنفي.	من كبار أئمة المذهب الحنفي، كان إماماً فاضلاً عابدا، مشتغلاً بالدراسة والتعليم، وشغل الناس بالعلم في الجامع. له ورد في اليوم والليلة مائة ركعة. توفي سنة (701هـ/1302م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج14، ص204، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص263.
علاء الدين، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن الخضر المقّري الدمشقي.	سمع الحديث، وكان من أهل القرآن، يقرأ على الجنائز. له حلقة مصدّرة بالجامع الأموي. توفي سنة (709هـ/ 1310م).	البرزالي، الوفيات، ص72.
تقي الدين، أبو بكر ابن محمد بن علي الجعبري.	قرأ القرآن، وأقرأ الروايات، وكانت له حلقة اشتغال في الجامع الأموي. توفي سنة (713هـ/1313م).	البرزالي، الوفيات، ص210.

[1] المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا بن بركات ابن المؤمل المعري الدمشقي. يتضح من ترجمته أن كان عالماً بعلوم شتى في الفقه والحديث والأصول. توفي سنة (696هـ/1297م). الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص826-827، الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص449-450.

[2] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص827، الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص450.

أبو الحسن، علي بن محمد ابن عبد الله.	عرف بالفضل والصلاح، كان صوفياً، عالماً، اشتغل الناس بعلمه في الجامع الأموي، وجلسوا عنده عند صندوق له بالجامع. توفي سنة (717هـ/1317م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص86.
زكي الدين، زكريا بن يوسف بن سليمان بن حامد البجلي الشافعي.	كان محدثا وفقيها، انتفع به الناس. توفي سنة (722هـ/1322م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص68-69.
صفي الدين، محمود بن محمد بن حامد ابن أبي بكر الأرموني القرافي الصوفي.	عرف بصلاحه وتقواه وفضله، كان إماماً محدثاً، عالماً باللغة. توفي سنة (723هـ/1323).	الكتبي، فوات الوفيات، ج4، 98، المكناسي، ذيل وفيات الأعيان المعروف بدرة الحجال، ج2، ص320-321.
علاء الدين، علي بن عثمان بن عبد الواحد الطيوري.	عرف بسيرته الحسنة، وكان عالماً بالحساب، له حلقة بالجامع الأموي. توفي سنة (726هـ/1326م).	الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص461، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص49.
محيي الدين، يحيى بن سليمان بن علي ابن الأسمر الحنفي المعروف بالرومي.	كان فقيها فاضلاً، وإماماً عالماً، قرأ عليه جماعة من الفقهاء، وله حلقة اشتغال بالجامع. توفي سنة (728هـ/1328م).	الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص560، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص257.
مجد الدين، ابو الفداء إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الحرّاني.	كان زاهداً متعبداً، سمع الحديث وحدّث، وكتب وشغل وأفاد. توفي سنة (729هـ/1329م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص354.
جمال الدين، أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن شرف الديباجي المعروف بابن المنفلوطي.	كان قاضياً عالماً ديّناً فاضلاً، سمع الحديث وحدّث، واشتغل بالجامع في العلوم. توفي سنة (730هـ/1330م).	الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص164-165.
شمس الدين، محمد بن إسحاق الزهراني المالكي.	كان شيخاً فقيها، له حلقة، ويسكن دار الحديث القوصية. توفي سنة (737هـ/1337م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص968.

فخر الدين، عثمان بن محمد بن هشام البياني.	كان يحفظ القرآن الكريم، ويحدّث، له حلقة بالجامع الأموي. توفي سنة (738هـ/1338م).	ابن رافع، الوفيات، ج1، ص191-192.
نور الدين، علي بن الحسين بن علي بن الحسين المصري الدمشقي المعروف بابن البناء.	سمع الحديث، وعلّم الناس بالجامع الأموي ووعظهم. توفي سنة (748هـ/1347م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص26.
فخر الدين، ابو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الشافعي.	قرأ القرآن واهتمّ بالعربية والفقه والنحو والمنطق، وحفظ الكتب وفسّر. جلس بحلقة اشتغال في الجامع الأموي. توفي سنة (751هـ/1350م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص226-227.
شمس الدين، أبو أمامة، محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى الشافعي المعروف بابن النقّاش.	كان إماماً، عالماً بالحديث والفقه، اشتغل بالتدريس والتفسير في الجامع الأموي. توفي سنة (763هـ/1362م).	الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص670، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص248-249.
أمين الدين، أبو حيان، محمد ابن عبد العزيز بن علي بن عبد الملك المسلاتي المالكي.	سمع ودرس وحفظ، واشتغل بحلقة صاحب حمص بالجامع. توفي سنة (764هـ/1363م).	ابن رافع الوفيات، ج2، ص248-249.
شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن بلبان بن النفيس البعلبكي الشافعي.	عرف بفضله وصلاحه، وكان إماماً عالماً أديباً. يجلس في حلقة في الحائط الشمالي في الجامع، وله حلقة إشغال في الجامع. توفي سنة (746هـ/1363م).	الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص201-203.
بهاء الدين بن عبد الوهاب ابن عبد الولي بن عبد السلام الإخميني المراغي المصري.	كان محدثاً وفقيهاً، عارفاً بالأصول، اشتغل بالعلم في الجامع ونفع الناس. توفي سنة (769هـ/1368م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص276-277، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص103.

جمال الدين أبو بكر محمد ابن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن سمحان الشريشي البكري الوائلي.	اشتغل بعلم الحديث، وشغل الناس في الجامع، ودرّس وأفتى، ووسم بدماثة خلقه. وله نظم ونثر. توفي سنة (769هـ/1368م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص213.
جمال الدين، أبو الثناء محمود بن أحمد القونوي الحنفي المعروف بابن السراج.	كان قاضياً للقضاة، درّس وأفتى وصنّف في الفقه، وشغل الناس بالجامع. توفي سنة (770هـ/1369م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص348-349.
شرف الدين، أبو العباس، أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الصالحي الحنبلي المعروف بابن شيخ الجبل.	سمع وحدّث وتفقّه ودرّس وأفتى، وله علم بعلوم مختلفة أخرى. شغل بحلقة الثلاثاء في الجامع الأموي، ودرّس بالمدارس. توفي سنة (771هـ/1370م).	ابن العراقي، الذيل على العبر، ج1، ص294-295.

وكان للجامع الأموي ومدارسه في العصر المملوكي الأوّل **خزائن كتب**، تحوى نفائس الكتب التي يفيد منها العلماء والطلاب والمشتغلون بالعلم، وكانت متنوعة في موضوعاتها الشرعية واللغوية والأدبية، وعلم الفلك والحساب والطبّ والمنطق[1]، وذكر منها خزانة الكتب في المدرسة البادرائية[2]، والمدرسة الرواحية[3]، وذكرت خزانة الكتب الأشرفية في الجامع[4]، وكانت بعض هذه الكتب وقفاً، أوقفها بعض العلماء الذين درّسوا في الجامع، ومنهم الشيخ صفي الدين الأرموني (ت723هـ/1323م)، الذي أوقف كتبه على المدرسة السميساطية[5]، وحسن بن حسن الطحان (ت747هـ/1346م)، الذي كان أحد مدرسي الجامع الأموي، وله كرسي وقفه

---

[1] مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص55.

[2] المقريزي، المقفى الكبير، ج4، ص114، النعيمي، الدارس، ج1، ص155، الصوفي، منصور، الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام في العهد المملوكي، ص167.

[3] البرزالي، الوفيات، ص143، كرد علي، محمد، خطط الشام، ج6، ص81.

[4] النعيمي، الدارس، ج1، ص387.

[5] الكتبي، فوات الوفيات، ج4، ص98، ابن القاضي، ذيل وفيات الأعيان المعروف بدرة الحجال، ج2، ص321.

تحت قبة النسر، ووقف عليه كتباً[1]. وكانت هناك خزانة كتب في مشهد ابن عروة، نالت عناية كبيرة، وفيها الكثير من الكتب المهمة، ذكر منها عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة (ت667هـ/1268م)[2]، في عشرة مجلدات. وهناك بعض الكتب التي ضمّها أصحابها لخزائن كتب مشهورة في الجامع الأموي، فمن هؤلاء تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني (ت654هـ/1256م)[3]، الذي وضع أكثر كتبه ومجاميعه في الخزانة الفاضلية من مدرسة الكلاسة[4].

ومن أشهر خزائن الكتب في الجامع الأموي خزانة المصحف العثماني، الواقعة، على ما ذكر ابن بطوطة، في قبلة المسجد يسار مقصورة الخطابة[5]، ويبدو أنها نالت عناية كبيرة في العصر المملوكي الأول، إذ عمل لها ستار خاص بها، صنع من الحرير الأبيض والأسود، بلغ طوله "ثمانية أذرع، وعرضه أربعة أذرع ونصف"[6].

وكان لكل خزانة خازن متوكل بها، يتّصف بالأمانة والإخلاص في عمله، يحافظ على مقتنياتها، ويشرف على ضبط إعارتها وإرجاعها[7].

ثانياً: الوظائف التعليمية في الجامع الأموي ومدارسه

إن الحركة العلمية النشطة في الجامع الأموي ومرافقه العلمية التابعة له اقتضت وجود عدد كبير من المدرسين، على اختلاف مسمياتهم، للتدريس فيه، ويمكن تصنيفهم على النحو الآتي:

---

[1] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص118، الدروبي، سمير، خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أمية في دمشق، ص14.

[2] الدروبي، سمير، خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أمية في دمشق، ص9.

[3] أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم بن عبد المنعم بن عبد الله بن أحمد الدمشقي اليلداني الشافعي، ولد سنة (568هـ/1173م)، طلب العلم،وسمع الحديث وحدّث. توفي سنة (654هـ/1256م). الحسيني، صلة التكملة، م1، ص344-346.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص187، الدروبي، سمير، خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أمية في دمشق، ص12.

[5] ابن بطوطة، الرحلة، ص83، وانظر الدروبي، سمير، خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أمية في دمشق، ص3، 4.

[6] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص76.

[7] السبكي، معيد النعم، ص111، مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص55.

أ- المدرّسون

يطلق هذا الاسم في الأغلب على من درّسوا في مدارس الجامع، فقالوا: ودرّس في المدرسة الفلانية أو في عدة مدارس، أمّا من درّسوا في الحلقات فذكروا أقرأ أو حدّث أو أشغل أو اشتغل.

وهذه المدارس كان فيها غير مدرّس في علوم مختلفة: في الفقه والحديث والأصول وعلوم العربية وغيرها. ويتضح من تراجم المدرسين أن هؤلاء ينبغي أن يكونوا من المشهورين في علمهم، الراسخين فيه، المختصين في الموضوع الذي يدرّسونه، ومن شروطه أن يكون حسن المظهر والشكل[1]، راجح العقل واسع الصدر، وحليماً عادلاً، ومنصفاً. وكان تعيين هؤلاء المدرسين مباشرة من الناظر أو واقف المدرسة أو نائب السلطنة، وأحياناً يُعيّنه السلطان[2]، وبخاصة في أول سلطنته ليجلب من المدرسين من يدينون بالولاء له[3]. ولهؤلاء المدرسين امتيازات وحقوق، يمنحها لهم السلطان، وتكتب في توقيع له، يُقرأ على الملأ في الجامع[4]، وكان في هذه التواقيع نصائح للمدرسين في إدارة دروسه، بأن يراعوا الطلاب ويتقبّلوا رأيهم، ويأخذوا بأيديهم لينمّوا فيهم روح العلم، حتى يصلوا معا إلى كبد الحقيقة، ويتصدروا مجالس العلم، وأن يكونوا في ذلك كلّه بشوشي الوجه، ورد في أحد التواقيع من كتاب صبح الأعشى: وعلى المدرّس أن يظهر "من مكنون علمه ما كان يخفيه الوقار، وليهب من ممنون فضله ما يهب منه عن ظهر غنى أهل الافتقار، وليقرر تلك البحوث، ويبين ما يرد عليها، وما يرد به من منعها، وتطرّق بالنقض إليها، حتى لا تنفصل الجماعة إلا بعد ظهور الترجيح والإجماع على كلمة واحدة على الصحيح، وأن يُقبل في الدروس وهو طليق الوجه على جماعته، ليستملهم إليه بجهد استطاعته، وليربهم كما يربي الوالد الولد. وليستحسن ما تجيء به أفكارهم...هذا إلى

---

[1] انظر جيدة، أحمد، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العسر المملوكي، ص339.

[2] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص198، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص436، مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص49.

[3] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج4، ص142، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص265.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص247، حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص238.

أخذهم بالاشتغال، وقدح أذهانهم للاشتغال، ولينشئ الطلبة حتى ينمي منهم الغروس، ويؤهل منهم من كان لا يظنُّ منه أنّه يتعلّم لأن يُعلّم، ويلقي الدروس"[1].

ويتضح من تراجم بعض المدرسين أن بعضهم كان يدرّس في غير مدرسة، ومنهم بهاء الدين بن الزكي، الذي كان قاضياً للقضاة، ودرّس في المدرسة العزيزية والتقوية والعادلية والكلاّسة[2]. ومثله والده قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي، الذي درّس في التقوية والعادلية والكلاسة[3]. وكان بعضهم يجمع بين التدريس والخطابة في الجامع، ومنهم عماد الدين الحرستاني، الذي كان خطيباً ومدرّساً في المدرسة الغزالية.[4]

وعلى ما يبدو أنّ بعض المدرسين، عند دنوّ أجله، كان يتنازل عن التدريس أو يوصي مدرّساً مكانه: ابنه أو غيره من أصحاب الكفاءة والقدرة على تولّي هذه المهمة، وأحياناً يكون ذلك مقترناً بموافقة المسؤول عنه، ومثل ذلك فعله الإمام جمال الدين محمد بن أحمد الشريشي (ت779هـ/1377م)، عندما تنازل عن تدريس البادرائية لابنه شرف الدين محمود[5]. ومثله الحافظ المزي إذ ترك التدريس في دار الحديث الحمصية للإمام صلاح الدين بن خليل بن كيكلدي (ت761هـ/1360م)[6].

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص247.

(2) أبو الفضل يوسف بن يحيى بن محمد بن محيي الدين بن الزكي القرشي الشافعي. كان مهيباً، وعظيم القدر، وصدراً رئيسا، عرف الأصول والنحو والعربية والحساب والجبر وعلوم البلاغة والمنطق، وله نظم ونثر. توفي سنة (685هـ/1286م). الكتبي، عيون التواريخ، ج21، ص387، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج8، ص47، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص205-206.

(3) أبو الفضل محمد بن زكي الدين علي بن محمد بن يحيى القرشي الدمشقي الشافعي. سمع وتفقه، وعرف الأصول، وكان جليلاً، وصدراً رئيساً، توفي سنة (668هـ/1269م). الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص318-319، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص325.

(4) عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد. سمع وحدّث، وكان دينا متواضعا، توفي سنة (662هـ/1264م). الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص104-105، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج14، 39، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص257.

(5) ابن حجر، أنباء الغمر، ج4، ص164-165.

(6) الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص328-331، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص91-92، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص190.

وقد استقرأت هذه الدراسة عدداً كبيراً من المدرسين في مدارس الجامع، درّسوا فيها، ولكن المؤرخين لم يشيروا إلى المواد العلمية التي درسوها، وهم:

أسماؤهم	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
تاج الدين أبو عبد الله، محمد بن سعد الله بن رمضان بن إبراهيم الوزان، الحلبي، الدمشقي، الحنفي.	ولد سنة (586هـ/1173م). سمع وتفقه وروى، ودرّس بالأمينية. توفي سنة (650هـ/1252م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج47، ص453، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص92.
شمس الدين، عبد الرحمن بن نوح بن محمد المقدسي الشافعي.	كان فقيهاً بالمذهب الشافعي، وسمع ودرّس، وتفقّه به جماعة. تولى التدريس بالرواحية. توفي سنة (654هـ/1254م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج47، ص169-170، العبر في خبر من غبر، ج3، ص273، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص131، السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص71.
شمس الدين، يوسف بن قزغلي بن عبد الله أبو المظفر التركي البغدادي الحنفي.	ولد سنة (581هـ/1185م). سمع الحديث وروى، وكان إماماً فقيها، ومؤرخاً، وواعظاً الناس، حسن الصوت، ورعاً. درّس بالمدرسة العزيّة. توفي سنة (654هـ/1254م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص183-184.
عماد الدين، أبو المعالي داؤود بن عمر ابن يوسف الزبيدي المقدسي الدمشقي.	وسم بالفصاحة والتديّن والفضل، سمع ورُوي عنه، ووعظ. درّس بالمدرسة الغزالية. توفي سنة (656هـ/1256م).	الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص301.
شمس الدين، محمد بن إبراهيم الكردي الشافعي.	كان فقيها فاضلاً، درّس بمدرسة الكلاّسة، وتوفي سنة (660هـ/1262م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص426.

شمس الدين، أبو إسحاق إبراهيم بن المسلم بن هبة الله الحموي ابن البارزي.	سمع وتفقّه، ورُوي عنه، عرف بورعه وتديّنه، أعاد ودرّس بالمدرسة الرواحية. توفي سنة (669هـ/1271م).	اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص457-458، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص276، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص146، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص176-177، النعيمي، الدارس، ج1، ص202.
محيي الدين، أبو محمد، عبد الله بن الحسين بن علي الكردي الرزازي الإربلي الشافعي.	كان فقيهاً وعارفاً بالقراءات، سمع الحديث، ووسم بالتدّين والورع والفضل. توفي سنة (677هـ/1279م).	اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج3، ص321، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص269-270، ابن كثير، البداية والنهاية، طبقات الشافعية، ج2، ص818، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص358.
جمال الدين، عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن عثمان بن نجم الدين البادرائي.	عرف بحسن أخلاقه، ودرّس بالمدرسة البادرائية. توفي سنة (677هـ/1279م).	اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج3، ص306.
محيي الدين أبو حامد، محمد بن عماد الدين عبد الكريم ابن أبي القاسم عبد الصمد ابن الحرستاني الأنصاري.	درّس بالمدرسة بالغزالية وخطب فيها. توفي سنة (682هـ/1283م).	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص522-523، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص320، النعيمي، الدارس، ج1، ص320.
نجم الدين، أبو حفص عمر بن نصر الأنصاري البيساني الشافعي.	سمع الحديث، وتفقّه، وأفتى. درّس بالمدرسة الرواحية. توفي سنة (683هـ/1284م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص155.

ناصر الدين، محمد بن عبد الرحمن بن نوح ابن محمد المقدسي الدمشقي الشافعي.	سمع وتفقه، وكان له مكانة عند بعض سلاطين المماليك، فحصل على مناصب. درّس بالمدرسة الرواحية. توفي سنة (689هـ/1290م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص385-386، النعيمي، الدارس، ج1، ص202.
تاج الدين، أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري الملقب بالفركاح الدمشقي الشافعي.	كان زاهداً، حسن الخلق متواضعا، تمكّن من الفقه والأدب، فله شعر ونثر. درّس في المدرسة البادرائية. توفي سنة (690هـ/1291م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص414-418، الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص263، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص413.
شهاب الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خليل بن سعادة بن جعد بن عيسى بن محمد الشافعي.	اشتغل وحصّل علوماً كثيرة، وله مؤلفات ونظم. درّس بالمدرسة العادلية الكبرى والغزالية. توفي سنة (693هـ/1294م).	العيني، عقد الجمان، ج3، ص247-248.
تاج الدين، أبو محمد عبد الخالق بن عبد السلام بن معين ابن علوان المعرّي البعلبكي الشافعي.	سمع الحديث وحدّث. درّس بالمدرسة الأمينية. توفي سنة (696هـ/1297م).	الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص20-21.
شمس الدين، أبو المعالي محمد بن محمد الفارسي الأيكي.	كان شيخاً فاضلا، وفقيها صوفياً، يعرف الأصول والكلام. وسم بالذكاء والتواضع. درّس بالمدرسة الغزالية. توفي سنة (697هـ/1298م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص865-866، الصفدي، اعيان العصر، ج4، ص351-352، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص191، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص439.

عز الدين، عبد العزيز ابن محمد بن عبد الحق ابن خلف بن عبد الحق الدمشقي الشافعي.	كان إماماً عدلاً، عرف بفضله، ومعرفته بالفقه والحديث. درّس بالمدرسة الأسدية. توفي سنة (699هـ/1300م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص917، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص106.
موفق الدين، أبو المعالي محمد بن محمد بن الفضل النهروانيي القضاعي الحموي.	درّس في المدرسة الغزالية. توفي سنة (699هـ/1300م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص15.
جمال الدين، أبو محمد عبد الرحيم بن عمر ابن عثمان الباجريقي الشافعي.	سمع وحدّث ووعظ له نظم ونثر، كان نائب خطيب الجامع الأموي، ودرّس بالغزلية وغيرها، ولازم الجامع للاشتغال. توفي سنة (699هـ/1300م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص15، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص449.
صلاح الدين الجيلي.	أحد فقهاء المدرسة البادرائية، درّس فيها مدة. توفي سنة (710هـ/1310م).	البرزالي، الوفيات، ص97.
أبو البركات، شعبان ابن أبي بكر بن عمر الإربلي.	كان شيخاً زاهداً عابداً صوفياً، سمع الحديث ورواه. تولى مشيخة المقصورة الحلبية. توفي سنة (711هـ/1311م).	البرزالي، الوفيات، ص152، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص66.
بدر الدين، أبو العباس أحمد بن محمد بن شمس الدين عبد الرحمن بن نوح بن محمد المقدسي الشافعي.	سمع وروى وتولّى التدريس في المدرسة الرواحية. توفي سنة (713هـ/1313م).	البرزالي، الوفيات، ص223.
صفي الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن محمد الأرموني الهندي الشافعي.	كان شيخا علاّمة، وعالماً بالفقه والأصول والكلام، درّس في غير مدرسة منها الرواحية والدولعية والظاهرية، وله حلقة بالجامع الأموي. توفي سنة (715هـ/1315م).	البرزالي، الوفيات، ص303-304، الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص501، 502، الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص89، المختار المصون، ق1، ص199-200.

نجم الدين أبو العباس محمد ابن أبي المواهب الحسن بن هبة بن محفوظ بن الحسن ابن صصري الدمشقي.	قاضي قضاة الشافعية. عرف بفصاحته، وله نظم ونثر، سمع وحدّث، وكتب بخطّه. درّس بالعادلية والغزالية والأمينية. توفي سنة (723هـ/1323م).	الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص125-126، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص16-17، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص97-98، الشوكاني، البدر الطالع، ج3، ص72-73.
ضياء الدين عبد الله الدّربندي الصّوفي.	كان نحوياً بارعاً، أقرأ العربية في الكلاسة. توفي سنة (723هـ/1323م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج2، ص263.
عفيف الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن عمر الزرزاري الإربلي الدمشقي.	سمع الحديث وحدّث، وكان شيخاً إماما. درّس بمدرسة الكلاسة. توفي سنة (725هـ/1325م).	الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص543-544.
كمال الدين، أبو المعالي محمد بن علي ابن عبد الواحد الأنصاري ابن الزّملكاني الدمشقي الشافعي.	كان قاضياً للقضاة، تميّز بالفقه والحديث والأصول والإفتاء. تولي التدريس بالرواحية، وتوفي سنة (727هـ/1327م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص214-215، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص137.
شهاب الدين، أبو العباسي أحمد بن أبي بكر بن حرز الله بن علي السلمي الشافعي المعروف بالأرندي.	عرف النحو والأصول ولافقه، ووسم بالتواضع وكرم النفس، ودرّس بالقوصية. توفي سنة (727هـ/1327م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص243.
صدر الدين بن الربيع سليمان ابن أبي العز ابن وهيب بن عطا ابن جبير ابن جابر الحوراني الأذرعي الحنفي.	كان صدراً ورئيساً كبيراً. درّس بالمدرسة الإقبالية. توفي سنة (728هـ/1328م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص285.

محمد بن عبد الرحمن ابن عبد العزيز بن رضوان الشركسي الحنفي.	سمع الحديث، كان شيخاً فقيها بالمدرسة الصادرية. توفي سنة (729هـ/1329م).	البرزالي، الوفيات، ص223.
شمس الدين، محمد بن عيسى بن محمود البعلبكي المعروف بابن المجد الدمشقي.	تميّز بفنون علم مختلفة ومنها الحديث والإفتاء والمناظرة. اشتغل ودرّس بالقوصية، وأقام بها وبالجامع. توفي سنة (730هـ/1330م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص158، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص81-82، النعيمي، الدارس، ج1، ص334.
شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن يحيى ابن إسماعيل بن طاهر ابن نصر بن جهبل الدمشقي الشافعي.	سمع وحدّث، وأفتى واشتغل. درّس بالمدرسة البادرائية. توفي سنة (733هـ/1333م).	الذهبي، ذيول العبر، ج4، ص96-97، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص252، النعيمي، الدارس، ج1، ص734، ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص104.
شمس الدين، محمد بن عثمان بن محمد الأصبهاني المعروف بابن العجمي.	سمع الحديث وحدث. درّس بالمدرسة الإقبالية. توفي سنة (734هـ/1334م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص734.
علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن المظفر بن سعد بن حمزة التيمي الدمشقي الشافعي.	كان محدّثا، حصّل علوماً كثيرة، وأفتى ودرّس في المدرسة الظاهرية والأمينية. توفي سنة (736هـ/1336م).	الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص512-513، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص246-247.
كمال الدين، أحمد بن محمد بن محمد بن هبة الله الشيرازي.	كان صدراً كبيراً، ورئيساً كبيراً، عرف الأصول والفقه والحديث، ودرّس بالمدرسة البادرائية والناصرية. توفي سنة (736هـ/1336م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص127، أعيان العصر، ج1، ص359-360، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص185.

علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن جمال الدين محمد بن أبي الفتح نصر الله التميمي ابن القلانسي.	سمع الحديث وحدّث، واشتغل بالعلم، ودرّس بالمدرسة الأمينية، وكتب بخطه. توفي سنة (736هـ/1336م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص891-892.
علاء الدين، أبو الحسن علي بن شريف بن يوسف الزرعي الشافعي المعروف بابن الوحيد.	سمع وحدّث، ودرّس بالبادرائية. توفي سنة (744هـ/1343م).	ابن رافع، الوفيات، ج1، ص488-449.
علاء الدين، علي بن أيوب بن منصور الشافعي.	كان إماماً، سمع الحديث وحدّث، ودرّس في الأسدية وبحلقة صاحب حمص، وأعاد بالأسدية. توفي سنة (748هـ/1347م).	الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص305-306، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص19.
بهاء الدين، أبو المعالي أبو عبد الله محمد بن علي بن سعد بن سالم الأنصاري الدمشقي المعروف بابن إمام المشهد.	اتقن علوماً مختلفة، ومنها الحديث والقراءات العربية والفقه والأصول، وكتب بخطه مؤلفات، ودرّس بالأمينية والقوصية. توفي سنة (752هـ/1351).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص153-154، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص64-65.
تقي الدين، أبو الحسن علي بن عبد الكافي ابن علي بن تمام الأنصاري الخزرجي السبكي.	سمع وتفقه وأفتى، وصنّف بالقراءات، خطب وتولى قضاء القضاة. درّس في غير مدرسة، ومنها الغزالية والعادلية الكبرى والمسرورية والكلاسة. توفي سنة (756هـ/1355م).	النعيمي، الدارس، ج1، ص100-101.
نجم الدين، أيوب بن موسى بن عايش الراشدي الشافعي.	سمع وحدّث وتفقه، واشتغل بالعلوم، ودرّس بالقوصية. توفي سنة (761هـ/1360م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص255.

زين الدين، عمر بن عيسى بن عمر الباريني.	كان أديباً وشاعراً ونحويا، وصف بالورع والزهد، ودرّس بالمدرسة الأسدية. توفي سنة (764هـ/1363).	ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص109-110.
برهان الدين، إبراهيم بن محمد ابن أبي بكر اين قيم الجوزية.	اشتغل بعلوم مختلفة كالحديث والعربية، وأفتى وناظر ودرّس بالمدرسة الصدرية، وتصدّر بالجامع الأموي. توفي سنة (767هـ/1366م).	ابن العماد، شذرات الذهب، ج2، ص208.
ركن الدين، أبو يحيى، زكريا بن يوسف بن سليمان بن حماد البجلي.	وصف بالزهد والورع، كان علامة في وقته، درّس بالأسدية، وله حلقة اشتغال بالجامع، يشغل فيها بالفرائض وغيرها من العلوم. توفي سنة (767هـ/1366م).	النعيمي، الدارس، ج1، ص116.
جمال الدين، أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر ابن الياس بن الخضر الدمشقي، المعروف بابن الرهاوي.	سمع الحديث، واشتغل بالعربية، وأفتى، واعتنى بالحساب. درّس بالمدرسة الناصرية الجوانية والمسرورية والكلاسة. توفي سنة (766هـ/1366م).	ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص81-82.
مفيد الدين، سليمان بن علي بن أمين القونوي الحنفي.	سمع الحديث، ودرّس بالمدرسة الإقبالية. توفي سنة (768هـ/1367م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص318.
شمس الدين، محمد بن خالد بن كامل الغزي الشافعي.	تفقه وأفتى وصنّف. عرف بحسن خلقه وتقواه. درّس بغير مدرسة، منها التقوية والناصرية والعادلية الكبرى وبالحلقة القوصية. توفي سنة (770هـ/1369م).	السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص237.

فخر الدين، أبو عمرو، عمر بن تقي الدين عبد الكريم بن محيي الدين ابن محمد بن علي القرشي الدمشقي، المعروف بابن الزكي.	سمع وحدّث، كان ديّناً خيّراً. درّس بعد أبيه بالعزيزية والكلاسة والتقوية. توفي سنة (772هـ/1371م).	ابن العراقي، الذيل على العبر، ق2، ص212-213.
بهاء الدين، أبو حامد، أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام ابن يوسف بن موسى بن تمام السبكي المصري.	سمع وحدث، وقرأ النحو، وأفتى، ودرّس بالعادلية والغزالية والناصرية. توفي سنة (773هـ/1372م).	ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص78-79.
زين الدين، أبو حفص، عمر بن عثمان بن مؤمن الجعفري الدمشقي.	سمع الحديث وحفظه، واشتغل بالعلوم، واهتم بالعربية، ودرّس بالمدرسة الجاروخية. توفي سنة (773هـ/1372م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص382.
شمس الدين، محمد بن حسن بن محمد بن عمار ابن نوح ابن جرير الحارثي الدمشقي.	كان فقيها اشتغل بالحديث وأفتى. درّس بالعادلية وبالجامع الأموي. توفي سنة (776هـ/1375م).	ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص128-129.
علاء الدين، علي بن زيادة بن عبد الرحمن الحبكي.	كان عارفاً بالأصول والفقه والعربية، درّس بالكلاسة وغيرها. توفي سنة (782هـ/1380م).	ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص156-157.

ب- المتصدّرون

ليس هناك معلومات كثيرة تكشف عن مكانة هذا اللقب في الحركة العلمية في العصر المملوكي، فلا يكاد الباحث في مصادر العصر يجد فرقاً كبيراً بين صاحب هذه المهمة وغيره من المدرسين إلا في اللقب الذي أسند إليهم. ولكن يستشف من المعنى اللغوي أن هذا المتصدّر كان أعلى درجة من المدرّس، فهو الذي يجلس في صدر المجلس[1]، وبذلك يكون له مكانته في

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة "صدر"، الخطيب، مصطفى، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص146.

صدر الحلقات العلمية في الجامع أو في المدارس التابعة له. وتتضح هذه المكانة من تراجم هؤلاء المتصدرين الذين تنوّعت علومهم، وكانوا متميزين فيها، فجمع بعضهم بين الحديث والفقه والأصول والقراءات وعلوم العربية المختلفة والآداب، وكانوا يتميزون بلين الجانب، وحسن المظهر، ودرّس بعضهم في غير مدرسة وحلقة في الوقت ذاته، ومن ذلك ما ورد في ترجمة شهاب الدين أبي العباس الدمشقي النحوي[1]، وفي ترجمة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك الجياني (ت672هـ/1274م)، الذي وصف بتدينه وزهده ووقاره، وتبحره في القراءات واللغة والنحو، ونظم الشعر، وتصدّر للتدريس في الجامع الأموي، وفي التربة العادلية[2]. وكان المتصدرون يشتغلون في الجامع في علوم مختلفة: في القراءات القرآنية، والفقه والحديث وعلوم العربية والأدب، ولعلّ أكثر من عُثر على ترجمتهم من المتصدرين أشير إلى تصدّرهم بالقراءة القرآنية، ما يدلّ على أن هذا العلم كان شائعاً بين المتصدرين أكثر من غيرهم في الجامع الأموي[3]. وتلمذ على أيدي هؤلاء المتصدرين علماء مشهورون في العصر المملوكي الأول، وفي مقدمتهم الإمام الذهبي وصلاح الدين الصفدي[4]، وكذلك درس على أيديهم كبار الأمراء والكبراء في هذه الدولة، ورد في ترجمة علاء الدين القونوي أن ممن تلمذوا عليه الأمير سيف الدين أرغون[5] نائب السلطنة بدمشق، وجماعته من الأمراء، وكتّاب الإنشاء والأكابر[6].

---

[1] أحمد بن سالم المصري. تصدّر في المقصورة الحنفية في الجامع الأموي، وفي المدرسة الناصرية، وتميّز بعلوم العربية والفقه والأصول، وكان حسن العشرة، وكريم الأخلاق. توفي (664هـ/1265م). اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج2، ص349، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج49، ص167، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص299-300.

[2] السيوطي، تحفة الأديب، ج2، ص752-753.

[3] انظر البرزالي، الوفيات، ص405، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص191، المقريزي، المقفى الكبير، ج1، ص200.

[4] الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص578، تاريخ الإسلام، ج51، ص960، الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص301، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص191،ج4، ص175، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج11، ص139-140.

[5] علي بن إسماعيل بن يوسف التبريزي. سمع وحدّث واشتغل بالفقه والأصول والنحو. وله في ذلك مصنفات. تولّى عدة مناصب، وتصدّر بالجامع الأموي، ودرّس وأعاد بالإقبالية والغزالية والعادلية. توفي سنة (729هـ/1329م). ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص367-369، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص98-99، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص153، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص153، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص271-272.

[6] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص367-369، ابن رافع، الوفيات، ج2، ص98-99، اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص153، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص153، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص271-272.

وقد استطاعت هذه الدراسة استقراء عدد من هؤلاء المتصدرين، وهم:

أسماؤهم	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
أبو زكريا، يحيى بن زكريا بن مسعود المنبجي، المعروف بابن شيراز.	كان مقرئاً مجوّداً، له حلقة كبيرة، وتصدّر بالجامع الأموي لإقراء القرآن والتلقين. توفي سنة (676هـ/1277م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص245-246.
شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن منصور بن موسى الحلبي الحاضري النحوي الشافعي.	كان إماما مقرئاً، ومتقناً للعربية، وقارئاً الكتب. تصدّر في المدرسة العادلية وفي الجامع الأموي. توفي سنة (700هـ/1301م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص960، معجم شيوخ الذهبي، ص578، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص76.
محمد بن مؤمن بن اللّبان المصري الدمشقي.	عرف بصلاحه، كان عالماً بالقراءات القرآنية. تصدّر بالجامع الأموي. توفي سنة (706هـ/1307م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص190.
أحمد بن نصر الدمشقي المعروف بابن المخلص الشافعي.	عرف بفضله وصلاحه، وتصدّر للاشتغال بالجامع الأموي. توفي سنة (708هـ/1309م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص191.
جمال الدين، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن شاور الحميري الشافعي.	كان شيخاً عارفاً بالعربية والفقه والقراءات، تصدّر للإقراء بالجامع الأموي. توفي سنة (708هـ/1309م).	المقريزي، المقفى الكبير، ج1، ص200.
تقي الدين، أبو بكر ابن محمد بن أبي بكر الموصلي.	كان شيخاً، عارفاً بالقراءات، وبالروايات، وصف بصلاحه وعلمه وفضله. تصدّر للإقراء والتلقين بجانب محراب الصحابة. توفي سنة (716هـ/1316م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص269.
بدر الدين عثمان بن سيف ابن أبي الفضل القرشي القوّاس الدمشقي.	كان شيخاً مقرئاً، حافظاً القرآن الكريم، له حلقة تصدير في الجامع الأموي. توفي سنة (717هـ/1317م).	البرزالي، الوفيات، ص405.

بدر الدين، محمد بن يحيى ابن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الفويرة.	سمع وحدّث، وكان فقيهاً، عارفاً بالأصول والعربية. درّس وأفتى، وتصدّر بالجامع الأموي، وله حلقة بالشباك الكمالي بالحائط الشمالي. توفي سنة (735هـ/1335م).	الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص301، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص175، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج11، ص139-140.
زين الدين، أبو حفص عمر بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقي، المعروف بابن الكتّاني.	كان إماماً عالماً، حدّث وتفقّه وناظر وذاكر وحاضر، عارفاً بالفقه والأصول. تصدّر بالجامع الأموي. توفي سنة (738هـ/1338م).	الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص601-603.
تاج الدين، عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله المخزومي اليمني المكّي.	كان حسن الشكل، أقرأ الطلبة العلوم والآداب المختلفة، وأتقن الخطّ وصنّف، وتصدّر في الجامع الأموي. توفي سنة (743هـ/1343م).	الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص246-247.
بدر الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن السراج الدمشقي النحوي.	سمع وأقرأ وأفاد، كان إماماً، طيب الصوت، اهتم بالقراءات وبالعربية وأتقنها. وتصدّر لإقراء القرآن والنحو في الجامع الأموي. توفي سنة (743هـ/1343م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص159-160.
أبو العباس بن سعد بن محمد بن أحمد الغساني العكري الأندرشي النحوي.	كان إماماً صالحاً، سمع الحديث، وقدّم شروحات، وكتب تفسيراً بخطّه. تصدّر بالجامع الأموي. توفي سنة (750هـ/1349م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص127-128.
فخر الدين أبو المعالي محمد بن علي بن إبراهيم ابن عبد الكريم المصري الدمشقي.	سمع، وحدّث، وتفقّه، ودرّس، وأفتى، وكان شيخاً إماماً متعبّداً. تصدّر بالجامع الأموي، وشغل بالعلم وانتفع به الناس. توفي سنة (751هـ/1350م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص138-139.

علي بن عبد النصير المالكي.	كان عالما بالمذهب المالكي، وتصدّر بالجامع الأموي. توفي سنة (756هـ/ 1355م).	الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص457.
شمس الدين بن العطار الشافعي.	كان شيخاً فاضلاً فقيهاً، كتب بخط يده، وتصدّر بالجامع الأموي. توفي سنة (765هـ/1364م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص320.
تقي الدين، أبو بكر بن الحسن بن علي بن منصور بن أحمد بن منصور الفارقي الشافعي.	سمع وحدّث واشتغل، وتصدّر بالجامع الأموي. توفي سنة (769هـ/1368م).	ابن العراقي، الذيل على العبر، ق1، ص243، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص260.
أبو عبد الله، محمد بن الحسن بن محمد المالكي النحوي.	شيخ صوفي إمام، اشتغل بالعربية ومهر فيها، ودرّس وأفاد الطلبة، وتصدّر بالجامع الأموي. توفي سنة (771هـ/1370م).	ابن العراقي، الذيل على العبر، ق1، ص302.
شمس الدين، محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن رضوان ابن عبد العزيز البقلي المعروف بابن الموصلي.	كان إماماً، فقيهاً، محدّثاً، عارفاً بالنظم والنثر، وصنف الكتب، وكتبها بخطه، وتصدّر بالجامع الأموي. توفي سنة (774هـ/1373م).	الصفدي، ألحان السواجع، ج4، ص105، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص133-134.
تقي الدين، أبو الفتح محمد ابن عبد اللطيف بن يحيى ابن علي بن تمام بن يوسف ابن موسى بن تمام السبكي الشافعي.	وسم بالخير والصلاح والتديّن، اهتم بالعربية، وتصدّر بالجامع الأموي. توفي سنة (774هـ/1373م).	الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص519-521، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص26-27.
جلال الدين، محمد بن النظام محمود.	عرف الأصول والعربية، سمع الحديث وحفظه، وله نظم. تصدّر بالجامع الأموي. توفي سنة (784هـ/1382م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص120.
شرف الدين أبو الروح، عيسى بن عثمان بن عيسى الغزي.	كان إماماً فقيهاً، اشتغل، وأفاد الطلبة، وتصدّر بالجامع الأموي، ودرّس بالمسرورية وبالرواحية. توفي سنة (790هـ/1388م).	ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص159-160.

ت- مقرئو القرآن

عرف في الجامع الأموي ومدارسه صنف من العلماء والمدرسين الذين اختصوا بإقراء القرآن وتجويده، وقد نصّ المؤرخون على عملهم هذا، وجاء ذكر المكان عاماً عند بعضهم، بمعنى أنهم لم يحددوا بدقة موقع تدريسهم القرآن في الجامع، فمن هؤلاء المقرئين على سبيل المثال علي ابن حجاز بن عيسى الحلبي الشافعي الضرير، الذي أقرأ القرآن في الجامع مدةّ[1]، وأبو عبد الله محمد بن سالم ابن سلامة الماكسيني، وقد لقّن هذا الشيخ القرآن في الجامع مدة تزيد على الخمسين عاماً[2]. وحدّد بعض المؤرخين بعض الأماكن التي كان يُقرأ فيها القرآن، ومنها المقصورة الحلبية التي أقرأ ببابها ولقّن مسعود الحبشي الصوفي[3]، وعند باب البريد، وأقرأ هناك محمد بن عمران القطناني البغدادي[4]، وكان يوسف بن أبي بكر الخباز يقرئ المصحف تحت قبّة النسر بعد صلاة الظهر، ويوم الجمعة قبل الصلاة عند الشباك الكمالي[5]. وكان عبد الله الضرير الزرعي يقرئ في العشر الأواخر من رمضان في محراب الحنابلة[6]. وأقرأ بعضهم القرآن في مدارس الجامع، ومنهم أبو عبد الله محمد بن جوهر التلعفري الصوفي، الذي أقرأ في المدرسة السميساطية[7]، وكان باب المدرسة الغزالية مكاناً لإقراء القرآن، عمل هناك أبو جعفر عبد الرحمن ابن أبي الحسن الخياط البغدادي[8]. وتفيد التراجم أن هؤلاء العلماء

---

[1] كان شيخاً فقيهاً مقرئا القرآن. توفي سنة (714هـ/1314م). البرزالي، الوفيات، ص253.

[2] شيخ إمام مقرئ وعارف باللغة، سمع الحديث، وكان يلقن القرآن بالجامع. توفي سنة (716هـ/1316م). البرزالي، الوفيات، ص387، الذهبي، معجم الشيوخ الذهبي، ص497.

[3] كان شيخاً صالحاً، توفي سنة (697هـ/1297م). الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص866.

[4] كان مقرئاً، وعارفاً بالتجويد، ووصف بصلاحه وفضله. توفي سنة (710هـ/1310م). الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص40، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص67.

[5] كان رجلاً جيّداً، حسن السيرة، وكثير التلاوة. توفي سنة (730هـ/1330م). ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، 421.

[6] عرف بزهده ونسكه وتعبده، كان كثير التلاوة، وأقرأ الناس مدة طويلة. توفي سنة (745هـ/1344م). ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص225-226.

[7] جلس للإقراء والتجويد، ووسم بظرافته وحسن محاضرته. توفي سنة (696هـ/1297م). الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص845.

[8] سمع وروى، وكان يقرئ القرآن والحديث. عرف بزهده وصلاحه. توفي سنة (699هـ/1300م). الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص915، معجم شيوخ الذهبي، ص 288.

كانوا على دراية بعلم القراءات القرآنية، وكانوا من المشهورين بالزهد والعبادة والدين. وفي الآتي أسماء عدد لهؤلاء المقرئين غير الذين ذكروا في المتن السابق:

أسماؤهم	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
إبراهيم بن علي الصوفي.	سمع الحديث وأقرأ، وكان يلقن القرآن بالجامع في حلقة فيه. توفي سنة (700هـ/1301م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص947.
أبو العباس، أحمد بن محمد ابن نجم الرّفاء الدمشقي المعروف بابن حتمر.	سمع الحديث ورواه، كان يلقن القرآن بالجامع، وعرف بوقاره وزهده وتصوفه. توفي سنة (718هـ/1318م).	البرزالي، الوفيات، ص446-447.
شمس الدين، محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك.	سمع ولم يحدّث، وأقرأ القرآن بالجامع الأموي. توفي سنة (719هـ/1319م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص129.
محمد بن جعفر بن فرعوش المعروف بابن اللباد.	كان شيخاً زاهداً، أقرأ القرآن في الجامع الأموي مدة 40 سنة. توفي سنة (724هـ/1324م).	ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص118.
شمس الدين، محمد بن محمد السفاقسي المالكي.	كان إماماً فاضلاً بشوشاً، أقرأ الناس في الجامع مدة. توفي سنة (744هـ/1343م).	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص270.
أبو حفص، عمر بن أسعد ابن عبد الرحمن بن عبد الرحمن الهمذاني.	عرف بتقواه وزهده، لازم الحلقة القوصية، وأقرأ الناس القرآن. توفي سنة (675هـ/1374م).	اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج3، ص193.

وكان هناك في الجامع الأموي **مقرئو السّبع** أي القراءات القرآنية السبعة، **ومقرئو السُّبع الكبير**، وهي مهنة نصّ عليها المؤرخون لخصوصيتها، إذ يتلو المقرئ القرآن على طلاب العلم والمتحلقين حوله في الجامع، فيختمون القرآن خلال سبعة أيام، ويبدو أن من أهم الشروط التي ينبغي توفرها بهؤلاء أن يكونوا من ذوي الأصوات الحسنة، ومعرفة القراءات وأوجهها، فضلاً عن الدين والورع وحسن الخلق، وتشي تراجمهم أنهم كانوا من العلماء

المشهورين في عصرهم، الذين تميزوا بغير علم، ووسموا بالفضل والإمامة، وكان بعضهم مفتياً ومدرّساً، جاء في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن داود الهكاري الكردي (ت712هـ/1312م) أنّه سمع الحديث، وقرأ بالروايات، وكان شيخاً زاهداً، مقرئاً بالسبع[1]. وكان تقي الدين أبو عبد الله محمد بن نصير بن صالح (ت718هـ/1318م) فقيهاً إماماً، ومقرئاً زاهداً، وفاضلاً مستقيماً، قرأ بالسبع، ولقّن القرآن[2]. وكان مقرئ السبع برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن خليل الربعي الربعي (ت732هـ/1332م) محدثاً، ومقرئاً، أتقن القراءات والأصول والعربية والتاريخ[3]. ولم ولم تفصح كتب التاريخ بصورة عامة عن الأماكن التي كان يتلو بها المقرئون بالسبع إلا أن هناك بعض الإشارات تفصح عن أن بعض هذه الحلقات كانت تحت قبة النسر في الجامع، بعد الصلاة مباشرة أو بين الصلوات[4]. وفي الآتي ترجمة لبعض مقرئي السبع الذين عثر عليهم إبّان البحث والتنقيب في المصادر الخاصة بحقبة العصر المملوكي الأول:

أسماؤهم	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
عثمان الأُخيّ الكُتبي.	كان جهور الصوت، كثير التلاوة، يقرأ بالسبع الكبير بين العشاءين تحت قبة النسر، وقيل: إنه قرأ أكثر من 300 ختمة. توفي سنة(692هـ/1293م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص752.
برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم الجذامي الإسكندراني الشافعي.	كان ورعاً زاهداً، أفتى ودرّس، وقرأ بالسبع وأقرأ. توفي سنة (702هـ/1301م).	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص118.
محيي الدين بن يوسف بن أبي محمد بن أبي الفتح المقدسي المصري الدمشقي.	وسم بصلاحه وتنسكه، سمع الحديث، وقرأ بالسبع. توفي سنة (703هـ/1302م).	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص594، 595.

[1] الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص107، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص22.

[2] الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص582.

[3] ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص243-244.

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص752، معجم شيوخ الذهبي، ص582، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص82.

جمال الدين، أبو محمد، حمزة ابن احمد بن عمر بن محمد بن محمد بن قدامة المقدسي.	سمع الحديث وحدُّث، وحفظ القرآن، واظب على القراءة بسبع الحنابلة بعد صلاة الظهر في الجامع الأموي. توفي سنة (716هـ/1316م).	البرزالي، الوفيات، ص672.
تقي الدين، أبو بكر بن محمد ابن أبي بكر الموصلي.	كان شيخاً إماماً خيّراً، ومقرئاً زاهداً، تلا بالسبع، وتصدّر للإقراء مدّة. توفي سنة (716هـ/1316م).	الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص681.
شهاب الدين، الحسين بن سليمان ابن فزارة الكفري الدمشقي الحنفي.	كان عالماً خيّراً، تلا بالسبع وأقرأ، وسمع وقرأ وأكتب. توفي سنة (719هـ/ 1319م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص32.
شمس الدين محمد بن أحمد ابن علي الرّقي.	سمع الحديث وحدّث، وأفتى، وتميّز بالفقه والقراءات، وأقرأ ودرّس، وروى، وتلا بالسبع في الجامع الأموي. توفي سنة (742هـ/1342م).	الصفدي، أعيان العصر، ج4، ص300-301.
شهاب الدين، أحمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أحمد ابن محمد بن عبيد الأشعري المنبجي المزّي.	سمع وحدّث، وكان فاضلاً فقيها، تلا بالسبع. توفي سنة (746هـ/1345م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص98.
أحمد بن سعد بن عبد الله العسكري القرشي النحوي.	كان ديّناً أميناً، أقرأ العربية، وقدّم شروحات بخطّه وفسّر، وتلا بالسبع. توفي سنة(750هـ/1349م).	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص82. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص82.
ابن عمرو، محمد بن عثمان ابن يحيى بن أحمد بن عبد الرحمن بن ظافر بن إبراهيم ابن أحمد بن أميّة الردادي المعروف بابن المرابط.	سمع الحديث، وتلا بالسبع، توفي سنة(752هـ/1351م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص142-143.
شرف الدين، أبو المعالي، محمد بن أحمد بن زين الدين ابن يوسف بن أبي بكر المزي الدمشقي.	سمع الحديث، وكتب بخطّه، وقرأ بنفسه، ودرّس، وقرأ بالسبع. توفي سنة (766هـ/1365م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص298.

ث- المحدّثون

وهم ضرب آخر من مدرسي الجامع الأموي الذين درّسوا في حلقات خاصة فيه، وكانوا يتصفون بسعة علمهم في الحديث النبوي وروايته وحفظه، وعرفوا بفضلهم وبخلقهم الرفيع وبحسن سيرتهم ودينهم، وخصّص لبعضهم كراس خاصة بهم في الجامع لعلو مكانتهم، ودرس على أيديهم كبار العلماء في الحديث في عصرهم مثل الذهبي، وحضر مجالسهم وأفاد منهم عدد من القضاة والعلماء ورجال الدولة المملوكية، جاء في ترجمة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عيسى الأنصاري الدمشقي الحنبلي (ت677هـ/1279م)، أنّه سمع الحديث وحدّثُ، وحصّل الكثير من العلوم، وكان يحدّث على كرسي بالحائط الشمالي في الجامع، وأجاز للإمام الذهبي بمروياته[1]. وذكر عن المحدّث يوسف بن محمد بن منصور العامري الكفيري (ت710هـ/1311م) أنه سمع الحديث وحدّث على كرسي بالجامع الأموي، وله كتب ومؤلفات في ذلك[2]. وذكر أنّ شهاب الدين أحمد بن نعمة بن حسن الصالحي الدمشقي المعروف بابن الشحنة (ت730هـ/1339م)، حدّث بالجامع الأموي، وسمع منه تنكز نائب الشام، والأمراء والقضاة، وخلعوا عليه الخلع والذهب والخواتم[3]. ونال أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد العزيز المقدسي(ت749هـ/1348م) سمعة كبيرة في علم الحديث، فكان يحضر مجلسه جمع غفير من الناس في الجامع[4]. وقد استقرأ البحث عدداً من أسماء المحدثين في الجامع الأموي، هذه أسماؤهم ونبذة عن حياتهم:

أسماؤهم	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
برهان الدين، أبو الثناء محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد المراغي.	ولد سنة (605هـ/1209م)، كان من أعلام عصره،سمع الحديث،ودرّس وأفتى وحدّث، وكان فاضلاً متصوفاً زاهدا صالحاً. اشتغل بالعلم في الجامع الأموي مدة طويلة، وحدّث فيه. توفي سنة (681هـ/1282م).	ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص202-203.

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص260، العبر في خبر من غبر، ج3، ص335.

[2] الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص665.

[3] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج18، ص218-219، ابن كثير، البداية والنهاية،ج14، ص157.

[4] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص12-13.

أبو الربيع، سليمان بن قايماز الكافوري الحلبي.	كان صوفيّاً خيّراً، نزل بالمقصورة الحلبية بالجامع، وحدّث بالجامع،وكان الإمام الذهبي وأحداً ممن سمعوا منه. توفي سنة (698هـ/1299م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص873.
علاء الدين، علي بن أحمد ابن عبد الله بن العلم قيصر المعروف بابن تعاسيف.	سمع وحدّث بالجامع الأموي. توفي سنة (739هـ/1339م).	ابن رافع، الوفيات، ج1، ص261.
فتح الله بن أبي الفتح نصر الله بن محمد بن يحيى بن أبي الفتح بن رافع ابن الصيرفي الحرّاني الدمشقي.	عرف بصلاحه وتقواه، اهتم بالكتابة، وحدّث بالجامع الأموي. توفي سنة (743هـ/1343م).	ابن رافع، الوفيات، ص419-420.
نجم الدين، أبو الصبر أيوب ابن محمد بن محمد بن علوي السُّلمي الدمشقي.	كان صدراً رئيساً، سمع وحدّث بالجامع الأموي. توفي سنة (748هـ/1347م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص56-57.

ج- المعيدون

المعيد هو معاون المدرس في دروس العلم التي يلقيها على الطلاب، وتتلخص مهمته في إعادة الدروس التي قدّمها المدرّس بعد انتهائه منها، وانصرافه عن الطلاب، فيكون بذلك عليه مهمة أخرى غير الإلقاء، وهي استيعاب ما قاله المدرّس، وهذا ما عبّر عنه السبكي إذ قال: "إن المعيد يجلس مع الطلاب لسماع المحاضرة، ولكنّ عليه قدراً زائداً على السماع من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم، وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة بعد انتهاء الشيخ من الدرس"[1]. وهكذا يتضح أن دوره كان مساعدة الطلاب في النقاط الصعبة من الدروس أو الموضوع الملقى عليهم، وفي الأخذ بيد من يحتاج منهم المساعدة[2]. وهذا المعيد عادة ما يكون أحد طلاب المدرسة، يعيّنه الناظر معيداً بعد أن ثبت تفوّقه وتميّزه[3]. فمن ذلك ما جاء في ترجمة شمس الدين محمد بن

[1] السبكي، معيد النعم، ص108، جيدة، أحمد، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، ص347.

[2] جيدة، أحمد، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، ص347.

[3] السبكي، معيد النعم، ص108، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص436، مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص49.

علي الجوهري الشافعي، الذي أقام في المدرسة البادرائية وأصبح فقيها ثمّ معيداً فيها[1]. ويؤكد هذا التميّز أن من عثر البحث على تراجم لهم، وعملوا في هذا المنصب التعليمي كانوا من العلماء المشهورين، وكان بعضهم متمكناً في غير علم، وله مؤلفات فيها، ووسم بالعلم والفضل والإمامة، وهذا يعني أنّ المعيد في مكانته العلمية قد يكون موازيا المدرسين، ولكن طبيعة المناصب، والشواغر فيها يومذاك اقتضت التمييز بينهما في الوظيفة والمنصب، ولكن ابن جماعة يرى أن وظيفة المعيد دون رتبة الشيخ، وأعظم درجة من الطلبة[2].

وقد يتطوّر هذا المعيد فيضحي مدرساً في حلقة أو غيرها، وهو ما ورد في ترجمة بعضهم أنه كان مدرساً ومعيداً، ومنهم علاء الدين علي بن عثمان بن عبد الواحد الطيوري، الذي كان معيداً بالجامع ثم صار له حلقة خاصة فيه[3]. وبعضهم فضّل مهنة الإعادة على غيرها، ومنهم كمال الدين إسحاق بن أحمد المعري الشافعي(650هـ/1252م)، الذي أعاد في المدرسة الرواحية مدة 20 سنة، ورفض أن يترك وظيفته هذه إذ عرضت عليه المناصب، فامتنع عنها[4]. وتكمن مكانة هؤلاء المعيدين أن بعضهم تلمذ عليه كبار علماء الإسلام في وقته، ومنهم برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري الشافعي[5]، الذي كان معيدا في المدرسة الغزالية،

---

[1] ولد سنة (648هـ/1250م)، سمع وروى، كان ديّناً ومواظباً على الصلاة في الجامع، حريصاً على الإقراء والإفادة. توفي سنة (718هـ/1318م). البرزالي، الوفيات، ص494-495.

[2] ابن جماعة، تذكرة السامع، ص150، جيدة، أحمد، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، ص347.

[3] كان رجلاً جيداً عدلاً، عرف الحساب والجبر والمقابلة والهندسة. توفي سنة (726هـ/1326م). ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص156. ولمزيد من الأمثلة انظر ابن رافع، الوفيات، ج2، ص54، 305، ابن العراقي، الذيل على العبر، ج1، 199-200.

[4] عرف بعلمه وزهده، وكان إماماً فاضلاً ورعاً، وأفاد وأفتى. توفي سنة (650هـ/1252م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص23، 248، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص777.

[5] ولد سنة (640هـ/1242م)، سمع وقرأ وصنّف، ووصف بالذكاء والورع. توفي سنة (732هـ/1331م). الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص39-40، الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص103-106، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص13-135.

وقرأ عليه الذهبي[1]، وسمع الذهبي كذلك من المعيد بالبادرائية علاء الدين[2] أبي الحسن علي بن عثمان الخراط الدمشقي الشافعي[3].

وقد أحصت الدراسة عدداً من المعيدين عملوا في مدارس الجامع الأموي وغيرها، وهم غير الذين ذكروا آنفاً، وتوزعت أعمالهم في الإعادة على البادرائية، والرواحية، والأمينية..

أسماؤهم	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
كمال الدين أبو الفضائل سلار بن الحسن بن عمر ابن سعيد الإربلي الشافعي.	كان مفتياً إماماً علامة، تفقّه، وألّف الكتب بخطّه. توفي سنة (670هـ/1272م).	الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج3، ص321، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص807-808.
بدر الدين، ميكائيل الحلبي الشافعي.	إمام وفقيه صالح، عمل معيداً في البادرائية. توفي سنة (687/1288م).	الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، 317.
نجم الدين، الحسن بن إبراهيم بن علي بن المهراني الكردي.	كان شيخاً ديّنا، إماماً عمل في التدريس، وأعاد بالأمينية. توفي سنة (692هـ/1293م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص172.
ضياء الدين، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن علي الطوسي.	وسم بالفصل والعلم والإمامة. قدّم شرحاً في الفقه، ومختصراً في الأصول. أعاد بالبادرائية. توفي سنة (706هـ/1307م).	الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص105-106، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص858.

[1] الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص39-40، الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص103-106، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص13-135.

[2] ولد سنة (654هـ/1256م). سمع وحدّث وأقرأ، وهو صاحب خطب ومقامات، ناب في الخطابة وأم بالناس، وتمكن من اللغة العربية.، وكتب بخطه.توفي سنة (739هـ/1339م). الذهبي، ذيول العبر، ج4، ص115، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص462-463، الوافي بالوفيات، ج14، ص440-441، ابن رافع، الوفيات، ج1، ص256-257، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص32-33.

[3] الذهبي، ذيول العبر، ج4، ص115، الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص462-463، الوافي بالوفيات، ج14، ص440-441، ابن رافع، الوفيات، ج1، ص256-257، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص32-33.

عز الدين، أبو حفص، عمر ابن أحمد بن أحمد بن محمد المقدسي الشافعي.	سمع وحدّث وتفقّه، وأعاد ودرّس، وأفتى. أعاد بالرواحية. توفي سنة (748هـ-1347م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص54.
نور الدين، الفرج بن محمد ابن الفرج الأردبيلي.	برع في الفقه،وكان شيخاً عالماً فاضلا. أعاد بالبادرائية. توفي سنة (749هـ/1348م).	السبكي، طبقات الشافعية، ج6، ص246.
مجد الدين، عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن محمد السعدي المصري المعروف بابن الجبّاب.	سمع وحدّث وتفقّه ودرّس، وأعاد بالرواحية. توفي سنة (767هـ/1366م).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص305، ابن العراقي، الذيل على العبر، ج1، ص199-200.
شمس الدين، محمد بن عمر ابن عمر بن عثمان الكركي الشافعي.	سمع وتفقّه، وكتب بخطّه كتباً كثيرة. أعاد بالمدرسة الرواحية. توفي سنة (769هـ/1368).	ابن رافع، الوفيات، ج2، ص330.

ح- المفيدون

وهي وظيفة كانت ترتبط بمهمة التدريس، فهو معين آخر للمدرس في المدرسة، يقع على عاتقه الاستماع إليه، وفهم ما يقدّمه من علوم، ثم تلخيصه للطلبة، واستخلاص العبرة والفائدة لهم. ولذا يشترط فيمن يتولى هذه المهمة أن يكون من المجدين المجتهدين المتبحرين في العلوم، ليتمكن من الحصول على هذه الوظيفة[1]، وربما كان المفيد مفيداً في علمه من غير أن يكون تابعاً لمدرس في مدرسة، وهذا ما يتضح من تراجمهم التي ذكرت إفادته في الجامع دون ربطه بعمل مع مدرس من المدرسين، وتتضح من ترجمة مَن عثر عليهم من مفيدين أنهم كانوا من العلماء الأجلاء، والشيوخ الأفاضل، المتصفين بالدين والورع، وحسن السيرة والسلوك، وهؤلاء هم:

[1] السبكي، معيد النعم، ص108، مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص50، العملة، عبد الجبار، نيابة الشام في عهد الأمير تنكز، ص266.

أسماؤهم	نبذة عن حياتهم	مصادر الترجمة
بدر الدين، أبو عبد الله، محمد بن علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن سليمان المعروف بابن غانم.	سمع كثيراً، وكان ديّناً خيّراً، لازم الاشتغال والإفادة في الجامع الأموي. توفي سنة (740هـ/1340م).	ابن رافع، الوفيات، ج1، ص318-320.
بدر الدين، أبو محمد، الحسن بن علي بن علي بن محمد بن عدنان بن شجاع الحمداني المعروف بابن المحدث.	كان كاتباً وشاعراً وفاضلا، حسن الخلق والمروءة، تصدّر للإفادة والتعليم في المدرسة الأمينية في آخر النهار. توفي سنة (734هـ/1334م).	ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج3، ص743.
صلاح الدين، خليل بن أيبك ابن عبد الله الصفدي.	من العلماء الأدباء المعروفين في عصره، عرف ببلاغته وتفننه وبراعته في علوم متلفة في الفقه والحديث والنحو والأدب، وكتب بخطه مؤلفات كثيرة، و نظم ونثر. تصدّر للإفادة في الجامع الأموي، وسمع من الذهبي وابن كثير. توفي سنة (764هـ/1363م).	ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، ص89-90، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص49-50.

ثالثاً: الأجور

لم تفصح المصادر التاريخية عن رؤيا واحدة لنظام الأجور الخاص بالعلماء والمدرسين وشيوخ الحلقات في الجامع الأموي ومرافقه العلمية، ولكن هناك إشارات في تراجمهم يمكن أن تبني تصوراً عن هذه الأجور، ولكنها لا تفي لاكتماله. ويتضح من خلالها أنّ أجورهم كانت من مصادر متعددة، فبعضهم كان يحصل عليها من محسنين، طلبوا إليهم إعطاء دروس خاصة بالعلوم الشرعية لعدد من طلاب العلم لقاء تأمين قوتهم اليومي[1]. ولعلّ المصدر الأساسي لأجور الموظفين كانت من الأوقاف التي أوقفت على المدارس وحلقات العلوم فيها، وهذا ما

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص827، الصفدي، أعيان العصر، ج2، 160، ج14، 538، حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص242.

ذكره غير واحد من المؤرخين، فهذا ابن كثير، يذكر أن هناك رواتب شهرية أوقفت للمدرسين ومعاونيهم ولطلاب العلوم في الجامع الأموي، فكان المعيد يأخذ عشرين درهماً، ويتقاضى المدرّس ثمانين درهماً، أو غير هذه الرواتب التي التزم الواقفون بتسديدها[1]. ومثلهم المفيدون الذين كان لهم راتب معلوم في الشهر[2].

إنّ ما ذكره ابن كثير ليس نهجاً محدداً كان معمولاً به ينطبق على المدرسين والشيوخ كلّهم، بل يبدو أن الراتب كان يحدّد حسب مكانة أولئك العلمية أو غيرها، وحجم الأموال التي يغدقها الواقف على المدرسة أو الحلقة، وارتبط كذلك بأوضاع الدولة الاقتصادية في حالتي الحرب والسلم[3]، وربما استولى بعض السلاطين المماليك على الأوقاف الخاصة بالعلماء، فتركهم يعانون، ويتضورون جوعاً[4]، ولهذا تعلو الرواتب وتنخفض وفق هذه المعطيات كلّها، ورد في ترجمة قاضي القضاة كمال الدين بن محيي الدين بن الزكي (ت699هـ/1299م) أنه كان يأخذ راتباً قدره مائة درهم على تصدّره حلقة علم في الجامع الأموي[5]، ومثله أخذ الشيخ تاج الدين بن عبد الباقي (ت743هـ/1343م)[6]. وتقاضى بهاء الدين ابن الزكي (ت685هـ/1286م) خمسين درهما شهرياً[7]. ويبدو أن بعض الظروف كانت تضطر المدرسين إلى العمل في غير مدرسة كي يعوضوا قلّة رواتبهم في المدرسة الواحدة، ولهذا احتج المدرسون على الظاهر بيبرس حين أجبرهم على الالتزام في مدرسة واحدة، ما جعل بعض العلماء يكتب رسالة ينتقد فيها هذا القانون، ويطالب بيبرس أن يتراجع عنه لما يعانيه العلماء من ضيق يومذاك[8]. وكان بعض المدرسين والمتصدرين يعملون لوجه الله تعالى، فلا يتقاضون

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص336، حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص242.

[2] ابن رافع، الوفيات، ج1، ص318.

[3] جيده، أحمد، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، ص232.

[4] السبكي، معيد النعم، ص21، عبد الرحيم، رائد، صور من النقد السياسي في العصر المملوكي الأول، ص65.

[5] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج1، ص388.

[6] الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص246-247.

[7] النويري، نهاية الأرب، ج31، ص164-165.

[8] عبد الرحيم، رائد، صور من النقد السياسي في العصر المملوكي الأول، ص55، 62.

راتباً على عملهم، منهم المتصدّر بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي (ت743هـ/1343م)[1].

رابعاً: ملابس الموظفين وأماكن إقامتهم

لم تحدّد المصادر مكاناً محدداً لإقامة موظفي الجامع الأموي الذين انخرطوا في سلك التدريس فيه وفي مرافقه، ولا لطلابه، ولكن هناك إشارات تفيد أن بعضهم اتّخذوا من المدارس حيث كانوا يعملون مكانا لإقامتهم، جاء في ترجمة المعيد كمال الدين بن إسحاق الشافعي (ت650هـ/1252م)، أنه كان يقيم في المدرسة الرواحية[2]، وأقام المعيد شمس الدين محمد بن علي الجوهري الشافعي (ت718هـ/1318م) في المدرسة البادرائية[3]. وذكر أنّ المدرس بالمدرسة القوصية شمس الدين محمد بن عيسى الدمشقي (ت730هـ/1330م) كان يقيم بها[4].

أمّا **ملابس العلماء** بصورة عامة، فكانت الطيلسان والبزّة أو العباءة الجميلة[5]، وكانت وسائل النقل الخاصة بهم الحمار أو البغلة[6]، ويبدو أن هذا قانون كان في الدولة المملوكية، فرضه بعض سلاطينهم، ما دعا السبكي إلى نقده في كتابه المشهور معيد النعم، ومبيد النقم إذ قال واصفاً طرفاً من حال العلماء في عصره، وناقداً أرباب الدولة المملوكية: " ومن قبائحهم استكثارهم الأرزاق وإن قلّت على العلماء، واستقلالهم الأرزاق وإن كثرت على أنفسهم، ورأيت كثيراً منهم يعيبون على بعض العلماء ركوب الخيل،ولبس الثياب الفاخرة"[7].

---

[1] انظر الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص827، الصفدي، أعيان العصر، ج2، 160، ج14، 538، حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص242.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص248، ابن كثير، طبقات الشافعية، ج2، ص777.

[3] البرزالي، الوفيات، ص494-495.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص158، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص81.

[5] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص385، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص211.

[6] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48، ص145، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص211.

[7] السبكي، معيد النعم، ص44، عبد الرحيم، رائد، صور من النقد السياسي في العصر المملوكي الأول، ص66.

خامساً: طلاب الجامع

لم يكن هناك حديث خاص في مصادر العصر المملوكي الأول عن طلاب الجامع الأموي، وإنما جاء ذلك إشارات سريعة في تراجم علماء الجامع وشيوخه ومدرسيه ومتصدريه، ولكن واضح من هذه الحركة العلمية النشطة أن الجامع كان يعجّ بهؤلاء الطلاب، وأن لهم أنظمة وسكناً وأجورا وآداباً يتمتعون بها، وقوانين يلتزمون بها، وأنهم كانوا يحصلون في نهاية المطاف على إجازات علمية في العلوم التي يدرسونها، وقد توسع ابن جماعة في كتابه تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلّم[1] في الحديث عن ذلك، ولكن لما كان كتابه يتحدث عن دور العلم المختلفة في العصر المملوكي الأول دون تخصيص، يبقى الأمر عامّا ولا خصوصية فيه للجامع الأموي، وإنما يُشار إليه هنا، لأنه يشمل ضمنيا الجامع، وبخاصة وأن ابن جماعة كان خطيباً فيه، ومطلعاً على الحركة العلمية في مرافقه المختلفة.

ولعلّ أكثر عالم تحدّث عن شيوخه في الجامع الأموي إبان تحصيله العلوم فيه كان شمس الدين الذهبي، الذي عدّد أكثرهم في معجم شيوخه وغيره من كتبه، ونصّ هو وغيره على الإجازات التي أخذها منهم وبخاصة في علمي الحديث والقراءات القرآنية[2]. وهناك بعض الإشارات التاريخية التي أفادت أن الطلاب كانوا يأخذون راتباً شهرياً في بعض حلقات الجامع الأموي قدره عشرة دراهم[3]. ومن الجدير ذكره أن عدد الطلاب كان يقلّ ويزيد في المدرسة أو أو الحلقة حسب شهرة المدرس أو الشيخ، وقدّر عددهم بعشرين طالباً لكل مدرّس[4].

---

[1] انظر ابن جماعة، تذكرة السامع، ص85 وما بعدها، ابن بطوطة، الرحلة، ص87، مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص50.

[2] انظر الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص522–523، تاريخ الإسلام، ج50، ص260، العبر في خبر من غبر، ج3، ص335، الكتبي، الوافي بالوفيات، ج1، ص39–40، الصفدي، أعيان العصر، ج1، ص103–106، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص131–135، المقريزي، المقفى الكبير، ج1، ص200.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص336.

[4] انظر مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص57، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص274.

سادساً: النظام التعليمي في الجامع الأموي ومرافقه العلمية

كان هناك نظام تعليمي متّبع في الجامع الأموي وفي مدارسه المختلفة، ويمكن إجماله في الآتي:

أ- المواد العلمية والتعليمية

تبيّن من الحديث عن علماء الجامع الأموي ومدرسيه ومعاونيهم أن هناك علوماً مختلفة كان يدرّسها هؤلاء، توّزعت على العلوم الشرعية من حديث وقراءات وتفسير وأصول الفقه على المذاهب الأربعة، وعلوم اللغة المختلفة من نحو وبلاغة وأدب وعروض، وبعض العلوم الدنيوية والعقلية والرياضية، ومنها الحساب والفلك والهندسة وعلم الكلام والفرائض والمنطق والتاريخ[1]. وقد كان التركيز على العلوم الدينية أكثر من غيرها، لأنّ الهدف الأساسي في الجامع كان نشرها، ولطبيعة العصر الدينية، ولكثرة العلماء الذين تميّزوا فيها، هذا فضلاً عن أن بعض المدارس كان لها هدف أساسي، وهو التركيز على نشر مذاهب خاصة، والقضاء على المذهب الشيعي. وكان للطالب حرية مطلقة في اختيار المادة العلمية التي يدرسها.[2]

ب- أوقات الدراسة

كانت هناك أوقات معلومة لدروس العلم في مدارس الجامع الأموي وحلقاته العلمية، وهي عادة على مدار اليوم، يحددها المدرّس أو الشيخ أو العالم بالاتفاق مع طلابه[3]، أو ربما مع ناظر الجامع، أو الواقف على هذه الدروس. فكانت دروس العلم فيه مستمرة، وكان عامراً بالناس المتعبدين والمتعلمين والعاملين ليل نهار، كما ذكر ابن فضل الله العمري:" وهذا المسجد معمور بالناس كل النهار وطرفي الليل، لأنه ممر المدارس والبيوت والأسواق، وفيه ما ليس في

---

[1] انظر مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص57، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص274.

[2] انظر مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص57، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص274، الصوفي، منصور، الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام في العصر المملوكي، ص138، الحزوري، حسام الدين، الحركة الفكرية ومراكزها في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية، ص211.

[3] حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص239-230.

غيره من كثرة الأئمة والقرّاء ومشايخ العلم والإقراء،ووجوه التصدير والإفتاء، ووظائف الحديث وقرّاء الأسباع، والمجاورين من ذوي الصلاح، فلا تزال أوقاته معمورة بالخير، آهلة بالعبـــادة، قلّ أن يخلو طرفة عين في ليل أو نهار من مصلٍّ، أو جالس في ناحيـــة لاعتكـــاف، أو مرتـــل لفرآن، أو رافع عقيرته بأذان، أو مكرر في كتاب علم، أو سائل عن دين، أو باحث في معتقـــد، أو مقرر لمذهب، أو طالب لحلّ مشاكل من سائل ومسؤول، ومفت ومستفتٍ"[1]. إن هذه الرواية وإن دلّت على كثرة العلماء والدروس وحلقات العلم في الجامع الأموي، فإنها تشير إلى ديمومة هذه الدروس من جهة أخرى، وأن هذا مما كان يتميّز به هذا المكان. وهذا المعنى ذاته أشار إليه ابن بطوطة في رحلته[2]. وقد جاءت أغلب المعلومات عن علماء وشـــيوخ ومدرســـي الجـــامع الأموي خلواً من الحديث عن أوقات تدريسهم فيه أو في مدارسه، حاشا بعض الإشارات التـــي حدّدت أوقاتاً مخصوصة لبعضهم، وذكـــر فـــي ترجمـــة المقـــرئ عثمـــان الأخـــيّ الكتبـــي (ت692هـــ/1293م)، أن له حلقة بين العشاءين تحت قبة النسر[3]. وكان للشيخ جمال الدين أبي محمد حمزة بن أحمد المقدسي(716هـــ/1316م) حلقة للقرآن بعد صلاة الظهـــر فـــي الجـــامع الأموي[4]. وجـــاء فـــي الحـــديث عـــن المقـــرئ يوســـف بـــن أبـــي عمـــر بـــن شـــيبوب الخباز(ت730هـــ/1330م) أنّه كان يُقرئ المصحف تحت قبة النسر بعد صلاة الظهر، ويـــوم الجمعة قبل الصلاة عند الشبّاك الكمالي[5].

ت- طرق التعليم

كانت هناك طرق متعددة يتبعها المدرسون والشيوخ والعلماء في الجامع الأموي، وقـــد أشير إلى بعض هذه الطرق في المصادر التاريخية، وبخاصة في ترجمة أربـــاب العلـــم فـــي الجامع، ومن أبرز هذه الطرق:

---

[1] العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص259.

[2] ابن بطوطة، الرحلة، ص82.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص752.

[4] البرزالي، الوفيات، ص672.

[5] ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص421.

1- **طريقة التلقين:** وتعني إلقاء الدرس مباشرة لإفهام الطلاب، وتقديم المعلومة بطريقة صحيحة[1]. وهي طريقة اتبعها المدرسون من المقرئين بخاصة في الجامع الأموي، وبرزت بجلاء في تلقين الصبيان والصغار السور القرآنية القصيرة، ثم تحفيظهم إياها وتكرارها، ثم تعليمهم القراءة والكتابة والخط والأشعار[2]. وعُرف المُلقّن في هذه المرحلة بالمؤدّب[3]. وقد خصّصت أماكن للتلقين في الجامع الأموي، وهي التي أطلق عليها الكتاتيب، ومنها المكتب الذي بباب الناطفيين في الجانب الشمالي للجامع[4]. وهناك أماكن أخرى ذكرها ابن حجر العسقلاني دون تحديد في الجامع لتلقين وتعليم الأطفال[5]. ومن هؤلاء المؤدبين الملقنين في الجامع الأموي على سبيل المثال ناصر الدين الدمشقي (ت690هـ/1291م)، الذي كان يلقّن بباب الناطفيين[6]، وأبو بكر ابن أيوب بن يعقوب السنجاري (ت707هـ/1308م)،الذي لقّن الأولاد داخل الجامع[7]، ومنهم أبو الحسن التنوخي (ت737هـ/1337م). الذي أقرأ الأطفال في الجامع أيضاً[8].

ويبدو من المصادر التاريخية أن المدرسة الأمينية جوار الجامع الأموي كانت مكاناً خاصاً مخصصاً لتلقين أولاد الأمراء والرؤساء والأعيان،وكان هناك شيوخ ذوو مكانة عالية رتّبوا لتدريسهم، ومنهم بدر الدين الحسن بن علي (ت734هـ/1334م)[9].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة "لقن"

(2) مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص55، حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص231-231.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، 421، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص259.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص421.

(5) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص259، ج3، ص78.

(6) عبد الولي عبد الرحمن بن محمد الحنفي، ولد سنة (601هـ/1204م). كان شيخاً فاضلاً، سمع وقرأ وحفظ. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، 421.

(7) عرف بتقواه وصلاحه، سمع الحديث وحفظه. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص259.

(8) علي بن أبي المعالي بن خضر المصري الدمشقي. ولد سنة (651ه/1253م). سمع الحديث، وحفظ القرآن. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص78.

(9) عرف بعلمه وزهده وكان أديباً ناظماً وناثراً. الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص211-214.

ولم يقتصر أسلوب التلقين على تعليم الأطفال، بل كان يتبعه العلماء مع الكبار، فعرف أسلوبهم به، فالمقرئ مسعود الحبشي الصوفي (ت697هـ/1298م) كان أحد فقراء المقصورة الحلبية في الجامع، ويلقّن القرآن ببابها[1]. وجاء في ترجمة تقي الدين أبي بكر بن محمد الموصلي (ت716هـ/1316م) أنّه تصدّر للإقراء والتلقين بجانب محراب الصحابة[2]، ومثل ذلك ورد في الحديث عن المتصدّر أبي زكريا يحيى بن زكريا المنبجي (ت676هـ/1277م)، إذ ذُكر أنه تصدّر لإقراء القرآن والتلقين في الجامع[3]. ويبدو أن طريقة التلقين ارتبطت أكثر من غيرها وشاعت بين المقرئين، وذلك لكثرة ما تكرر الحديث عنها في تراجمهم، ولعلّها متناسبة مع هذا الموضوع الذي يهدف المدرسون من خلاله إلى تثبيت القراءات القرآنية في عقول الطلاب، ثم استعادتها وتكرارها، وقد انتشرت حلقات التلقين هذه في المدارس وحلقات الجامع الأموي، وذكر منها المدرسة الغزالية، وباب البريد، وتحت قبة النسر، وغيرها من الأماكن[4].

2- **طريقة القراءة:** وهي تفرق عن التلقين في أنها تختص بتعليم قراءة القرآن أو الحديث فحسب، فهناك حلقات علم خصصت لهذه الغاية دون أن تكون لتفسير القرآن والأحاديث النبوية، ويدل على ذلك أن المصادر فرّقت بين المقرئ الملقّن، والمقرئ القارئ، وربما جمعت بين الطريقتين إن كان العالم مقرئاً مفسراً. ومن الأدلة على ذلك ما ورد في تراجم في طريقة التلقين، مثل أبي زكريا المنبجي وأبي بكر الموصلي، وما جاء في ترجمة المحدّث يوسف بن محمد بن منصور العامري (ت710هـ/1311م)، أنه كان يقرأ الحديث على كرسي في الجامع الأموي[5]. وذكر في ترجمة المقرئ علي بن حجار الشافعي

---

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج53، ص866.

[2] ابن حجر، الدرر لكامنة، ج1، ص269.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص245-246.

[4] لمزيد من الأمثلة انظر البرزالي، الوفيات، ص387، 446-447، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، ص916، 947، معجم شيوخ الذهبي، ص288، الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص40، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص67، المقريزي، المقفى الكبير، ج1، ص200.

[5] الصفدي، أعيان العصر، ج5، ص665.

الضرير (ت714هـ/1318م) أنه أقرأ القرآن في الجامع مدة[1]. ويبدو أن هناك علوما أخرى كانت تُدرّس عن طريق الإقراء، ومنها علم النحو وعلوم العربية الأخرى، وهو ما يوضحه ما ورد في ترجمة بدر الدين محمد بن السراج المقدسي (ت743هـ/1343م)، الذي تصدّر لإقراء القرآن والنحو في الجامع الأموي[2]. ومثله ضياء الدين عبد الله الدربندي الصوفي (ت723هـ/1323م)، الذي أقرأ العربية في مدرسة الكلاسة بالجامع[3].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك طرقاً أخرى كانت متبعة في مؤسسات التعليم في العصر المملوكي الأول، وأشار إليها الباحثون، ومنها **الإملاء، والإلقاء، وطريقة الأسئلة، والمكافأة والعقاب**، ولما لم يجد البحث إشارة إليها في ترجمة علماء الجامع وشيوخه ومدرسيه، فإن البحث يكتفي بالإشارة إليها هنا دون تفصيل[4].

ث- الإجازات العلمية

ويقصد بها الشهادة بنظام العصر الحالي، إذ كان الطالب بعد تخرّجه على يد شيخه أو مدرّسه في علم من العلوم، أو قراءة كتاب من الكتب الخاصة بشيخه أو غيره، يمنح إجازة بعد امتحانه، وإثبات قدرته على الحفظ أو الفهم، والغرض من هذه الإجازة هو ضبط الرواية، ونشر الحقائق العلمية سليمة غير مشوّهة أو مزوّرة، فهي بمثابة الرخصة العلمية للمهنة العلمية أو الوظيفة كالفتيا والتدريس والقضاء وغيرها[5].

---

[1] البرزالي، الوفيات، ص253. وانظر لمزيد من الأمثلة ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج2، ص421، اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج3، ص193، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج51، 845، ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص118، 225-226.

[2] الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، 159-160.

[3] الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص263.

[4] مقابلة، معن، المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام، ص53، حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص231، 232، 233، الحزوري، حسام الدين، الحركة الفكرية في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية، ص226-227.

[5] انظر في ذلك مقابلة، المؤسسات العلمية والثقافية في بلاد الشام، ص53، العملة، عبد الجبار، نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز، ص271، حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص233، الحزوري، حسام الدين، الحركة الفكرية ومراكزها في نيابة دمشق في عصر المماليك، ص243.

والإجازات التي كانت تمنح في مؤسسات العلم في العصر المملوكي كثيرة ومتنوعة، ولكنّ المصادر التاريخية أشارت إلى بعض هذه الإجازات التي كانت تمنح في الجامع الأموي ومرافقه، ومنها **الإجازة بالمرويات**، وقد عرفها بعض الباحثين بأنها الإجازة التي يمنحها العلماء والفقهاء والمحدثون للمتقدمين في العلم أو المقيمين بعيداً عنهم، فيجيزون لهم فيها الرواية أو السماع عنهم أو غير ذلك بناء على استدعاءات خاصة عبر المراسلة[1]، ويبدو أن الأمر لم يكن يقتصر على المراسلة بل كانت تؤخذ هذه الإجازات بعد تلمذة الطالب مباشرة على أستاذه في الجامع الأموي، وهذا ما ذكره الإمام شمس الدين الذهبي إذ تحدّث عن بعض الإجازات التي منحت له من شيوخه هناك، فحين ترجم لشيخه محيي الدين أبي حامد محمد بن عماد الدين الأنصاري (ت682هـ/1283م)، ذكر إجازة هذا العالم له بمروياته[2]، ومثل ذلك ذكر الذهبي حين تحدّث عن شيخه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عيسى الأنصاري الدمشقي (ت677هـ/ 1279هـ)[3]، ويبدو أن الذهبي روى عن كثير من العلماء في معجم شيوخه، ولا يكون له ذلك حسب النظام العلمي في عصره إلا بإجازة في تلك المرويات[4].

ومنها **إجازة السماع** التي كانت تمنح للمتعلّم بعد مداومته على مجالس القراءة والسماع في الجامع الأموي، ومنها تلك التي منحت لابن بطوطة (ت779هـ/ 1377م) عندما زار دمشق، وسمع من مشايخها وعلمائها، وذكر أسماء بعضهم[5].

ج- مظاهر علمية وأدبية أخرى في الجامع الأموي

كان الجامع الأموي مكاناً للمناظرات العلمية بين علماء ذلك العصر، وبخاصة إذا بلغ الخلاف مستوى عالياً في المجتمع، ما يدفع إلى حسمه علناً بهذه المناظرات، واشتهر منها ما

---

[1] حطيط، أحمد، قضايا من تاريخ المماليك، ص235.

[2] الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، ص522-523، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص320، النعيمي، الدارس، ج1، ص320.

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص260، العبر في خبر من غبر، ج3، ص335.

[4] الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص424.

[5] ابن بطوطة، الرحلة، ص100-101.

كان يجري بين ابن تيمية (728هـ/1328م) وخصومه، وذكر منها مناظراته مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل المعروف بابن المرحل (ت716هـ/1316م) التي كانت في مدرسة الكلاسة بحضور الأئمة والعلماء يومذاك[1]. هذا فضلا النقاشات والحوارات التي كانت تدور في مجال الأدب والبلاغة، ويحضرها جمع من المشهورين في المجال[2]. وكان الجامع ومدارسه أيضاً مكاناً لإنشاد قصائد المديح النبوي في المناسبات المختلفة، يؤديها شعراء أو منشدون مختصون بهذا الأمر، ذكر أن علم الدين أبا ربيع المنشد الحوراني، نقيب المتعمّمين بدمشق، (ت751هـ/1350) كان يحفظ كثيراً من ديوان الشاعر جمال الدين الصرصري(ت656هـ/ 1258م) في المديح النبوي "وكان يحضر الأفراح والولائم، والختم والمآتم، وكلَّ جَمْعٍ يكونُ"، وكان "يحضر دروس الغزاليّة، ويقوم عقيب الفراغ وينشد قصيدة حاليّة"[3]. ويذكر الصفدي في ترجمة الشاعر علاء الدين الصبيبيّ (ت738هـ/1338م)، أنه اجتمع به غير مرة بالجامع الأموي، واستمع لأشعاره، وكانا يتحاوران في الشعر والشعراء[4].

وحظي الجامع الأموي بأدب: شعر ونثر كتب فيه، وهو مبثوث في ثنايا المصادر التاريخية والأدبية، كتبها ونظمها شعراء معروفون في ذلك العصر، ومنهم على سبيل المثال تقي الدين السبكي، (ت756هـ/ 1355م)[5]، وصلاح الدين الصفدي (ت764هـ/1363)[6]، وجاء في ترجمة علي بن محمد بن عبد العزيز (ت762هـ/ 1361م)[7] أنه كتب رسالة اسمها (رسالة (رسالة النصح العلوي على لسان الجامع الأموي)[8]، ولكنها لم تصل.

---

[1] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص244-245.

[2] ابن المغيزل، ذيل مفرج الكروب، ص55.

[3] الصفدي، أعيان العصر، ج2، ص449.

[4] المصدر نفسه، ج3، ص377-380.

[5] السبكي، طبقات الشافعية، ج6، ص73.

[6] الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص110.

[7] ولد سنة (712هـ/1312م) في الموصل، وعاش في مصر والشام. كان عارفاً بالقرآن وقراءاته، وبالحديث وعلوم العربية، وكان أديباً تولى غير منصب في الجامع الأموي. الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص521 وما بعدها.

[8] الصفدي، أعيان العصر، ج3، ص528.

الخاتمة

بعد هذا البحث عن الجامع الأموي في العصر المملوكي الأول (648-784هـ/1250-1382م) يمكن تسجيل النتائج الآتية:

- كان للجامع الأموي حضور في المصادر التاريخية المختلفة، ومنها كتب التاريخ العام، والتراجم، والرحلات، والجغرافيا، والأدب، وتوزعت المعلومات عنه في ثناياها، وكان بعض من أرّخ له عاش في دمشق، أو درّس في الجامع وعمل فيه، فقدّم معلومات واقعية عنه من وحي رؤيته ومعايشته وتجربته، مثل عز الدين بن شداد، وابن كثير، وشمس الدين الذهبي، وصلاح الدين الصفدي، وغيرهم.

- وقفت هذه المصادر على تاريخ هذا الجامع منذ لحظة بنائه، وتحدّثت عن تاريخ هذا البناء، فتبيّن أنه كان مكاناً للعبادة منذ ألوف السنين، فقد كان معبداً للإله الآرامي حدد، ثمّ معبداً للإله جوبتير، ثم مكاناً للديانة المسيحية، فعرف بكنيسة القديس يوحنا، واستمر على هذه الحال حتى دخل المسلمون دمشق سنة (14هـ/635م)، فحوّلوا الجزء الشرقي من الكنيسة إلى جامع، ثمّ جاء الوليد بن عبد الملك، فهدم الجزء المتبقي منها، وحوّله كلّه إلى جامع.

- تبيّن من البحث أن الوليد بن عبد الملك ابتدأ ببناء الجامع سنة (86هـ/705م)، فاستعان لذلك بصناع وعمال مهرة من مختلف الأماكن، وأنفق عليه الأموال الطائلة، واستمرت مدة بنائه ما بين سبع سنين إلى عشرة.

- تبيّن أنّ الجامع بني على طراز هندسي بديع، وهو الطراز المعماري الإسلامي الخاص بالمساجد، وحدّدت مرافقه الهندسية، فذكروا أن له أربعة أبواب رئيسة، وهي باب الزيادة، وباب الساعات، وباب جيرون، وباب اللبادين، وأخرى فرعية، وهي باب البريد أو الباب الغربي، والباب الشمالي المعروف بباب الناطفيين، وباب الكلاّسة، وباب الكاملية.

- تبيّن أن الجامع يحتوي على أروقة أو ثلاث بلاطات، وأعمدة تفنّن المعماريون في بنائها وزخرفتها، وعدد الداخلية منها 68 عموداً، والخارجية 47 عموداً. وحوى الجامع أربع قباب، وهي قبة النسر، وقبة زين العابدين، وقبة الساعات، وقبة الفوارة. وللجامع محراب عرف بمسجد الصحابة، ثم عرف بمحراب الصحابة، وله ثلاث مقصورات، وهي مقصورة الصحابة، والخطابة، ومقصورة الجانب الغربي. وتبيّن أن له ثلاث مآذن، ومشاهد تحمل أسماء بعض الصحابة والخلفاء، وهي مشهد أبي بكر، ومشهد عمر، ومشهد عثمان، ومشهد علي، ومشهد ابن عروة، ومشهد زين العابدين، ومشهد الحسين، وكان تستخدم هذه المشاهد للصلاة والتدريس والاجتماعات وخزائن الكتب. وهناك مرافق للجامع، ومنها الكلاسة والبيمارستان العتيق، والترب، والزوايا.

- كشف البحث عن أنّ الجامع الأموي تعرّض للعديد من الكوارث الطبيعية قبل العصر المملوكي الأول (648-784هـ/1250-1382م)، وبخاصة الحرائق التي بلغ عددها أربعة، والزلازل التي كانت بالعدد ذاته، أمّا في العصر المملوكي الأول فقد احترق الجامع ثلاث مرات، وضربه زلزال واحد، وقد أثّرت هذه الكوارث في عمارته، ما كان يضطر رجال الدول إلى تجديد مرافقه التي تضررت فيه.

- كان للجامع الأموي دور كبير في جوانب الحياة المختلفة عبر تاريخه وفي العصر المملوكي الأول(648-784هـ/1250-1382م)، ولم يختلف دوره في كل عصر عن الآخر بصورة عامة، فكان محل اهتمام رجال الحكم والسياسة، وجعلوه مكانا مهماً لنشر سياساتهم، وفي الإعلان عن فرمانات التعيين والعزل، وكان بعضهم يحضر المجالس الدينية والعلمية، ويأخذه وسيلة للتشنيع على خصومه. وأقيمت في الجامع بيوت العزاء لبعض رجال الدولة، وصلي عليهم صلاة الجنازة أو الغائب. وكان له دور اجتماعي وديني في اجتماع الناس للصلوات المختلفة المفروضة والمسنونة، والمناسبات الدينية، كليلة النصف من شعبان، والمولد النبوي، والإسراء والمعراج، وليالي الوقود، وفيها كانت تزيّن ساحاته ومرافقه، وتقام فيه المواعيد، وقراءة الحديث والقرآن، والذكر، وتنشد فيه

المدائح النبوية، وكان يعتكف فيه، ويجتمع الناس للدعاء في حالات الخوف في الكوارث الطبيعية والغزوات والجدب، وتُقام فيه صلاة الجنائز والغائب والاستسقاء، وبيوت العزاء. ويضاف إلى ذلك أنه كان محفلاً لاجتماع الناس للترفيه عن الذات في مرافقه المختلفة، وبخاصة في صحن قبة النسر. وارتبطت فيه وظائف دينية متنوعة، وهي الخطابة، والإمامة، والقضاء، والوعظ، وكان لها تنظيم خاص بها، وشروط حدّدتها الدولة في العصر المملوكي الأول.

- تبيّن أن للجامع الأموي في العصر المملوكي الأول تنظيماً إدارياً، تشرف عليه الدولة، وينفق عليه من أوقاف الجامع المختلفة، ومن هذه الوظائف، الناظر، والمؤذن، والشاهد، والقيّم، والبوّاب، والمؤقّت، والخازن، والمشرف، والكاتب.

- كان للجامع دور كبير في النشاط الاقتصادي في دمشق، ومنها المناطق المحيطة بالجامع الأموي عبر عصوره، ومنها العصر المملوكي، فكانت هناك الكثير من الأسواق الخاصة بالوراقين، والصّاغة، وصناعة الزجاج، والعطارة وتجارة البَزّ، وغيرها، وكان الناس يؤمّون هذه الأسواق، التي ارتبط وجودها ونشاطها بحركة الناس في الجامع، وارتيادهم له.

- تبيّن من الدراسة أن الجامع الأموي أسهم في الحركة العلمية عبر تاريخه، وبخاصة في العصر المملوكي الأول (648-784هـ/1250-1382م) محلّ الدراسة، فقد انتشرت فيه أماكن العلم المختلفة، ومنها المدارس التي كانت للمذاهب المختلفة، وهي الغزالية، والأمينية، والجاروخية، والتّقوية، والناصرية الجوانية، والكلاّسة، والصلاحية، والإقبالية، والدّولعية، والرواحية، والعادلية الكبري، والعزيزية، والمسرورية، والباذرائية، والقوصية، والصادرية، والتاجية، والسفينية، والصّدرية، والجوزية، وانتشرت في ثناياه حلقات العلم والزوايا، وتولّى التدريس فيها عدد كبير من العلماء، فكان لهم نظام وظيفي لمسمياتهم، وهي المدرّس والمتصدّر، والمفيد، والمعيد، ومقرئ القرآن والأسباع، ومقرئ الحديث، وكانت تُراعى شروط خاصة لمن يعملون في هذه المناصب. وكان لهؤلاء أجور محددّة

لهم، وملابس خاصة، وأماكن إقامة. وكثر طلاب العلوم في هذه الأماكن، فكانوا يدرسون علوماً مختلفة، ولبعضهم أجور يتقاضونها على دراستهم، وقدّ تخرّج من الجامع عدد كبير من علماء الإسلام المشهورين، كالذهبي وابن كثير.

- تنوّعت العلوم التي تدرّس في الجامع الأموي، وفي مرافقه العلمية، وهي العلوم الشرعية والعربية والعقلية. وتعدّدت طرق التدريس بين التلقين والإلقاء والإملاء والإقراء، وكان طالب العلم في نهاية دراسته يحصل على إجازة علمية في العلم الذي درسه، أو الكتاب الذي انتهى من تعلّمه. وتبيّن أن الجامع كانت تُقام فيه المناظرات العلمية، وكان محفلاً أدبياً، تُنشد فيه قصائد المديح النبوي، وبخاصة في احتفالات المولد النبوي، ويجتمع فيه الشعراء ينشدون الأشعار لنظرائهم، وقد ألهم هذا الجامع أدباء كثراً، فنظموا فيه الشعر والنثر الكثير.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة

مجهول، **رسالة في ذكر بناء مسجد دمشق الأموي**، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، نسخة مصوّرة عن ميكروفيلم رقم 5770.

المصادر المطبوعة

القرآن الكريم

ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1332م)، **الكامل في التاريخ**، 13 جزءاً، دار صادر، بيروت- لبنان، (ب. ط)، 1386هـ/1966م.

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموري الحسيني، (ت560هـ/ 1160م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مجلدان، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط1، 1409هـ/1989م.

الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ/1201م)، **تاريخ دولة آل سلجوق**، قرأه وقدّم له: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1425هـ/2004م.

ابن إياس، محمد بن محمد بن إياس الحنفي، (ت930هـ/1523م)،**بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، ط2، 1402هـ/1982م.

البدري، أبو البقاء عبد الله بن محمّد(894هـ/1489م)، **نزهة الأنام في محاسن الشام**، عناية نعمان الأعظمي الكتبي، بغداد، العراق، المكتبة العربية، طبعة القاهرة، المطبعة السلفية، 1341هـ/1922م.

البرزالي، الحافظ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف، **الوفيات**، ضبط النصّ وعلّق عليه: أبو يحيى عبد الله الكندي، غراس–الكويت، ط1، 1426هـ/2005م.

البزار، الحافظ أبو حفص عمر بن علي (ت749هـ/1348م)، **الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت–لبنان، ط1، 1396هـ/1976م.

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م)، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار**، علّق عليه: محمد السعيد محمد الزيني، المكتبة التوفيقية، القاهرة–مصر، (ب. ط)، (ب. ت).

البغدادي، صفي الدين بن عبد المؤمن بن عبد الحق (739هـ/1338م)، **مراصد الإطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع**، 3 مجلّدات، تحقيق: علي محمّد البجّاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1373هـ/1954م.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت874هـ/1470م): **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 7 أجزاء، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر–القاهرة، (ب. ط)، (ب. ت).

مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، جزءان، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة–مصر، (د. ط)، 1417هـ/1997م.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 16 جزءاً، قدّم له وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1413هـ/1992م.

التميمي، تقي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحلبي المعروف بابن ناظر الجيش (ت786هـ/1384م)، **كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق: رودلف قسلي، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة–مصر، (ب. ط)، (ب. ت).

ابن تيمية، تقي الدين أبو لعباس أحمد بن عبد الحليم(ت728هـ/1328م)، **فقه التصوّف**، تهذيب وتعليق: زهير شقيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1414ه-1993م.

ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت614هـ/1217م)، **رحلة ابن جبير المعروفة بتذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار**، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار العرب، دار نور حوران، دمشق-سوريا، (ب. ط)، 1431هـ/2014م.

ابن الجزري، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري الدمشقي (ت738هـ/1337م)، **تاريخ الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري**، 3 أجزاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

ابن جماعة، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم (ت733هـ/1332م)، **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلّم**، تحقيق: محمد هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (ب. ط)، (ب. ت).

الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر (ت540هـ/1146م)، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق: ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1، 1410هـ/1990م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت597هـ/1200م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، 19 جزءاً، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1412هـ/1992م.

ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي (ت737هـ/1336م)، **المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها**، 4 أجزاء، مكتبة التراث، القاهرة-مصر، (ب. ط)، (ب. ت).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت1067هـ/1657م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، 6 مجلدات، دار الفكر، بيروت-لبنان، (ب. ط)، 1410هـ/1990م.

ابن حجر، أبو الفضل، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت852هـ/1448م): **أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1406هـ/1986م.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 4 مجلدات، ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث علي، منشورات محمد علي بيضون، مكتبة دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ/1997م.

الحسيني، عز الدين أحمد بن محمد لن عبد الرحمن (ت695هـ/1296م)، **صلة التكملة لوفيات النقلة**، مجلدان، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، لبنان-بيروت، ط1، 1428هـ/2007م.

الحسيني، أبو المحاسن الحافظ الدمشقي (ت765هـ/1363م)، **ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (ب. ط)، (ب. ت).

الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، 5 أجزاء، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1400هـ/1980م.

الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت900هـ/1514م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ط2، 1404هـ/1984م.

ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ/1406م)، **مقدمة ابن خلدون**، مهّد لها ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طباعتها وحققها وضبط كلماتها وعلّق عليها وكمّل

فهرسها: علي عبد الواحد وافي، 3 اجزاء، دار نهضة مصر، القاهرة–مصـــر، ط3، (ب. ت).

ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكـــر(681هـــ/1282م)، **وفيـــات الأعيان وأنباء الزمان**، 8 أجزاء، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت–لبنان، (ب. ط)، (ب. ت).

الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت734هـ/1302م)، **كنز الدرر وجامع الغرر**، 9 أجزاء، تحقيق: أولرخ هارمان، مصادر تاريخ مصر الإســـلامية، يصـــدرها قســـم الدراســـات الإسلامية في المعهد الألماني للآثار بالقاهرة–مصر، (ب. ط)، 1392هـ/1971م.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، 52 جزءاً، تحقيق: عمر عبد السلام تـــدمري، دار الكتـــاب العربي، القاهرة–مصر، (ب. ط)، 1414م/1993م.

دول الإسلام، جزءان، حقّقه وعلّق عليه: حسن إسماعيل مـــروة، قـــدّم لـــه: محمـــود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ/1999م.

ذيل تاريخ الإسلام، اعتنى به: مازن بن سالم باوزير، دار المغني للنشـــر والتوزيـــع، الرياض، السعودية، (ب. ط)، (ب. ت).

سير أعلام النبلاء، 25 جزءاً، الجزء الثالث والعشرون، حقق هذا الجزء: بشار عـــواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط7، 1410هـ/ 1990م.

العبر في خبر من غبر، 4 أجزاء، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (ب. ط)، (ب. ت).

معجم شيوخ الذهبي، تحقيق: روحية عبد الرحمن السيوفي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1410هـ/1990م.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت660هـ/1261م)، **مختار الصحاح**، إخراج: دائرة معاجم لبنان، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،(ب. ط)، 1407هـ/1986م.

ابن رافع، أبو المعالي، تقي الدين محمد السلمي (ت774هـ/1373م)، **الوفيات**، مجلدان، حقّقه وعلّق عليه: صالح مهدي عباس، أشرف عليه وراجعه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط1، 1402هـ/1982م.

ابن رجب، أبو الفرج، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الدمشقي الحنبلي (795هـ/1393م)، **الذيل على طبقات الحنابلة**، 4 أجزاء، دار المعرفة، بيروت–لبنان، (ب. ط)، (ب. ت).

الزبيدي، محمد مرتضى(ت1250هـ/1790م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، 10 مجلدات، منشورات مكتبة الحياة، (د.ط)، (د. ت).

سبط ابن الجوزي، أبو المظفر، شمس الدين يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله (ت654هـ/1256م)، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، 23 جزءاً، تحقيق: إبراهيم الزيبق، الرسالة العالمية، دمشق–سوريا، ط1، 1434هـ/2013م.

السبكي، أبو نصر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت771هـ/1370م): **طبقات الشافعية الكبرى**، 10 أجزاء، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط2، (ب.ت).

معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار أبو زيد شلبي، ومحمد أبو العيون، دار الكتاب العربي، القاهرة–مصر، ط1، 1367هـ/1948م.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ/1497م)، **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام**، 4 أجزاء، تحقيق: بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، أحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط1، 1416هـ/1995م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ/1506م)، **تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب**، جزءان، دراسة وتحقيق: حسن ملخ، سهى نعجة، عالم الكتاب الحديث، إربد-عمان، ط1، 1426هـ/2004م.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت665هـ/1266م)، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، 4 أجزاء، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1418هـ/1997م.

ابن شدّاد، أبو عبد الله عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت684هـ/1285م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تاريخ مدينة دمشق**، جزءان، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي بالدراسات العربية بدمشق-سوريا، المطبعة الكاثولوكية، بيروت-لينان (ب. ط)، 1375هـ/1956م.

الشَّوكاني، محمد بن علي (ت1250هـ/1834م)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، مجلدان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ/1998م.

شيخ الرّبوة، شمس الدين عبد الله محمد بن أبي طالب النصاري الصوفي الدمشقي (ت727هـ/1327م)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، نشره: أ.مهران ليبزج، (د.ط)، 1923م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1362م): **ألحان السواجع بين البادي والمراجع**، 4 مجلدات، تحقيق: محمد عايش، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (ب. ط)، 1428هـ/2007م.

أعيان العصر وأعوان النصر، 6 مجلدات، تحقيق: علي أبو زيد، ونبيل أبو عمشة، محمد موعد، محمود سالم محمد، تقديم: مازن عبد القادر المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ/1998م.

تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنوّاب، جزءان، تحقيق: إحسان بنت سعيد خلوصي، زهير حميدان، دار صادر، بيروت-لبنان، ط2، 1419هـ/1999م.

الوافي بالوفيات، 22 جزءاً، دار الفكر، ط1، دمشق-سوريا، 1425هـ/2005م.

الوافي بالوفيات، 29 جزءاً، ج1، تحقيق: هلموت ريتر، (ب. ط)، 1381هـ/1962م.

الوافي بالوفيات، ج 2، 3، 4، تحقيق واعتناء: س.ديدرينغ، ط2، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن-ألمان، ط2، 1394هـ/1974م.

الوافي بالوفيات، ج 5، 6، تحقيق واعتناء: س.ديدرينغ، فرانز شتاينر-شتوتغارت-ألمانيا، ط3، 1411هـ/1991م.

الوافي بالوفيات، ج7، تحقيق واعتناء: إحسان عباس، فرانز شتاينر، شتوتغارت-ألمانيا، ط3، 1411هـ/1991م.

الوافي بالوفيات، ج8، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن-ألمانيا، ط2، 1402هـ/1982م.

الوافي بالوفيات، ج9، 10، تحقيق: يوسف فان إس، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن-ألمانيا، ط3، 1411هـ/19991م.

الوافي بالوفيات ج12، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن-ألمانيا، (ب. ط)، 1405هـ/1985م.

الوافي بالوفيات، ج14، تحقيق واعتناء: س.ديدرينغ، فرانز شتاينر شتوتغاترت-ألمانيا، (ب. ط)، 1411هـ/1991م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310-922م)، **تاريخ الأمم والملوك**، 11 جزءاً، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة-مصر،(ب. ط)، 1379هـ/1960م.

العاصمي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي المكي (ت1111هـ/1699م)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، 4 أجزاء، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد، علي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.

ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد المقدسي (ت744هـ/1344م)، **العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة– المملكة العربية السعودية، (ب. ط)، (ب. ت).

ابن العراقي، أبو زرعة ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت826هـ/1422م)، **الذيل على العبر في خبر من غبر**، 3 أجزاء، تحقيق: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط1، 1409هـ/1989م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ/1176م)، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز نواحيها من وارديها وأهلها**، 80 جزءاً، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق– سوريا، (ب. ط)، 1415هـ/1995م.

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت1089هـ/1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 11 جزءاً، دار المسيرة، بيروت–لبنان، ط2، 1399هـ/1979م.

العمري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله (ت749هـ/1348م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 27 جزءاً، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1431هـ/2010م.

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت855هـ/1451م): **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي، القاهرة–مصر، (ب. ط)، (ب. ت).

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، الجزء الثالث، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة–مصر، (ب. ط)، 1409هـ/1989م.

الفاخري، بدر الدين بكتاش (ت745هـ/1345م)، **تاريخ الفاخري**، قسمان، تحقيق: عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا–لبنان، ط1، 1431هـ/2010م.

أبو الفداء، عماد الدين الإسماعيلي حمد بن عمر (ت732هـ/1331م)، **المختصر في أخبار البشر**، جزءان، تحقيق: محمود ديّوب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1417ت/1997م.

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت807هـ/1405م)، **تاريخ ابن الفرات**، 8 أجزاء، تحقيق: قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، الجامعة الأمريكية، بيروت–لبنان، 1939/1358م.

الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة الدارمي (ت114هـ/732م)، **ديوان الفرزدق**، تحقيق وشرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1407هـ/1987م.

ابن فهد المكي، أبو الفضل تقي الدين محمد بن محمد (ت871هـ/1467م)، **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، دار إحياء التراث، بيروت–لبنان، (ب. ط)، (ب. ت).

الفيروز أبادي، محيي الدين بن محمد بن يعقوب الشافعي (ت817هـ/1415م)، **القاموس المحيط**، 4 أجزاء، دار الجيل الجديد، بيروت–لبنان، (ب. ط)، 1371هـ/1952م.

ابن قاضي شهبة، أبو بكر، تقي الدين بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد الدمشقي (ت851هـ/1448م)، **طبقات الشافعية الكبرى**، 4 أجزاء، صحّحه وعلّق عليه: الحافظ عبد العليم خان، رتّب فهارسه: أنيس الطباع، دار عالم الكتب، بيروت–لبنان،ط1، 1407هـ/1987م.

ابن القاضي ، أبو العباس، أحمد بن محمد المكناسي (1025هـ/1616م)، **ذيل وفيات الأعيان المعروف بدرة الحجال في أسماء الرجال**، 3 أجزاء، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، المكتبة العتيقة، القاهرة–مصر، ط1، 1390هـ/1970م.

ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت276ه/899م): **الأنواء في مواسم العرب**، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الهند، ط1371،1هـ/1956م.

الشعر والشعراء، حققه وضبط نصّه: مفيد قمحية، راجعه وضبط نصّه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1405ه/1985م.

القزويني، أبو يحيى، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت–لبنان، (ب. ط)، 1379هـ/1960م.

ابن القلانسي، أبو يعلى، حمزة بن أسد (ت555هـ/1160)، **ذيل تاريخ دمشق**، جزءان، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت–لبنان، (ب. ط)، 1326هـ/1908م.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، 15 جزءاً، شرحه وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1407هـ/1987م.

الكتبي، محمد بن شاكر (764هـ/1362م): **عيون التواريخ**، الجزء الحادي والعشرون، تحقيق: فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داوود، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد–العراق، (ب. ط)، (ب. ت).

فوات الوفيات والذيل عليها، 5 مجلدات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت–لبنان، (ب. ط)، (ب. ت).

ابن كثير، أبو الفداء، الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر الشافعي (ت774هـ/1372م)، **البداية والنهاية**، 14 جزءاً، دقّق أصوله وحقّقه: احمد أبو ملحم، علي نجيب عطوي، فؤاد

السيد، مهدي ناصر الدين، علي عبد الساتر، دار الريّان، القاهرة–مصر، ط1، 1408هـ/ 1988م.

طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، جزءان، دار المدار الإسلامي، بيروت– لبنان، ط1، 1424هـ/2004م.

ابن كنّان، محمد بن عيسى الصالحي الدمشقي (ت1153هـ/1740م)، **المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، جزءان، تحقيق: حكمت إسماعيل، مراجعة: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق–سوريا، (ب. ط)، 1412هـ/1992م.

ابن المبرد، يوسف بن عبد الهادي (ت909هـ/1503م)، **ثمار المقاصد في ذكر المساجد**، تحقيق: محمد أسعد طلس، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، (ب. ط)، 1395هـ/1975م.

مجهول (ت742هـ/1341م)، **عصر سلاطين المماليك**، تحقيق: زيتر شتين، ليدن–إبريل، 1338هـ/1919م.

أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت276هـ/899م)، **الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء**، حققه وضبط نصّه: مفيد قميحة، راجعه وضبط نصّه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت385هـ/1995م)، **أحسن التقاسيم في معرفة التقاسيم**، وضع هوامشه وفهارسه: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، (ب. ط)، 1408هـ/1987م.

المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/956م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، 5 أجزاء، مكتبة التراث، الجامعة اللبنانية، لبنان–بيروت، (ب. ط)، (ب. ت).

المقريزي، أبو العباس، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت845هـ/1441م)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا**، جزءان، تحقيق: محمد عبد القادر، أحمد عطا،

منشـــورات محمـــد علـــي بيضـــون، دار الكتـــب العلميـــة، بيـــروت–لبنـــان، ط1، 1422هـ/2001م.

السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطـــا، 8 أجـــزاء، دار الكتـــب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1418هـ/1997م.

المقفى الكبير، 8 أجزاء، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، ط1، 1411هـ/1991م.

ابن المغيزل، نور الدين علي بن عبد الرحيم بن أحمد المظفري، **ذيل مفرّج الكروب في أخبـــار بني أيوب**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبـــة العصـــرية، صـــيدا–لبنـــان، ط1، 1425هـ/2004م.

المنصوري، ركن الدين بيبرس الدودار (735هـ/1324م)، **زبد الفكرة في تـــاريخ الهجـــرة**، تحقيق: دونالدس ريتشاردز، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت–لبنـــان، ط1، 1419هـــ/ 1998م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرّم (ت711هـ/1311م)، **لسان العـــرب**، 15 جزءاً، دار صادر، بيروت–لبنان، (ب. ط)، (ب. ت).

مختصر تاريخ دمشق، 29 مجلداً، فضائل الشام وخطط دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحمدي مراد، محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق–ســـوريا، ط1، 1404هـ/1984م.

النابغة، عبد الله بن المخارق بن سليم الشيباني (ت125هـ/743م)، **ديون نابغة بني شيبان**، دار الكتب المصرية، القاهرة–مصر، ط1، 1351هـ/1932م.

النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت927هـ/1420م)، **الدارس في تـــاريخ المـــدارس**، جزءان، أعدّ فهارسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنـــان، (ب. ط)، 1410هـ/1990م.

النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، الجزء 32، تحقيق: فهيم محمد علوي شلتوت، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب المصرية، القاهرة-مصر، ط1، 1418م/1998م.

نهاية الأرب في فنون الأدب، ج33، تحقيق: مصطفى حجازي، محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، (ب. ط)، 1415هـ/1997م.

الهمذاني، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بابن الفقيه (ت365هـ/976م)، **كتاب البلدان**، تحقيق: يوسف الهادي، دار عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط1، 1416هـ/1996م.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم (ت697هـ/1298م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 6 أجزاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا-لبنان، ط1، 1425هـ/2004م.

ابن الوردي، أبو حفص، زين الدين عمر بن المظفر(ت749هـ/1348م)، **تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي**، جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1416هـ/1996م.

ديوان ابن الوردي، تحقيق: أحمد فوزي الهيب، دار القلم، الكويت-الكويت، ط1، 1407هـ/1986م.

ابن الوردي، سراج الدين عمر بن المظفر البكري القرشي (ت852هـ/1447م) وقيل (861هـ/1457م)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تحرير: حماه الله ولد السالم، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1435هـ/2014م.

الوهراني، محمد بن محرز بن محمد (ت575هـ/1180م)، **الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق-سوريا، (ب. ط)، 1384هـ/1965م.

اليافعي، أبو محمد، عبد الله بن أسد بن علي بن سليمان (ت768هـ/1366م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، 4 أجزاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان، ط2، 1390هـ/1970م.

اليونيني، أبو الفتح قطب الدين موسى بن محمد (ت726هـ/1326م)، **ذيل مرآة الزمان**، 4 أجزاء، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة–مصر، ط2، 1413هـ/1992م.

قائمة المراجع

إمام، عبد الفتّاح، **معجم ديانات وأساطير العالم**، 3 مجلدات، مكتبة مدبولي، القاهرة–مصر، (ب. ط)، (ب. ت).

الأوتاني، أحمد، **دمشق في العصر الأيوبي: دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية ثقافية**، تقديم: سهيل زكّار، التّكوين، دمشق–سوريا، ط1، 1428هـ/2007م

إيبش، أحمد، **دمشق في عصر سلاطين المماليك مشاهد وأحداث من نصوص أدب الرحلات**، دار الشرق، دمشق–سوريا، ط1، 1426هـ/2005م.

بدران، عبد القادر، **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال**، إشراف: زهير الشاويش، الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية، المكتب الإسلامي، بيروت–لبنان، ط2، 1405هـ/1985م

البرغوثي، عبد اللطيف، **القاموس الشعبي الفلسطيني**، (ب. ط)، 1421هـ/2001م.

بهنسي، عفيف، دمشق الشام، المكتبة العمومية، دمشق، سوريا، (ب.ط)، 1401ه/1981م.

التونجي، محمد، **المعجم الذهبي في الدخيل على العربي**، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ/2009م.

جودة، صادق، **المدارس العصرونية في بلاد الشام**، مؤسسة الرسالة، دار عمار، عمّان–الأردن، ط1، 1406هـ/1986م.

جيده، أحمد خالد، **المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط1، 1422هـ/2001م.

الحافظ، محمد مطيع، **الجامع الأموي بدمشق نصوص لابن جبير والعمري والنعيمي**، دار ابن كثير، دمشق–سوريا، ط1، 1405هـ/1985م.

الحصني، محمد أديب آل تقي الدين، **منتخبات التواريخ لدمشق**، 3 أجزاء، قدّم له: كمال سليمان الصليبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت–لبنان، (ب. ط)، 1329هـ/1979.

الحزوري، حسام الدين عبّاس، **الحركة الفكرية ومراكزها في نيابة دمشق في عصر المماليك البحرية**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق–سوريا، (ب. ط)، 1432هـ/2011م.

حلاّق، محمد صبحي بن حسن أبو مصعب، **الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية**، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء– اليمن، ط1، 1428هـ/2007م.

حطيط، احمد، **قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري(648–923هـ/1250–1417م)**، دار الفرات، بيروت–لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.

الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط1، 1416هـ/1996م.

خير، صفوح، **مدينة دمشق**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، (ب.ط)، 1389هـ/1969م.

دهمان، محمد أحمد، **ولاة دمشق في عهد المماليك**، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط2، 1404هـ/1984م.

الريحاوي، عبد القادر، **مدينة دمشق تاريخها وتراثها وتطوّرها العمراني والمعماري**، دار البشائر، دمشق–سوريا، ط2، 1416هـ/ 1996م.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت1396هـ/1976م)، **الأعلام**، 8 مجلدات، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط5، 1400هـ/1980م.

زيادة، نقولا، **دمشق في عصر المماليك**، مكتبة لبنان،بيروت–لبنان، مؤسسة فرنكلين، نيويورك–أمريكا، (ب. ط)، 1386هـ/1966م.

سبانو، أحمد غسان، **دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية**، دار الكتاب العربي، دمشق–سوريا، (ب. ط)، (ب. ت).

الشايع، محمد بن عبد الرحمن، **معجم مصطلحات علوم القرآن**، دار التدمرية، الرياض–السعودية، ط1، 1433هـ/2012م.

شميساني، حسن، **الحافظ شمس الدين الذهبي**، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1411هـ/1990م.

الصياد، محمد محمود، **رحلة ابن بطوطة**، سلسلة تراث الإنسانية، 12 مجلداً، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر– القاهرة، (ب. ط)، (ب. ت).

طلاس، العماد مصطفى، **المعجم الجغرافي للقطر السوري**، 5 مجلدات، مركز الدراسات العسكرية، دمشق–سوريا، ط1، 1412هـ/1992م.

الطنطاوي، علي، **الجامع الأموي في دمشق**، دار المنارة، جدة– السعودية، ط1، 1410هـ/1990.

عبد الرحيم، رائد مصطفى، **أثر الغزو المغولي في الثقافة العربية في العصر المملوكي**، دار كنوز المعرفة، عمّان–الأردن، ط1، 1439هـ/2017م.

علاء الدين الوداعي الكندي حياته وشعره وما بقي من ديوانه (640–716هـ)، دار كنوز المعرفة، عمان– الأردن، ط1، 1438هـ/2017م.

العدوي، إبراهيم أحمد، **ابن بطوطة في العالم الإسلامي**، دار المعارف، مصـــر–القـــاهرة، (ب. ط)، 1374هـــ/1954م.

العلاّف، أحمد حلمي، **دمشق في مطلع القرن العشرين**، علّق عليه وقدّم له: علي جميل نعيسة، دار دمشق، دمشق–سوريا، ط2، 1403هـــ/1983م.

العلبي، أكرم، **خطط دمشق، دراسة تاريخية شـــاملة لـــدور القـــرآن والحـــديث والمـــدارس والبيمارستانات والجوامع الكبرى والخوانق والـــربط والزوايـــا والأســـواق والخانـــات والحمامات والدروب من سنة 400–1400هـــ**، دار الطباع، دمشق–سوريا، 1410هـــ/ 1989م.

علبي، عاطف، **موسوعة عواصم الإسلام**، المؤسسة الجامعية للدراســـات للنشـــر والتوزيـــع، 1431هـــ/2010م.

عوض، إبراهيم، **رحلة ابن جبير الأندلسي دراسة في الأسلوب**، حقوق النشر محفوظة للمؤلف، (د. ط)، 1413هـــ–1992م.

عوض، محمد مؤنس، **الزلازل في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية دراسة عن النصـــف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي (511هـــ–598هـــ/1156–1202م)**، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، ط1، 1416–1996م.

عيسى بك، أحمد، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيـــروت–لبنـــان، ط2، 1402هـــ/1981م.

فاخوري، محمود، وحوّام، صلاح الدين، **موسوعات وحدات القياس العربية والإســـلامية ومـــا يعادلها بالمقادير الحديثة، الأطوال، المساحات، الأوزان، المكاييـــل، الأوزان والمكاييـــل الطبية**، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، ط1، 1422هـــ/2002م.

كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين** تراجم ومصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث، بيروت–لبنان، (ب. ط)، 1376هـ/1957م.

كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، قسمان، نقله إلى اللغة العربية: صلاح الدين عثمان هاشم، قام بمراجعته: إيغور بليايف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، (ب. ط)، 1383هـ–1963.

كرد علي، محمد (ت1293هـ/1876م)، **خطط الشام**، 6 مجلدات، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، (ب. ط)، 1403هـ/1983م.

– مؤنس، حسين، **المساجد**، سلسلة عالم المعرفة (37)، (ب. ط)، 1401هـ/1981م.

محاسنة، محمد حسين، **تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي**، مكتبة الأوائل، دمشق–سوريا، ط1، 1421هـ/2001م.

مصطفى، إبراهيم، الزيّات، أحمد حسن، **عبد القادر، حامد، النجار**، محمد علي، المعجم الوسيط، جزءان، دار الدعوة، تركيا–إسطنبول، (ب. ط)، (ب. ت).

موسى، محمد بن حسن بن عقيل، **المختار المصون من أعلام القرون: مختارات تسعة عشر كتاباً من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر**، مئة ترجمة من أصل 28000 ترجمة، دار الأندلس، جدة–السعودية، (ب. ط)، (ب. ت).

هنتس فالتر، **المكاييل والاوزان الاسلاميه وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمه كامل العسلي، ط1، 1389هـ/1970م.

الرسائل الجامعية

زوربا، فريال بدوي يوسف، **الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان–الأردن، 1400هـ/1980م.

الصوفي، منصور أحمد سالم، **الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام في العصر المملوكي (648-922هـ/1250-1517م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة-فلسطين، 1431هـ/2010م.

العملة، عبد الجبار أحمد محمد، **نيابة دمشق الشام في عهد الأمير تنكز الحسامي الناصري (712-740هـ/1339-1340م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس-فلسطين، 1421هـ/2000م.

مقابلة، معن علي أحمد، **المؤسسات الاجتماعية والثقافية في بلاد الشام في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، إربد-الأردن، 1412هـ/1992م.

الدوريات

باشا، عمر موسى، **دور العلم**، دار المنظومة، التراث العربي، سوريا، المجلد 1، العدد103، 1400هـ/1980م، صفحات 89-109.

الدروبي، سمير، ***مقامة رشف الرحيق في وصف الحريق لصلاح الدين الصفدي***، **البلقاء للبحوث والدراسات**، جامعة عمان الأهلية، عمان-الأردن، م3، العدد الأول، 1416هـ/1995م، صفحات 76-119.

عبد الرحيم، رائد، صور ***من النقد السياسي في أدب العصر المملوكي الأول موقف السلطة من المثقف أنموذجاً***، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، العدد 84، صفر-شعبان، 1434هـ، كانون الثاني-حزيران، 2013م. صفحات 49-121.

عبد العزيز، محمد الحسيني، ***الجامع الأموي الكبير***، **مجلة الوعي الإسلامي**، الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، مجلد 2، عدد 20، 1385هـ/1966م.

هيئة التحرير، ***الجامع الأموي درة دمشق***، **مجلة الوعي الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، المجلد 46، العدد 531، ذي القعدة، 1430هـ، نوفمبر، 2009م.

المؤتمرات

بدر، أحمد، **فقهاء الشام في العصر العباسي الأول وعلاقاتهم بالخلفاء العباسيين: بلاد الشام في العصر العباسي(132هـ/750م-451هـ/1089م)**، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، 7-11 شعبان 1410هـ، 4-8 آذار، 1990م، تحرير: محمد عدنان البخيت، ومحمد يونس العبادي، الجامعة الأردنية، عمّان- الأردن، 1412هـ/1992م، ص87-102.

الدروبي، سمير، **خزائن الكتب الموقوفة بجامع بني أمية في دمشق من القرن (6-10هـ/12-16م)، المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام والأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين(17-21، شعبان، 1427هـ/10-14 أيلول، 2006م)**. الجامعة الأردنية، عمان-الأردن، صفحات 1-21.

عمران، محمود **كتابات الرحالة أركولف كمصدر لبلاد الشام في عصر الراشدين، بلاد الشام في صدر الإسلام (جمادى الآخرة 1405هـ/ 16-22 آذار 1985م)**، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، تحرير: محمد عدنان البخيت، عمان-الأردن،1407هـ/1987م، المجلد الثالث، صفحات 311-330.

الموسوعات

بروكلمان، **ابن بطوطة**، دائرة المعرف الإسلامية، 33 مجلداً، نقلها إلى اللغة العربية: محمّد ثابت الفندي، أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، 1352هـ/1933م.

البستاني، بطرس، **كتاب دائرة المعارف**، 11 مجلداً، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.

الريحاوي، عبد القادر، **المسجد الأموي**، الموسوعة العربية، 22 جزءاً، الآق قونيليو الانطباعية، دمشق-سوريا، م3، صفحات 652-656.

السواح، فراس (محرّر)، **موسوعة تاريخ الأديان**، مصر وسوريا، وبلاد الرافدين، والعرب قبل الإسلام، 4 مجلدات، منشورات علاء الدين، ط1، 1425هـ/2004م.

محمد، الزين، جويتر، **الموسوعة العربية**، 22 جزءاً، الآق قونيليو الانطباعية، دمشق-سوريا، م7، صفحات 774-776.

الموسوعة العربية العالمية، 27 مجلداً، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الريـــاض-السعودية، ط2، 1419هـ/1999م.

ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية.

An-Najah National University
Faculty of Granduate Studies

The Umayyad Mosque in Damascus in the First Period of the Mamluk Era (648 – 784 AH / 1250 – 1382 AD)A Historical and Cultural Study

By
Basima Yousef Ahmed Abu Lehya

Supervised by
Dr. Mohammad AlKhateeb

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of History, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2019

The Umayyad Mosque in Damascus in the First Period of the Mamluk Era (648 – 784 AH / 1250 – 1382 AD)
A Historical and Cultural Study

By
Basima Yousef Ahmed Abu Lehya
Supervised by
Dr. Mohammad AlKhateeb

Abstract

The Umayyad Mosque played an integral part in the Islamic history; it has been a great edifice since it was built on (86 AH/ 705 AD) by Al-Walid ibn Abd al-Malik. It has received the attention of people and of all of the successive Islamic states including the First Mamluk State (648 – 784 AH – 1250-1382 AD). Many scattered scientific materials, that were found by researching different historical sources, shed the light on the importance of the mosque on the historical, social, religious, political, economic and administrative aspects,. However, because there is no researcher who had done a complete and inclusive scientific research about the mosque during the First Mamluk Era, this research will provide a comprehensive historical picture of it and the role it played in all life aspects.

First, the research highlights the date the mosque was built in, its architectural facilities and its effect on different aspects of life. Second, it studies the architecture and administration of the mosque during the First Mamluk Era; it presents the natural and unnatural disasters it was subjected to and how they affected it and the additions and renovations that were done to its facilities. Third, it gives an idea about the endowments of the mosque and its special administrative jobs; for example: there were principles, muezzins, witnesses, curators, doormen, treasurers, supervisors,

clerks and people who set time for next Adhan. Fourth, this research investigates the mosque's social, religious and political roles during the first period of Mamluk era; it was the center where all people gathered in to do the five prayers, prayers for rain, Eids' and funerals' prayers and others. Also, if many diseases spread, or natural disasters occurred, or even if people were invaded, they go to this mosque to read Qur'an and Sahih al-Bukhari. Additionally, people used to discuss their daily life affairs, and celebrate different religious occasions in there. Fifth, the study portrays the Sufism aspects and the religious jobs of the mosque; like: the imam, orator, judge and preacher jobs. Sixth, it further displays the mosque's effect on the political aspect; the state supervised the mosque's jobs, and it was responsible for appointing and discharging its workers. The mosque also served as a forum for wars and peace announcements and for the state's special ceremonies that matters the community. Moreover, it was a site where state men's funerals and absentee funerals prayers were held. Finally, the study at hand sheds the light on the mosque's educational and cultural roles; so it observed the present and the new educational circles and corners in which people shared their knowledge, and schools that were in it or annexed to it. It also describes the bookcases, its various educational jobs such as teaching, Qur'an and Hadith reciting, leading, repeating and clarifying jobs. It additionally clarifies their wages, clothes and place of residence. The study further describes the mosque's students and the educational system that is presented by the educational materials, studying times, teaching methods and the holidays.